من تفسير وتأملات الآباء الأولين



القمص تادرس يعقوب ملطي

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين



٢٠٠٩م

القمص تادرس يعقوب ملطي

باسم الآب والابن والروح القدس

الله الواحد، آمين

اسم الكتاب: يهوديت.

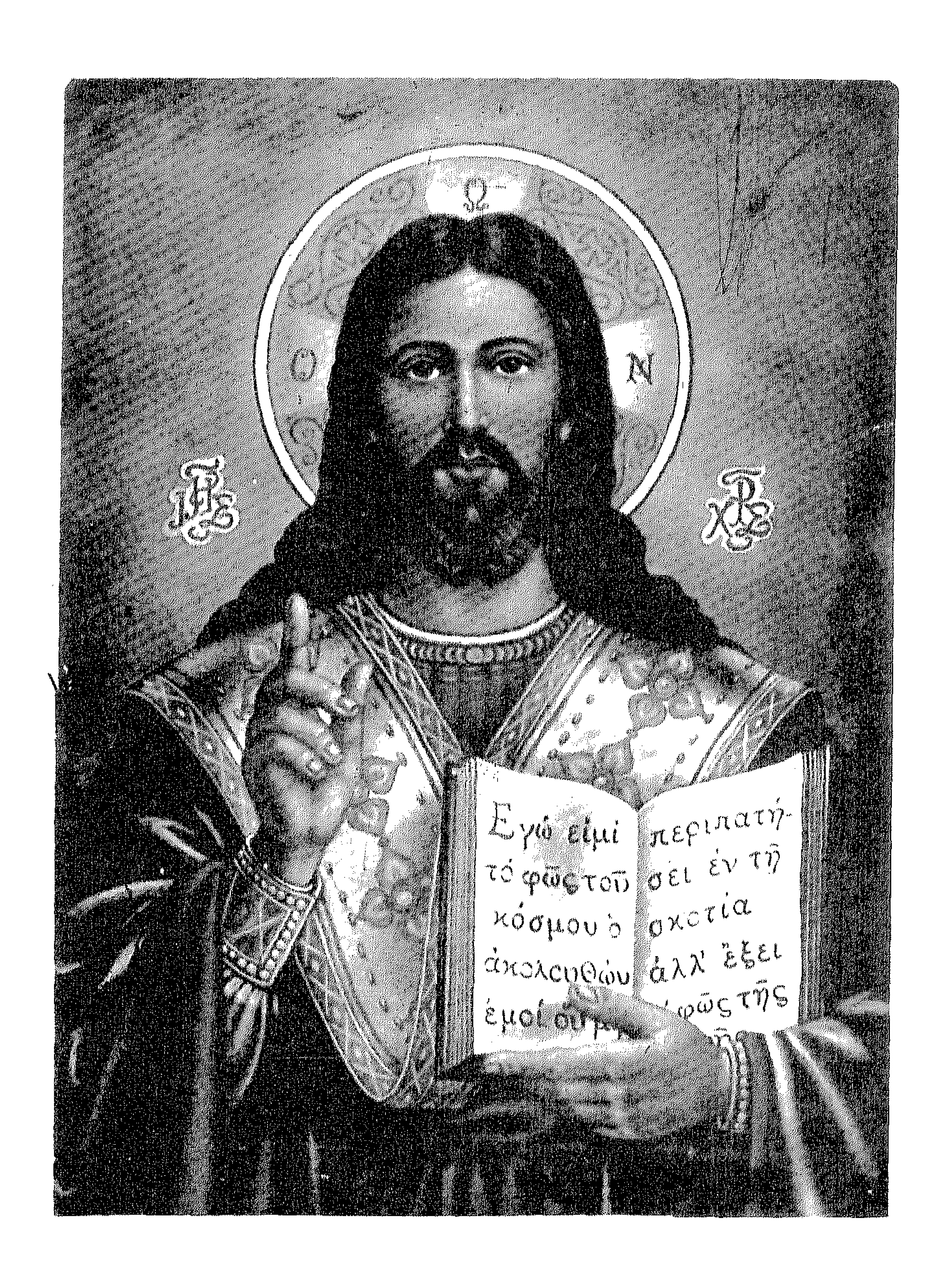
المؤلف: القمص تادرس يعقوب ملطي.

الطبعة: الأولى ٢٠٠٩م.

المطبعة: الأنبا رويس (الأوفست)، بالعباسية القاهرة.

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٤٨٢٣

الترقيم الدولى: 5 -187 -392 -977


Ο Ω Ν
ΙΣ
ΧΣ
Εγώ είμι
τό φῶς τοῦ
κόσμου ὁ
ἀκολουθῶν
ἐμοί οὐ
περιπατή-
σει ἐν τῇ
σκοτία
ἀλλ' ἕξει
φῶς τῆς



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

الله واهب النصرة

يرى البعض أن هذا السفر يروي الأحداث التي دارت بعد هزيمة سنحاريب ملك أشور في أيام حزقيا ملك يهوذا (٢ مل ١٩: ٣٥-٣٧؛ ٢ أي ٣٢) حيث عاد منهزمًا إلى نينوى فقتله ابناه، وخلفه في الحكم ابنه آسرحدون الذي غار على بلاد كثيرة منها بلاد مادي انتقامًا من أرفكشاد ملكهم الذي كان اليهود يحبونه. السبي الذي أشير إليه في هذا السفر هو ما حدث في أيام منسّى (٢ أي ٣٣:١١).

بعث ملك أشور بجيش قوي ضد أرفكشاد ملك مادي ليخضعه، ويذل جميع حلفائه الذين من بينهم اليهود. قام بهذا العمل قائد جيوشه أليفانا أو هولوفرنيس *Holofernes*، وضرب الحصار أمام الحصن اليهودي بيت فَلْوى (بيتولي أو بتولية). وقد أوشك أن يقتحمها، لكن المحاصرين نجوا بفضل البَطلة التقيّة يهوديت.

يقدم لنا هذا السفر صورة إيمانية حيّة لأرملة غنية وجميلة تقتحم بالإيمان معسكر الأعداء، وتلتقي بالقائد أليفانا، واثقة في عمل الله الحيّ في وسط شعبه. استطاعت يهوديت كأستير أن تنقذ شعبها خلال شجاعتها التي ارتبطت بحياتها التقوية وطاعتها للوصية (٨: ٦؛ ١٢: ٢).

مقدمة في سفر يهوديت

من هي يهوديت؟

"يهوديت" اسم عبري مؤنث معناه "يهودية".

سيدة ذات صفات يندر أن تجتمع معًا في شخصية واحدة. فقد تحلت بالفضائل الروحية والمقوِّمات الهامة للشخصية الروحية الوطنية، جمعت بين الحكمة واللياقة، وبين الغنى والنسك، وبين الشجاعة والتواضع، وبين الجمال الجسدي والجمال الروحي (العفَّة)[1].

كاتب السفر

واضح أن كاتب السفر يجمع بين اهتمامه بحفظ الناموس بكل دقةٍ مع روح الوطنية القومية.

يرى القديس جيروم أن الكاتب هو يهوديت نفسها التي سجلت الأحداث وقدمتها هدية مع ما أوقفته على الهيكل كهدايا تذكارية من متاع القائد أليفانا.

٢. يرى البعض أنه بحسب التقليد ألياقيم أو يواقيم رئيس الكهنة هو الذي سجل الأحداث[2]، لذا جاء السفر يركز على الصلاة والتسبيح، مُخلص للغاية للناموس الموسوي، كما قدم السفر تفاصيل يصعب أن يسجلها آخر إلا رجل دين معاصر للأحداث. هذا وأن ما رواه عما حدث بين أحيور وأليفانا لا يمكن تسجيله إلا بواسطة رئيس الكهنة الذي التقى به وتحدث معه. وأيضًا ما رواه عما حدث بين يهوديت وأليفانا.

٣. يرى آخرون أن يهوديت سجلت الأحداث ثم قام آخر بإعادة كتابة السفر؛ على أي الأوضاع فإن الكاتب يتسم بالآتي:

أ. معاصر للأحداث أو في عصرٍ قريبٍ جدًا منها، نظرًا لما ورد في السفر من تفاصيل لا يقدر أن يسجلها أحد سوى شاهد عيان أو من سمعها منه مباشرة.

ب. يدرك الكاتب دقائق الناموس، له معرفة قوية بالعهد القديم خاصة المزامير، وله

---

[1] راجع راهب من دير البراموس: تفسير سفر يهوديت، ١٩٩٧، ص ٧.

[2] *Introduction to Judith in the Vulgate version.*
Charles, Charles, R., The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament (Oxford, Clarendon Press), p. 246, who late dates the writing of the book by linking the author to "the Pharisaic party", *thinks that he must have been* "a Palestinian Jew ... a man of some literary skill ... well acquainted with the literature of his people". *Could this great man, as* Akhi-miti, *actually be the Archimedes of Greek tradition?*

دراية حيّة بالعمل التعبُّدي الروحي وأيضًا السياسي.

ج. أسلوبه العبري رائع، يكاد يبلغ إلى مستوى الشعر. أسلوبه الروائي يحمل حيويَّة فائقة، يتسم بالواقعية دون تضخيم.

د. للكاتب موهبة التعليم.

تاريخ الكتابة

إن كان السفر قد كُتِب في وقت معاصر للأحداث أو بعدها بقليل، فمتى جرت الأحداث؟

١. يرى البعض أنها في فترة ملك سنحاريب الأشوري حيث قام بحملة تأديبية بعد هزيمته الشهيرة في فجر القرن السابع ق. م. منتقمًا من أرفكشاد صديق اليهود ثم متجهًا نحو اليهودية جنوبيًا.

٢. يرى آخرون أنها تمت في أيام منسّى الملك وهو أسير في بلاد ما بين النهرين (المصيصة) حيث لم يكن يوجد ملك في البلاد. ويرى البعض أن هذه الأحداث تمت في أيام حزقيا الملك، أما عن سرّ غيابه في السفر وظهور رئيس الكهنة كمخطط للأمور فهو كبرياء حزقيا، إذ كان عدوه سنحاريب يتطلع إليه "حزقيا القوي المتكبر"[1]. يقول *Boutflower* إن حزقيا لم يلتقِ برسل أشور شخصيًا (٢ أي ٣١: ٣٢)، لأن سنحاريب لم يأتِ إليه، وكما أرسل إليه ثلاثة رسل مندوبين عنه، هكذا أرسل إليه حزقيا رئيس الكهنة والكاتب والمسجل. وربما كان حزقيا مريضًا كما جاء في ٢ أي ٣٢: ٢٤، فلم يستطع الخروج إليه شخصيًا.

ولعله بسبب مرض حزقيا كان منسًّى ابنه شريكًا معه في الحكم، لكن كان رئيس الكهنة هو الذي يقوم بمهام الملك.

٣. يرى آخرون أنها تمت في القرن الرابع ق.م، في عصر أرتحشَشتا الثالث وحملته الجنوبية والتي توقفت في اليهودية عند بيت فلّوى. ويرفض كثيرون هذا الرأي، لأن السفر لم يشر إلى السبي البابلي، ولا ذِكر المكابيين.

غايته

١. الأمانة في حياتنا مع الله تهبنا سلامًا وأمانًا مهما كانت الظروف المحيطة بنا.

---

[1] *TCE, article "Judith", VIII, (The Ency. Press, Inc., N.Y.), 555, citing Calmet's "Introd. in Lib. Judith".*

٢. يكشف السفر عن أهمية التدقيق في حفظ الوصية الإلهية، فقد حافظت يهوديت على الشريعة بتدقيقٍ شديدٍ (٨: ٦؛ ١٢: ٢).

مفتاح السفر

"والَّذينَ يَتَّقونَكَ تَكونُ عنهُم راضِيًا" (١٦: ١٥).

سماته

١. يتسم السفر بالسلاسة في الأسلوب.

٢. عالج السفر **موضوع الألم**، وهو الموضوع الذي يشغل بعض الأسفار الأخرى. لم يُظهر الألم هنا كتأديبٍ أو عقابٍ لقمع خطايا معينة، إذ لم يرتكب الشعب عبادة الأوثان كما فعل في الماضي (٨: ١٨-٢١). إنه ليس علامة غضب إلهي، بل نراه هنا دعوة إلى فضيلة أسمى وإلى بذل النفس من أجل خلاص الشعب وإنقاذ المدينة المقدسة (٨: ٢١-٢٤). لقد قبلته يهوديت بروح الشكر بكونه علامة على عناية الله بشعبه (٨: ٢٥)[١].

٣. أبرز السفر **خطورة الكبرياء**، فنرى نبوخذنصر يُقيم نفسه إلهًا، ويستخدم القوة لاعتراف كل الشعوب به أنه الإله الأوحد (٣: ٨).

٤. يرى بعض الدارسين أن هذا السفر مثل دانيال يُعتبر **سفر رؤيوي أخروي**، يقدم لنا رؤية عن أحداث مجيء ضد المسيح. لكن وإن حمل السفر المفهوم الرمزي والرؤيوي الأخروي إلا أنه سفر تاريخي يُسجل أحداثًا تاريخية حقيقية. يرى *Scholz* أن هجمات هولوفرنيس تمثل هجمات ضد المسيح على كنيسة الله في كل الأمم، ومدينة بيت فَلْوى ويهوديت تمثلان إسرائيل والكنيسة[٢].

لقد حملت تسبحة يهوديت لمسات رؤيوية أُخروية (١٦: ١٥، ١٧).

٥. يرى كثير من الدارسين أن السفر لا يهدف إلى عرض تاريخي لحدث ما، قدر **ما يبرز الفكر اللاهوتي، مع التركيز على الاهتمام بالطقوس الناموسية**[٣]. لقد كتب لتأكيد أهمية المثابرة على الصلاة وحفظ الناموس، بها غلبت امرأة أقوى الجيوش[٤].

---

[١] دار الشروق، بيروت ١٩٨٨: الكتاب المقدس – العهد القديم، ص ٩٠٤.

[2] *Cf. Carey Moore, p. 73-74.*

[3] *W.O.E. Oestereley: Books of the Apocrypha, N.Y. 1914, p. 38.*

[4] *Norman B .Johnson: Prayer in the Apocrypha..., 1948, p. 7.*

غاية الكاتب لا أن يستعرض قصة ما، بل أن يكرز[1].

يهدف السفر إلى تأكيد أن الله لن يتخلى عن شعبه ما داموا أمناء له، وأنه يليق بالمؤمنين أن يتحفظوا بل ويقاوموا العادات الشريرة والرجاسات التي تدنس المقدس؛ كما يقدم يهوديت كمَثَلٍ لبطلة تحب الله وتثق فيه[2].

٦. لعل من أروع ما اتسم به السفر هو **عدم الفصل بين الحياة الشخصية والحياة الجماعية**، فمن جانب يصور لنا السفر حياة يهوديت التقوية الشخصية سواء خلال صلواتها الخاصة أو نسكها الشخصي أو تواضعها في مواقفٍ كثيرةٍ، وحياة الجماعة حيث نسمع صرخات الشعب معًا، وصلواتهم وتذللهم بروح جماعي. حتى في الطلبة لله امتزج الدافع الشخصي مع الجماعي، فكانت كل أسرة تخشى أن تُغتصب نساؤها وأن يؤسر أطفالها وفي نفس الوقت تخشى دمار المدن خاصة أورشليم مدينة الله، وأن يُدنس هيكل الرب بالعبادة الوثنية والرجاسات.

٧. إن كان الشعب قد تذمر بسبب تجربة الشرب والطعام، حيث عسكر جيش أشور حول المياه في الوادي لمنع الشعب من مصدر الشرب وأيضًا الطعام، فقد سمح الله ليهوديت أن تحمل رأس أليفانا في حقيبة وصيفتها التي كانت تضع فيها الطعام. **وكأن الله يُقدم للشعب طعامًا خلال رأس أليفانا المقطوعة.**

٨. يُحسب البعض سفر يهوديت **سفر الصلاة**؛ ففي كل موقف عاشته يهوديت كانت ترفع قلبها لله بالصلاة، وقد سجل لنا السفر بعض صلواتها وتسابيحها. وهو في هذا يكشف عن سرّ النصرة؛ هنا يهوديت تشبه أستير (وردت صلواتها في تتمة دانيال)، وسارة زوجة طوبيت، ووالدة الشهداء في ٢ مكابيين، وسوسنة العفيفة الخ.

لغة السفر

كُتب باللغة العبرية، لكن الأصل العبري فُقد، وكل النسخ الباقية ترجع في أصولها عن طريق اللغة اليونانية إلى النسخة العبرية الأصلية. حاليًا يوجد نصّان بالعبرية، واحد مطوّل يتفق مع النص اليوناني، والآخر مختصر.

يوجد هذا السفر باليونانية واللاتينية، الأولى تحوي على الأقل ٨٤ آية أكثر من

---

[1] *Adolphe Lods: Histoire de la littérature hébraique et juive, paris 1950, p. 789.*

[2] *L.Soubigou: Judith, La Sainte Bible de Loius et Albest Clamer, 4, Paris. 1952, p. 495-496. Cf. Carey Moore, p. 77.*

الأخيرة[1].

يقول القديس جيروم[2] إنه قام بترجمة السفر عن الكلدانية في ليلةٍ واحدة، ليقدم المعنى، ولم يلتزم بالكلمات. كما قال إنه عبّر باللاتينية فقط بما استطاع أن يفهمه من الكلدانية.

كثيرًا ما ذكر القديس جيروم أنه قدم ترجمة مختصرة للسفر حاسبًا أن النص السبعيني اليوناني والنص العبري المطوّل يمثلان الأصل.

جاءنا النص اليوناني في المخطوطات السبعينية الثلاثة: الفاتيكانية، والإسكندرانية، الباسيليونو فاتيكانية *Basiliano-Vaticanus*. أما السينائية فقد امتدت إليها مؤخرًا اليد وحذفت بعض الكلمات والعبارات وأحيانًا فقرات.

يقول دميان ماكي إنه يقبل الرأي التقليدي بأن النص الأصلي قد وضع حوالي عام ٧٠٠ ق.م. وللأسف ليس لدينا النص الأصلي حاليًا، الذي يصرّ النقاد المعاصرون أنه كُتب باللغة العبرية، وأن شارلس يدعوه "سفر أو درج يهوديت[3]". وجاء في دائرة المعارف اليهودية أيضًا أن لابد أن يكون الأصل عبريًا[4].

لقد جاء السفر يحمل تعبيرات عبرية أصيلة مثل: "مدة ثلاثين يومًا" (يهـو ١٥: ١١)، "كل جسد" (تك ٦: ١٣)؛ "وجه الأرض" (عا ٥: ٨)، "يضرب بحد السيف" (مز ٨٩: ٤٣) الخ.

يصرّ شارلس على ذلك، فيقول: [الترجمة (اليونانية) حرفية جدًا حتى أنه يمكن إرجاع الأصل العبري بسهولة وفي حالات كثيرة تصير أكثر قبولاً عندما يُعاد ترجمتها[5].]

جاء في دائرة المعارف الكاثوليكية أن الاختلافات في النص الحالي تشير إلى وجود أصل قديم للغاية: [بالنسبة إلى حالة النص يلزم ملاحظة أن الاختلافات غير العادية بين النصوص المختلفة هي في حد ذاتها دليل على أن النصوص مأخوذة عن نسخة قديمة سابقة لمدة طويلة عن المترجمين[6].]

---

[1] *http://www.newadvent.org/cathen/08554a.htm*
[2] *Praef. In Lib.*
[3] *Charles,* Op. cit., *243.*
[4] *] E.J., 452, 460. See also Leahy, op. cit., 403. A.F. Rainey, 'The Toponymics of Eretz-Israel' in ASOR Bulletin, No. 231, Oct 1978, p. 1-17.*
[5] *Charles,* Op. cit., *244.*
[6] *TCE, article* "Judith", *VIII, (The Ency. Press, Inc., N.Y.), 555, citing Calmet's* "Introd. in Lib. Judith".

كان لشخصية يهوديت اعتبارها الخاص لدى اليهود، فوُجد سفر خاص بها، وإن كانوا لم يحسبوه سفرًا قانونيًا، لكنهم ضموه كتكملة للأسفار التاريخية ولسفر إشعياء النبي.

لماذا رفض اليهود سفر يهوديت؟[1]

بالرغم من أن سفر يهوديت في شكله السامي **Semitic** يضم كل ما يخص اليهودية الفلسطينية، مثل الحديث عن الله، والصلاة، والأطعمة المحللة، والذبيحة، والهيكل، وأورشليم، الأمر التي لم ترد هكذا في سفر أستير، لكنه لم يرد من بين قائمة الأسفار القانونية في فلسطين أو في قمران، ولعل استبعادهم للسفر علته الأسباب التالية:

١. رفض الأسينيون ***Essenes*** الذين عاشوا في تجمعات نسكية مثل جماعة قمران ***Qumran*** السفر من أجل العناصر الفريسية الواردة فيه.

٢. رفضه الربيون ***Rabbis*** وهم الذين كانوا مسئولين عن تقنين الأسفار في المراحل الأخيرة، من أجل اتجاهه الجامعي مثل قبوله الحديث عن مدن السامرة، وأيضًا ضم العمونيين (مثل أحيور) إلى الإيمان اليهودي.

٣. يرى ***Craven*** أن الربيين ***Rabbis*** الذين قاموا بتقنين الأسفار تطلعوا إلى يهوديت كشخصية متطرفة راديكالية ***radical***. فقد رأى بعض الحكماء اليهود القدامى في شخصيتها خطورة على المجتمع اليهودي. فمع أمانتها للناموس بحرفية، لكنها لم تكن مدققة في طرق سلوكها حسب التقليد اليهودي. فإنها لم تخشَ سوى يهوه وحده؛ إذ قامت بتوبيخ قادة المدينة، كما قامت بالتخطيط والتنفيذ دون أن تبوح بما في قلبها وفكرها حتى لقادة بلدها الخ. يتساءل البعض: ماذا يكون حال المجتمع اليهودي لو اقتدت النساء جميعهن بيهوديت؟

ماذا يكون الحال إن صار من حق النساء توبيخ قادة المجتمعات؟

وإن كانت لهن الجرأة للتخطيط والتنفيذ في أمور تتعلق بالبلد كلها في سرية دون إباحة ما في أفكارهن للقادة؟

ماذا لو رفضت النساء الزواج مثل يهوديت؟

وماذا لو صارت للنساء ملكيتهن من أموال وعبيد وجوارٍ؟

ماذا لو استأجرت النساء وصيفات يدبرن أموالهن مثلما فعلت يهوديت؟

هكذا تخيل الحكماء القدامى أن كل نساء المجتمع سيتمثلن بيهوديت ويحملن ذات

---

[1] *Cf. Carey Moore, p. 86 ff.*

مواهبها وقدراتها.

٤. يرى *H. M. Orlinsky* أن الربيين رفضوا السفر، لأنه يتعارض مع الحلقة[1] *Halakh* التي لهم حيث تطالب الأممي الذي يتهود أولاً أن يختتن ثم ينال العماد[2] لكي يصير يهوديًا.

٥. يرى البعض أن السفر كان مرتبطًا بعيد الحانوكا *Hanuhkah*، وإذ لم يعد العيد مقبولاً بعد أسرة الحشمونيين *Hasmonean* أو المكابيين، صار السفر لدى البعض ليس بذي قيمة.

لم يقبل اليهود هذا السفر لأنه لم يوجد في عصر عزرا الكاتب الذي جمع أسفار العهد القديم، كما لم يورده يوسيفوس المؤرخ في قائمة الأسفار التي ذكرها. غير أننا لا ننسى أن بعض الأسفار القديمة لم يعثر عليها عزرا عندما جمع الأسفار المقدسة. هذا مع ملاحظة أن اليهود كانوا ينظرون إلى الكتبة في فترة ما بعد عزرا.

اعتاد اليهود قراءة بعض الأسفار في أعيادهم، مثل:

١. عيد الحانوكا (التجديد): سفر يهوديت.

٢. عيد الفصح: سفر نشيد الأناشيد.

٣. عيد الحصاد أو الأسابيع: سفر راعوث.

٤. عيد المظال: سفر الجامعة.

٥. عيد الفوريم: سفر أستير.

٦. ذكرى خراب الهيكل: مراثي إرميا.

قانونية السفر

ترجمت النسخة السامية لسفر يهوديت إلى اليونانية لأجل نفع اليهود الذين لم يعرفوا العبرية. لذلك وُجد هذا العمل في أقدم النسخ للترجمة السبعينية، وقد اقتبس منه القديس إكليمنضس الروماني صديق القديس بولس[3]. لكنه لم يُعرف في العبرية، ولا أشار إليه المؤرخ يوسيفوس. جاء في مقدمة هذا العمل للقديس چيروم إن هذا السفر يُقرأ بين *Hagiographa* لدى اليهود باللغة الكلدانية. كما عرف هذا العمل أوريجينوس في الكتاب

---

[1] الحلقة هي هيكل الناموس اليهودي في تلمود، وهي تفسر وتقدم إضافات لشرائع العهد القديم.

[2] هذا المتطلب صار إلزاميًا بعد عام ٦٥م.

[3] *Clem. Rom.: Ep. to Corinth. 1: 55.*

المقدس باليونانية[1].

لم يدرج الربّانيون اليهود سفر يهوديت في المجموعة الرسمية للأسفار المقدسة. هذا أدى إلى شيء من التردد في الكنيسة الأولى، غير أن استخدام هذا السفر كان شائعًا عند آباء الكنيسة والكتّاب المسيحيين حتى بين الذين لم يحسبوه ضمن الأسفار القانونية.

في الشرق رأى الآباء قانونية السفر، منهم **القديس إكليمنضس السكندري**، وكاتب العمل *Diaclectica Timothei et Aquilae*، **وجونيلوس** *Junilius* (حولي ٥٤٢م)، **وعبد يسوع** (عبد جيسي) *Ebdjesu*.

وفي الغرب قبله الآباء هيلاري أسقف بواتيه وأغسطينوس وأيوسنت الأول (٤٠١-٤١٧) **والمدعو جلسيوس** *Pseudo-Gelasius* **وكاسيودورس** *Cassiodorus* (حوالي ٤٨٥- حوالي ٥٨٥) **وإيسيذورس من ميليتس** *Isidorus of Miletus* (٥٦٠-٦٣٦)، وورد في قوائم *Codex Claromonyanus and Libre saeramentasun* في القرن السادس/السابع م).

جاء في مقدمة سفر يهوديت التي كتبها **القديس جيروم** أن السفر لم يوجد في الكتاب المقدس العبري، وأن مجمع نيقية الأول أقر قانونية هذا السفر، واعتبره واحدًا من الأسفار المُوحى بها.

لا يظهر في مستندات مجمع نيقية وقوانينه إعلان عن قبول سفر يهوديت بين الأسفار القانونية. ربما يشير **القديس جيروم** إلى استخدام المجمع بعض عبارات من السفر أثناء المناقشات بكونها عبارات كتابية. ولعله توجد قوانين فرعية أو قوانين منسوبة للمجمع تشير إلى قانونية السفر.

كما أن مجمع قرطاجنة في قانونه السابع والعشرين اعترف بأن هذا السفر من الأسفار القانونية للتوراة[2]. هذا وقد جاء ضمن قائمة الأسفار القانونية التي وضعها إينوقنتيوس أسقف روما سنة ٤٠٥م، وأيضًا في مجمع فلورنسا عام ١١٤٢م، وترينت عام ١٥٤٦م.

من المؤكد أن الآباء في العصور الأولى كانوا يحسبونه سفرًا قانونيًا. فالقديس بولس اقتبس من النص اليوناني للسفر ما ورد في ١ كو ٢: ١٠ (يهو ٨: ١٤)؛ وأيضًا ١ كو

---

[1] *Origen: Ep. to African,13.*

[2] ايهاب رئيف وهيب: سفر يهوديت ١٩٩٦، ص ٦.

١٠: ١٠ (يهو ٨: ٢٥). اقتبست الكنيسة الأولى عبارات من السفر بكونه سفرًا قانونيًا كما جاء في رسالة القديس إكليمنضس الروماني الأولى (ف ٥٥) والقديس إكليمنضس السكندري والعلامة أوريجينوس والعلامة ترتليان.

قصة يهوديت حقيقة تاريخية، وكما يقول Leahy[1]:

١. حسب التقليد اليهودي والمسيحي ومفسري الكتاب المقدس إلى القرن السادس عشر يتطلعون إلى السفر كسفرٍ تاريخي.

٢. التفاصيل التاريخية والجغرافية والخاصة بالأحداث والأنساب تشير إلى أن القصة تمثل واقعًا تاريخيًا.

٣. يتحدث الكاتب عن نسل أحور بكونهم أحياء في عهده (١٤: ٦)، وأن الاحتفال السنوي لازال في أيامه قائمًا حيث يمجدون نصرة يهوديت (١٦: ٣١)[2].

٤. يقول *Carey A. Moore*: [مكيدة يهوديت بسيطة وصريحة بما فيه الكفاية، مما يجعل القصة حقيقية واقعية أكثر منها خيال[3].]

٥. هذا وقد قبل بعض الدارسين هذه القصة بكونها واقعية، لأنها لا تحمل معجزات خارقة. وكتب *Moore*: [دمار هولوفرنيس تحقق خلال مجهودات بشرية أكثر منها تدخل إلهي معجزي، ولتأكيد ذلك فإن يهوديت وشعبها دعوا الله بالصلاة والصوم (٤: ١، ١١: ١٣)، ومع هذا فقد تحققت النصرة بشجاعةٍ فائقةٍ ومكرٍ. وبينما حسب كل إسرائيل، ومن بينهم يهوديت، الفضل الأول هو لله، وباتفاق جماعي حسبوا يهوديت وسيلة لتحقيق ذلك (١٣: ١٥، ١٨، ٢٠؛ ١٦: ٥)[4].]

المجامع التي أقرت قانونية السفر

١. مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.

٢. مجمع هيبو ٣٩٣م.

٣. مجمع قرطاجنة الأول سنة ٣٩٧م.

---

[1] *Judith, 404. See also TCE, 554.*

[2] *The*"festival" *to which Leahy refers here may possibly be the Hannukah itself. Though Judas Maccabeus is thought to have instituted Hannukah on the 25th of Chislev, the feast of the Temple's Dedication, he may in fact have been merely reviving what was already an old feast that had become neglected during the régime of Antiochus 'Epiphanes', as he certainly did revive Mordecai's feast (no doubt Purim) on the 13th of Adar (1 Maccabees 7:49).*

[3] *Carey A. Moore: Judith (The Anchor Bible, 40. N.Y. 1985, p. 44).*

[4] *Moore, p. 45.*

٤. مجمع قرطاجنة الثاني سنة ٤١٩م.

مجامع الكنائس الخلقيدونية

١. مجمع فلورنسا سنة ١١٤٢م.

٢. مجمع ترنت سنة ١٥٤٦م.

٣. مجمع القسطنطينية سنة ١٦٤٢م.

٤. مجمع أورشليم (الكنيسة اليونانية) سنة ١٦٧٢م.

سفر يهوديت والعهد الجديد

واضح أن كتّاب العهد الجديد قد عرفوا هذا السفر، وإن كانوا غالبًا لم يقتبسوا منه عبارات حرفية:

أ. "فأما الذين لم يقبلوا البلاد بخشية الرب، بل أبدوا جزعهم، وعاد تذمرهم على الرب، فاستأصلهم وهلكوا بالحيات" (٨: ٢٤-٢٥). وقد ورد في (١ كو ١٠: ٩): "ولا نجرب المسيح كما جرّب أيضًا أُناس منهم فأهلكتهم الحيّات".

ب. "مباركة أنتِ في النساء" (١٣: ٢٣؛ لو ١: ٤٢).

راجع يهو ١: ١١ مع لو ٢٠: ١١؛ يهو ٨: ٦ مع لو ٢: ٢٧؛ يهو ٨: ١٤ مع ١ كو ٢: ١١؛ يهو ٨: ٢٥ مع يع ١: ٢؛ يهو ١٣: ١٨ مع لو ١: ٤٢؛ يهو ١٣: ١٩ مع مت ٢٦: ١٣.

الصلاة في سفر يهوديت

يركز السفر على الصلاة كسبيلٍ ووسيلةً للخلاص من ضيقاتنا، حيث نلقي بمتاعبنا عند قدميّ الله، وتتسكب نفوسنا أمامه.

* صراخ رجال إسرائيل الحار (٤: ٩، ١٥).
* سجود الشعب لله والصراخ إليه (٦: ١٨-١٩).
* عندما خارت عزيمة بني إسرائيل صرخوا إلى الله (٧: ٢٩).
* صلوات يهوديت (٩: ١؛ ١٢: ٨؛ ١٣: ١٠).

التسبيح في سفر يهوديت

دعوة يهوديت الشعب للتسبيح (٨: ٢٥-٢٧).

تسبيحها في الصلاة	(٩: ١ الخ).
يبارك عزيا يهوديت	(١٣: ١٨-٢٠).
يشكر الشعب الله ويباركون يهوديت	(١٥: ٩-١٠).
نشيد الخلاص	(١٦: ١-١٧).

العفّة في سفر يهوديت

يُعتبر سفر يهوديت مقالاً رائعًا عمليًا عن حياة العفّة، وإمكانياتها في حياة المؤمنين، فسِرّ قوة يهوديت التصاقها بالله القدوس وشركتها خلال حياة العفّة والطهارة.

اعتراضات على السفر

أولاً: يظهر نبوخذنصر هنا كأنه ملك نينوى، وهي مدينة فتحها ودمَّرها عام ٦١٢ ق.م. جيش نبوبلصر والد نبوخذنصر الذي تحالف مع جيش مادي. أما نبوخذنصر فعاصمة مملكته بابل، وهو المنتصر على أورشليم ومدمرها، بينما نراه في هذا السفر يرسل جيشه في حملة تنتهي بالهزيمة. هذا ومن جانب آخر، فإن أليفانا قائد الجيش وبوغا خصيُّه، فيحملان اسمين فارسيين، وردا في نصوص غير كتابية تروي حملة لأرتحشستا الثالث (٣٥٩-٣٣٨ ق.م).

يذكر دميان ماكي *Damien Mackey*[١] محاولة البعض للتعرف على ما يقصده السفر من شخصية نبوخذنصر هنا، فيورد الافتراضات التالية:

١. أشوربانيبال ***Ashurbanibal*** (حوالي عام ٦٢٠ ق.م.) حفيد سنحاريب *Sennacherib*. يعتمد القائلون بهذا الرأي على وجود نوع من التشابه خاصة بخصوص حرب أشوربانيبال مع فرارتس *Phraotes, Phrarts* الميدياني، وإذ قبض الأشوريون على منسَّى ملك يهوذا أخذوه إلى بابل، وتركوا أورشليم بلا ملك. هذا يطابق ما ورد في السفر حيث لا يُشار إلى ملكٍ في يهوذا في كل قصة يهوديت. غير أن هذا الرأي يجد اعتراضًا فإن أشوربانيبال لم يعان قط من أي تقهقر أمام اليهود. هذا وقد ورد في القصة أن يهوديت عاشت حتى بلغت ١٠٥ سنة ولم يعانِ اليهود من متاعب أيام يهوديت وبعدها أيضًا لمدة طويلة (يهو ١٦: ٢٣-٢٥). هذا لا يناسب أشوربانيبال، لأن يوشيا ملك يهوذا هُزم في معركة مجدو عام ٦٠٩ ق.م.

---

[1] *Damien Mackey, A Historical Commentary on the Book of Judith, March 2003.*

يرى *M. Leahy* أن هذا العمل المجيد ليهوديت لا يمكن أن يكون قد حدث في أيام أشوربانيبال *Ashurbanibal*، لأن يوشيا *Josias* ملك يهوذا انهزم وقُتل في معركة مجدو *Megiddo* عام ٦٠٩ ق. م.[١]

٢. **أرتحشتا أو أحشويرش الثالث *Araxerxes III***، حوالي عام ٣٠٥ ق.م. حيث غزا أحشويرش الثالث *Araxerxes Ochus* فلسطين في طريقه إلى مصر، وهولوفرنيس *Holofernes* الرئيس الكبادوكي محاربًا مصر[٢]. هولوفرنيس وباغوس *Bagoos* اسمان فارسيان[٣].

٣. **مجلس شيوخ للشعب ثانٍ *Second Commonwealth***: يرى البعض أن عدم الإشارة إلى وجود ملك، وإنما يوجد مجلس شيوخ للشعب *Gerousia* في أورشليم (يهو ٤: ٨) يؤكد نظرتهم بأن هذه الأحداث الخاصة بيهوديت ترجع إلى فترة *Second Commonwealth* عندما كانت أورشليم يحكمها مجلس وليس كاهن. غير أن الكلمة اليونانية المترجمة مجلسًا استخدمت في لا ٩: ١ بـ "القدامى" Zapen. فيمكن أن تعني شيوخ إسرائيل، كما يوجد مجلس لمدينة بيت فَلْوى *Bethulia* أثناء الهجوم الأشوري (يهو ٦: ١٦).

٤. **المكابيون *Maccabees***: يرى الفريق القائل أن هذه القصة تحققت في أيام المكابيين أن ظروف القصة تتناسب اجتماعيًا وسياسيًا مع عصر المكابيين. فنبوخذنصر هنا يشير إلى ملك يوناني أو آخر مثل أنطيخوس أبيفانس *Antiochus Epiphanes* الذي كان يكره اليهود والذي أمر جيوشه أن يحاصر أورشليم.

٥. **فترة سنحاريب *Sennacherib's era***: كل هذه الافتراضات مع ما لها من وجهة تقارب من شخصية نبوخذنصر الواردة في سفر يهوديت غير أن لها ما يضادها أيضًا. ويرى دميان ماكي أنها تنطبق بالأكثر على فترة سنحاريب والملك حزقيا *Hezekiah*. في عصر آسرحدون/سنحاريب الذي حكم الأشوريين في نينوى، كان مردوخ بالادان *Merdach-Baladan* حاكمًا على الكلدانيين في بابل.

يرد على ذلك أن حادثة سفر يهوديت سابقة لزمن نبوخذنصر الذي سبى اليهود إلى

---

[1] *Cf. Damien Mackey, A Historical Commentary on the Book of Judith, March 2003; M. Leahy:* Judith, *407.*

[2] *Thus Diodorus Siculus xvii, 6, 1, as referred to in Encyclopedia Judaica (EJ), "Judith".*

[3] *E.J., Ibid. Douay gives Vagao, rather than Bagoas; Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. II (Greenwood Press, NY.), p. 97.*

بابل. وأن المذكور في هذا السفر هو آسرحدون بن سنحاريب أو سوصدقيم آسرحدون. وقد كان اسم نبوخذنصر اسم علم لكثير من ملوك الأشوريين (عاصمتهم نينوى قبل دمارها على يد نبوبلصر)، وذلك كما أن اسم "فرعون" يلقب به ملوك مصر. فإن سنحاريب بعد أن خُذلت حملته في اليهودية، إذ هلك منها في ليلة واحدة ١٨٥ ألفًا، وعاد منكس الرأس إلى نينوى، انقض عليه ابناه وهو ساجد في معبده الوثني وقتلاه، فخلفه آسرحدون، وأراد أن يأخذ بثأر أبيه فطارد القاتلين إلى بلاد أرمينيا، فأدركهما واستولى على هذه البلاد. وقد ساقه الطمع فاستهوته الفتوحات إلى الإغارة على بلاد الماديين. والذي بعثه على ذلك بالأكثر حب الانتقام من ملكها المدعو فرارتس *Phrarts* أو أرفكشاد *Arphaxad* الذي ظهر كمحبٍ لليهود أعداء أبيه؛ لأنه أحسن إلى كل الذين كانوا مسبيين في ولايته، وردهم إلى بلادهم بإكرام وعطايا تليق بملكٍ حليمٍ وعادلٍ. لهذا دعُوه الملك العظيم الحليم. انتصر آسرحدون أو ابنه على فرارتس وضم مملكة الماديين إلى مملكة أشور. وإذ قصد الانتقام من أعداء أبيه وهم اليهود أرسل قائده أليفانا ليخرب بلادهم ويخضعهم، فهلك بتلك الحيلة التي دبرتها يهوديت وتبدد جيشه[1].

ثانيًا: ليس في التاريخ من يُدعى من ملوك الماديين ملك أرفكشاد بنى مدينة تُدعى أحمتا، إنما الذي بناها ديوسيس Deioces كما روى هيرودوت.

يرد على ذلك بأن بناء مدينة قد يُنسب لأكثر من ملك، وبحسب رواية هيرودوت فإن ديوسيس Deioces هذا قد خلفه على كرسي الحكم ابنه أرفكشاد الذي يدعوه بعض المؤرخين "فرا"، ويسميه هيرودوت "فرارتس Phraortes"، ومعناه "الملك العظيم" أو "فرا العظيم"، لأن كلمة "وارتس" الفارسية معناها "العظيم"، وأُضيف على اسمه "كشاد" ومعناها "الحليم". جعل ديوسيس منها عاصمة لمادي عام ٧٠٠ ق.م في المنطقة الواقعة شرق أشور، ولعل أرفكشاد قد أكمل عمل والده، فأضاف على المدينة الكثير، وجعلها من أعظم المدن، فنسبها اليهود إليه، وإن كان أبوه هو الذي بدأ العمل[2].

ثالثًا: يعترض البعض بأنهم يشمئزوا من فظاعة العمل: امرأة جميلة تقتل بحيلة قائدًا عظيمًا لتخلص شعبها؛ تقطع رأسه وتضعها في جعبتها[3].

---

[1] القس مرقس حنا: سفر يهوديت، لوس أنجيلوس ٢٠٠٠، ص ١٥-١٦.

[2] القس مرقس حنا، ص ١٥.

[3] دراسات بيبلية: ١ القراءة المسيحية للعهد القديم، بيروت ١٩٩١، ص ١٤٧ الخ.

يرد على ذلك بالآتي:

أ. يذكر الكتاب عن ثامار أنها استخدمت الحيلة حيث خلعت ثياب ترملها، وتغطت ببرقع، فظنها حماها زانية، فدخل عليها. وهي في هذا أرادت أن تنجب ابنًا لرجلها الميت من الولي (حسب الشريعة فيما بعد). وقد شهد يهوذا قائلاً: "هي أبرّ مني، لأني لم أعطها أشيلة ابني" (تك ٣٨: ٢٦).

ب. استخدم القاضي إهود بن جيرا البنياميني حيلة وقتل عجلون ملك موآب لينقذ شعبه (قض ٣: ١٢-٣٠).

ج. قتلت ياعيل امرأة حابر القيني سيسرا بخِدعة، حيث قدمت له في عطشه لبنًا ونام بسبب التعب، وضربت رأسه بوتد الخيمة. وقد تغنت النبية دبورة قائلة: "بين رجليها انطرح، سقط، اضطجع... من الكوة أشرفت وولولت أم سيسرا من الشباك. لماذا أبطأت مركباته عن المجيء" (قض ٥: ٢٧-٢٨).

هذا وتبقى شخصية يهوديت وتصرفها موضع إعجاب ومديح الكثيرين من آباء الكنيسة والكتّاب المسيحيين:

أ. اتسمت هذه الأرملة الجميلة **بالتقوى مع الشجاعة**، ترفع معنويات القادة والشعب وتشددهم بالإيمان الحيّ بالله واهب النصرة.

ب. كان **سلاحها الأول هو الصلاة والإيمان**، ولكن في غير تراخٍ أو إهمالٍ من جهة العمل. اتسمت يهوديت بالسلام الداخلي العجيب، وسرّ سلامها إيمانها بحضور الله في حياتها، تعيش مع الله في العُلية، تكرس حياتها له وللصلاة من أجل شعبه. فأدركت أن ما حلّ بالشعب إنما لامتحانه وتزكيته.

ج. إن كان الله قد وهبها جمال الجسد، فقد **تمتعت بجمال الروح كعطيةٍ إلهيةٍ**. استخدمت عطية جمالها الجسدي كسلاحٍ في حكمة وبطهارة. لقد غامرت ودخلت معسكر نبوخذنصر كما إلى مستنقع موبوء، لكنها لم تتحرك إلا بعد استشارة الله القدوس. لقد صلّت وصامت ولبست المسوح قبل أن تتحرك لأخذ القرار وتنفيذه.

دخلت المستنقع دون أن تتلوث. لقد رأت أليفانا في سكره، فلم تفقد صوابها، ولا سكرت معه أو وعدته بشيء. لم تأتِ بأية قباحة لتحقق النصرة على الشر. لقد آمنت أنه لا يُغلب الشر بالشر، بل بالطهارة والقداسة والحق. لم تستعمل جسدها لتحقيق هدفها، ولا كذبت على أليفانا ولا داهنته فأوهمته أنه سيد الأرض كلها. لم تختلس النصرة بطرق بشرية

خاطئة، إنما كان القدوس أمام نصب عينيها.

د. كأرملة غنية وجميلة وذات مهابة **لم يرتفع قلبها بالكبرياء**، بل أحبت العاطي لا العطايا، وارتفعت بقلبها إلى القدوس لتتمتع بمن يحبها. كانت العلية المكان المحبوب لها لتتمتع بالحب الإلهي، فوهبها أكثر مما سألت!

اتسمت يهوديت بروح التواضع، فإن كانت قد بكّتت القادة على قلة إيمانهم (٨: ٩-١٧)، لكنها طلبت منهم أن يسندوها بالصلوات (٨: ١٣، ٣١). فهي في حاجة إلى معونتهم لها. وعند لقاءها بقائد قوات العدو سجدت أمامه إلى الأرض (١٠: ٢٠). وفي انتصارها نسبت النصرة لله ومجّدته أمام الشعب.

هـ. لم تكن يهوديت قائدة أو مسئولة في أعين الشعب، ومع هذا فإن قلبها الناري رفعها إلى عمل قيادي جبار وشعور بالالتزام والمسئولية. فبينما تراخى رؤساء الشعب أمام ضيق الحصار وحددوا للشعب خمسة أيام كحدٍ أقصى لانتظار عمل الرب وإلا الاستسلام، صرخت يهوديت بقوة: "من نحن حتى نمتحن الله، ومن نحن لنصنع الموعد لعمل القدوس؟ هو الرب، وله الحق بامتحاننا وافتقادنا!"

في شجاعة وبّخت القادة والشعب، وذكّرتهم بعمل الله في الماضي، ووبختهم على قلّة إيمانهم.

د. **اتسمت يهوديت بحياة الشكر والتسبيح**، فإننا كثيرًا ما نصرخ لله أثناء الضيق، لكننا ننسى تقديم الشكر والتسبيح له بعد أن ينقذنا. أما هذا السفر فقدم لنا ثلاثة صلوات ليهوديت: صلاة وسط الضيق، صلاة قبل العمل، وصلاة شكر وتسبيح بعد النصرة.

الصلاة الأولى: أثناء الضيق (٩: ٢-١٩) وهي في مخدعها.

الصلاة الثانية: قبل بدء تنفيذ الخطة (١٣: ٧) وهي في خيمة العدو.

الصلاة الثالثة: وهي تسبحة وشكر لله داخل المدينة وسط الشعب بعد الانتصار (١٦: ٢-٢١).

قدمت صلوات شخصية أينما وُجدت، وقدمت صلوات وتسابيح جماعية مع الشعب! وعندما وُجدت في مكانٍ غريبٍ طلبت تصريحًا لها بالصلاة (١٢: ٦).

شخصية يهوديت[1]

يرى البعض في يهوديت صورة حيّة لأبيها يعقوب، الذي ترك بيته وهزم (عيسو المقاوم له؟؟، وترك خاله (الذي أراد هلاكه) هاربًا بسلام من أرضه دون أن يدري.

تتشبه أيضًا بالقائد موسى النبي، حيث واجهت نقص المياه وعطش الشعب الشديد الذي دفعهم إلى التذمر على الله (خر ١٧؛ عد ٢٠؛ تث ٣٣)، واستطاعت بالعون الإلهي أن تسند الشعب على حفظه العهد مع الله واليقين في عمله الخلاصي.

يهوديت تشبه أبيجايل، التي نزلت من الجبل وأخذت معها طعامًا، وتواضعت أمام قائد عسكري (داود النبي)، واهتمت بأمر رجل سكّير غبي (نابال) انتهت حياته بالموت المريع (١ صم ٢٥).

تشبهت يهوديت بالملكة أستير، التي استغلت جمالها بروح الصلاة والتقوى والإيمان بالله العامل حتى بجمالها لإنقاذ شعبها، والذي وهبها روح الحكمة كما أعطاها نعمة أمام الذي أراد إهلاك شعبها.

تشبهت أيضًا بالمكابيين، حيث أنقذت شعبها من السقوط في العبادة الوثنية كما من الدمار عسكريًا.

النسخ الأصلية للسفر

وُجدت النسخة الأصلية في لغة سامية، غالبًا ما كانت عبرية وليست أرامية. يُشير القديس جيروم إلى نسخة سامية مفقودة[2].

جاءت الترجمة اليونانية ترجمة حرفية للأصل العبري، حتى أنه إذا أُعيد ترجمته إلى العبرية كلمة كلمة يمكننا الوصول إلى الأصل العبري[3].

أحيور في العبرية معناها "أخ النور"؛ جاءت في المخطوطات اليونانية أخيود، حيث أن الدال والراء في العبرية في تشابه كبير. "أخيود" تعني "أخ اليهود" أو صديق اليهود".

شخصيات السفر

١. يهوديت: تحدثنا عن شخصية يهوديت قبلاً كأرملة جميلة تقية، متواضعة، وشجاعة، احتلت مركز قيادة خلال غيرتها المتقدة، وإيمانها الحيّ وثقتها في عمل الله. هي

---

[1] *The Oxford Bible Commentary, (J. Barton and J. Muddiman), 2000, p. 635.*

[2] *H. N. Richardson: Apocrypha & Pseudpigrapha, p. 536.*

[3] راجع راهب من دير البراموس، ص ١٦.

بطلة السفر ومحوره.

كانت أرملة لزوج يُدعى منسي، مات من ضربة شمس أثناء حصاد الشعير (٨: ٢-٣)، وظلت ثلاث سنوات وستة أشهر أرملة إلى حين استخدمها الله في خلاص شعبه (٨: ١-٤؛ ٩: ٣)، وقد عاشت حتى بلغت المائة وخمس سنوات (١٦: ٢٨) في بيت زوجها.

لم تكن شجاعتها عن تهورٍ، بل تتحرك بحكمة محفوظة بصلواتها وصلوات الآخرين عنها، تحت ظل جناحيّ الله.

كانت تُقيم في غرفة سرّية مغلقة عليها مع جواريها في أعلى منزلها (٨: ٥)، في قرية زوجها الذي كان من الأشراف "بيت فلّوى" أو بيت خلوي"، إلا أنها كانت ذات شهرة عظيمة بين جميع الناس لتقواها وعفتها (٨: ٨؛ ١٦: ٢٥). كانت تظهر في الأعياد بمجدٍ عظيمٍ (١٦: ٢٧)، وكانت غنيّة جدًا، ذات ثروة واسعة وحشَم كثيرين وأملاك (٨: ٧).

كانت من سبط رأوبين، بنت مراري (٨: ١)، وكان كبار شعبها يدعوها "قديسة" (٨: ٢٩).

"كانت تضع على حقويها مُسُحًا، وتصوم كل أيام حياتها" (٨: ٦؛ ٩: ١؛ ١٠: ٢) ماعدا في الأعياد. كانت أثناء الضيقة تصوم إلى المساء (١٢: ٩).

حافظت على الشريعة، فلم تتدنس بطعام قائد أشور الأممي (١٠: ١).

❖ لديكِ أرامل مثلكِ يستحققن أن يكُنّ نماذج لكِ؛ يهوديت المشهورة في قصة عبرية، وحنة بنت فنوئيل المشهورة في الإنجيل(لو ٢: ٣٦). كلتاهما عاشتا ليلاً ونهارًا في الهيكل، وحفظتا كنز طهارتهما بالصلاة والصوم. واحدة رمز للكنيسة التي قطعت رأس الشيطان، والأخرى تقبّلت على ذراعيها مخلص العالم، وأُعلنت لها الأسرار المقدسة العتيدة[1].

القديس جيروم

❖ إذ عرفت هذا يهوديت (أرملة ذات غنى عظيم، تتّسم بالجمال، لكنها بالأكثر تتميز بفضيلتها أكثر من جمالها)، هذه التي كانت في المحلة، فقد حسبت أنه في ظروف الضيق التي لشعبها يلزم أن تمارس الجرأة، ولو أدت إلى هلاكها. لقد زيّنت رأسها وجمّلت ملامحها، وأخذت جارية واحدة، ودخلت معسكر العدو. للحال اقتادوها إلى أليفانا، وأخبرته بأن شئون وطنها في انهيار، لذلك احتاطت لحياتها بالهروب.

---

[1] *Letter to Salvina, 79:10.*

توسلت إلى القائد أن يعطيها الحق في الخروج من المعسكر أثناء الليل، لتردد صلواتها. صدر هذا الأمر للحراس وحافظي الأبواب. ثبتت عادة خروجها وعودتها من وإلى المعسكر بممارسة ذلك ثلاثة أيام، وبهذه الطريقة أيضًا أوحت للبرابرة رغبة أليفانا في معاشرة هذه المسبية بسبب جمالها الفائق، بهذا كان لها أثرها على الفارسيين.

بهذا ذهبت إلى خيمة القائد بقيادة الخصي باغص، وبدأت وليمة حيث سكر البربري وصار في خبلٍ بشربه الخمر بكثرة. وإذ انسحب الخدام قبل أن يُعتدي بعنفٍ على المرأة نام. انتهزت يهوديت الفرصة، وقطعت رأس العدو، وحملته معها. وإذ حسبوا أنها خارجة كالعادة من المعسكر رجعت إلى شعبها بسلامٍ. وفي اليوم التالي عرضوا رأس أليفانا في أعلى (السور) وهجموا على معسكر العدو. فتجمع الأعداء معًا عند خيمة قائدهم ينتظرون علامة بدء المعركة. وإذ اكتشفوا جسمه المشوه هربوا في ذعرٍ معيبٍ أمام العدو.

أما اليهود، فمن جانبهم اقتفوا أثر الهاربين، وقتلوا الألاف منهم، واستولوا على المعسكر وما فيه من غنائم[1].

سالبيتوس سويرس

اتسمت يهوديت بروح التحدّي، تحدّت طبيعتها وانتصرت، فتحدّت القائد المقاوم لله فقتلته:

أ. تحدّت يهوديت أمومتها الطبيعية لتحمل أمومة للشعب كله. لم تنجب أطفالاً من رجلها، فلم يُصبها اكتئاب، ولا طلبت الزواج من وليّ لتنجب ابنًا لرجلها الميت. في هذا تحمل جفافًا في المشاعر، لكنها سمت بدافع الأمومة لتقدم حياتها من أجل كل الشعب كأبناء لها. أمومتها الروحية سمت بها إلى ما فوق الأمومة الطبيعية.

ب. تحدت يهوديت ترملها، فكرست حياتها للعبادة بفرحٍ وتهليلٍ ومارست العمل السياسي بقوة، فاقت فيه على رئيس البلد والشيوخ، ورئيس الكهنة، وقادة الجيش!

ج. تحدّت يهوديت الغنى الزمني، فما ورثته من زوجها من ذهب وفضة وممتلكات وخدم وجوارٍ لم يأسر قلبها، بل سلمت تدبير ممتلكاتها في يد وصيفتها الأمينة، وتفرغت تمامًا للعبادة بحب شديد لله ولشعبه. عاشت في بساطة بثوب ترملها، وخلعت كل الحليّ والجواهر الثمينة.

---

[1] *The Sacred History of Sulpitius Severus, 2:16.*

د. تحدّت **طبيعة مجتمعها** الذي كان يفصل تمامًا بين الرجال والنساء، لكل منهم دوره الذي يعتز به ولا يتعداه. قامت يهوديت بدور الرئيس والقائد والمشير، خطّطت ونفّذت، وقدّمت للبلد وشعبه وجيشه ما كان يجب أن يقوم به الرجال!

هـ. تحدّت **طبيعتها الأنثوية**، فمع جمالها البارع ورقتها التي أسرت رجال شعبها كما قادة المعسكر، بل والقائد العام لجيش أشور، إلا أنها بروح القوة صرخت إلى الله، ومن أجل غيرتها على الهيكل المقدس وقداسة الشعب لم تخشَ أن تمد يدها لتستل سيف العدو وتضرب به عنقه.

و. تحدّت **يهوديت** قائد الجيش الذي أراد أن يفسد عفتها ويغتصبها بمكرٍ، فأفسدت جسمه وفي مذلّةٍ له ولكل جيشه سلّمت رأسه المقطوع ليوضع في مخلاة وصيفتها!

٢. **نبوخذنصر:** سبق الحديث عنه تحت عنوان "اعتراضات على السفر"، ورأينا أنه غالبًا ما يكون آسرحدون أو ابنه.

في سفر دانيال نسب نبوخذنصر لنفسه الألوهة. يرى بعض الدارسين أن أليفانا أو هولوفرنيس هو الذي نسب الألوهة للملك، أما الملك فدعى نفسه "سيد الأرض كلها" (٢: ٥)، وكان مملوء كبرياءً وتشامخًا، لكنه لم يقل إنه إله الأرض، وإنه ليس إله غيره على كل الأرض.

العبارتان الواردتان في السفر اللتان تنسبان للملك الألوهة تؤكدان ذلك[1]:

"فدمّر (هولوفرنيس) جميع معابدهم... فقد عُهد إليه بأن يُبيد جميع آلهة الأرض، لكي تعبد الأمم جميعًا نبوخذنصر وحده، وتدعوه إلهًا جميع ألسنتهم وأجناسهم" (٣: ٨).

"(في حديث هولوفرنيس لأحيور) من هو إله إلاّ نبوخذنصر؟ فهو الذي يرسل قوته، ويبيدهم من وجه الأرض، ولا ينجيهم إلههم" (٦: ٢-٣).

٣. **أرفكشاد:** سبق الحديث عنه.

٤. **أليفانا قائد جيش أشور:** قام بكثير من الفتوحات، وقد تحدّى إله إسرائيل، فمات بيد يهوديت.

يرى دميان ماكي أن قائد الجيش الأشوري هولوفرنيس *Holofernes* هو في الواقع ابن سنحاريب، آسرحدون *Esarhaddon*. هذا خدم إلى سنوات كتائب سنحاريب في بابل، وتولّى قيادة جيوشه حتى ضد مصر. وقد دُعي بالرجل الثاني بعد الملك (يهو ١: ٤).

---

[1] *Carey Moore p. 74.*

ما ورد في سفر يهوديت يتطابق مع ما ورد في التاريخ من حيث ولائه لوالده سنحاريب، مظهرًا كراهيته الشديدة وسخريته نحو الذين قاوموا الملك السابق له.

يرى البعض أن كلمة **هولوفرنيس** ليست فارسية كما يظن البعض، وهو الاسم الذي دعا به اليهود هذا القائد الشرير، فهو مشتق من[1]:

هول *Hol* جاءت عن العبرية *Helél* أو *Heyhe* والتي تعني "كوكب النهار" أو "زهرة بنت الصبح" (إش ١٤: ١٢).

فير *fer*: جزء من الكلمة اللاتينية لوسيفر *Lucifer* أي "حامل النور"، جاءت عن الفعل *ferre* أي "يُحضر" أو "يحمل"، كما جاءت عن اليونانية اسم الكوكب *Hespherus* من الفعل φερω (فيرو)، أي "يحمل".

نس *nes*: جزء من الكلمة، يُستخدم في اليونانية أو اللاتينية كنهاية الاسم.

إن كان كثير من الدارسين يرون في تفسير إشعياء ١٤ أن كوكب الصبح هو لوسيفر أو إبليس الذي كثيرًا ما يخدع البشر كملاك نور وهو رئيس سلطان الظلمة، فإنه يشير أيضًا إلى آسرحدون الشرير كممثلٍ لإبليس الشرير الذي يبدو كحاملٍ للنور ليخدع البشرية.

كان اليهود يدعون ملوك أشور "كوكب إشتار *Ishtar*" آلهة الحرب، أو ملكة الحرب والمعارك. إذ كانوا يكرسون حياتهم للحروب لحساب آلهة الحرب *Assur*.

لعلّه كان في ذهن إشعياء النبي افتخار آسرحدون وتشامخه حين قدم أنشودته، كأنشودة كوكب الصبح، الذي يدعي أنه مُشرق بالبهاء والعظمة:

"أنت قلت في قلبك: **أصعد** إلى السماوات؛ **أرفع** كرسيَّ فوق كواكب الله، **وأجلس** على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال. **أصعد** فوق مرتفعات السحاب. **أصير مثل العليّ** (إش ١٤: ١٣-١٤).

يا للسخرية! ويا للعار! القائد الذي اهتزت له الأمم، وجاء ملوكها ورؤساؤها في مذلة يسلمون أنفسهم عبيدًا له، ويسلمون له بلادهم، قائلين له: "ها إن حظائرنا وكل أرضنا وجميع حقول قمحنا وقطعان خرافنا وبقرنا ومرابض مخيماتنا أمامك، فاعمل بها كما يطيب لك" (٣: ٣)، "وها إن مدننا أيضًا والساكنين فيها عبيد لك. فتعال، وادخلها كما يروق في عينيك" (٣: ٤)، يُهزم أمام مدينة صغيرة، تقتله أرملة شابة بسيفه أو خنجره!

---

1 Damien Mackey: A Historical Commentary on the Book of Judith, March 2003.

استقبلته الأمم بالرقص والطرب في خنوع للاستعباد له، وها هي رأسه في سلة طعام تحملها وصيفة، وتستقبلها مدينة بيت فَلْوى بالتسبيح لله واهب النصرة!

٥. **ألياقيم كاهن الرب العظيم:** اسم عبري معناه "من يثبته الله". كان يحث الشعب على الصلاة والصوم. وضع خطة أن يضع حراسة على جميع المداخل التي يمكن للأشوريين أن يتسللوا منها إلى داخل البلد.

٦. **أحيور قائد جميع بني عمون:** كان شجاعًا، نطق بالحق أمام أليفانا، فأسلمه إلى أيدي بني إسرائيل. بعد أن رأى عمل الله مع شعبه تهوَّد (١٤: ٦)، مع أن الشريعة منعت قبول العمونيين في الإيمان اليهودي (تث ٢٣: ٣).

ترى دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة أنه ليس من علاقة بين أحيور في يهوديت و*Ahikar* في القصة الآرامية في طوبيت، وإن كانت تؤكد أن اسم *Achior* يمكن أن يكون هو بعينه اسم *Ahikar*.

ورد شخص اسمه *Achior* أربع مرات في سفر طوبيا، كرئيس إدارة ومشير ملكي (حافظ الختم) تحت آسرحدون، وأنه ابن أخ (أو ابنة أخت) طوبيت وصديقه. غير أن Ahikar قريب طوبيت حكم عيلام ليس في السنة ١٢ من سنحاريب عندما كان قائد الجيش الأشوري، وإنما بعد حوالي ١٠ سنوات بعد ذلك، في أثناء حكم أشوربانيبال (١٦)، عندما أُرسل إلى عيلام.

شخصية محيرة، فكقائد لبني عمون في ضعف استسلم لأليفانا وخضع لأوامره، لكنه في قوة شهد لعمل الله الفائق مع شعبه أمام أليفانا نفسه.

إن كان قادة إسرائيل قد غُلبوا من تهديدات الشعب وتذمرهم بسبب العطش، فقد أرسل لهم من يوبّخهم، أحيور الذي روى لهم حواره مع أليفانا مؤكدًا لهم النصرة إن سلكوا كما يليق بشعب الله، وأن نصرتهم أو هزيمتهم لا تقوم على إمكانيات العدد العسكرية وخطته لتدميرهم بالموت عطشًا، وإنما على علاقتهم بالله. فالخطية هي السلاح الوحيد القادر أن يحطمهم!

نسيَ الشعب كعادته معاملات الله معهم عبر التاريخ، فأرسل لهم أحيور يذكّرهم بذلك، حيث قدم ملخّصًا رائعًا لعمل الله مع آبائهم، خاصة ما ورد في تكوين ١٥؛ وخروج ٣؛ تثنية ٧؛ يشوع ٩ الخ.

٧. **عزيا بن ميخا رئيس شعب إسرائيل:** اسم عبري معناه "يهوه قوة". كان أميرًا،

في ضعفٍ سالت دموعه في وقت كان يليق بالقائد أن يسند الشعب ويشجعه بروح الرجاء. حاول كسب الشعب مطالبًا إياهم أن يكونوا طيّبي القلب (٧: ٢٣)، ولكن على حساب الثقة في الله، إذ حدّد خمسة أيام انتظارًا لرحمة الله. في عدم إيمان قال: "إذا انقضت خمسة أيام ولم تأتنا معونة" (٧: ٢٥).

هنا نقف في إجلال أمام أحيور الذي شهد لله واهب النصرة لشعبه أمام أليفانا الجبار، بينما انهار عزيا رئيس شعب إسرائيل أمام ضغط شعبه، فأقسم أن يستسلم أمام أليفانا ويُسلم المدينة وكل الشعب عبيدًا إن لم يتدخل الله في خلال خمسة أيام.

يقول أيضًا *Carey Moore* إن عزيا الذي يعني اسمه "الله مدافعي" كان ضعيفًا في ثقته بالله وسلك بطريقة نسائية (كفتاة خائفة) يجلس وراء أسوار المدينة في خوفٍ، بينما حملت يهوديت نوعًا من الشهامة، لتقبض الأمور في يدها، وتحت رعاية الله تركت المدينة وخرجت من الأسوار وواجهت العدو في معسكره[1].

يرى البعض في عزيا ليس فقط من ذات السبط الذي تنتمي إليه يهوديت (شمعون)، ولا أن يَمُتّ لهم بقرابة قوية، وإنما كان هو الوليّ، من حقها أن تتزوجه لتنجب لرجلها الميت منسي نسلاً. لكن يهوديت رفضت هذا الحق بروح القوة والتكريس لله. بينما ضعف القائد عزيا أمام تذمر الشعب وأقسم أن يستسلم هو ورجال الدولة، ويسلّمون الشعب والمدن للعدو حتى لا يهلكوا من العطش والجوع، إذا بالأرملة في قوة توبّخه وتطالبه بالإيمان والتسليم الكامل بين يديّ الله دون شروط بشرية.

٨. كرمي (عتنيئيل): اسم عبري معناه "عامل في الكروم". كان أميرًا لبني إسرائيل في ذلك الحين.

٩. وصيفة يهوديت: لا نعرف اسمها، لكن نقف في إجلال لوصيفة فاقت كل رجال بيت فَلْوى. كان الكل يحتمي وراء الأسوار في خوف، بل وأرعبوا قلوب الشيوخ، أما هذه الوصيفة فرافقت يهوديت وخرجت معها إلى معسكر الأعداء، وعادت تحمل في سلّتها رأس هولوفرنيس الجبار (١٣: ٩-١٠، ١٥). إنها تمثل الجندي المجهول، لا نعرف اسمها، لكن التاريخ لن ينساها، والسمائيون يكرمونها!

---

[1] *Cf. C. Moore, p. 81.*

التفسير الرمزي لسفر يهوديت

مع روعة ما حمله سفر يهوديت من رعاية الله الفائقة لشعبه، وخاصة في وقت الضيق، والكشف عن عمل الصلاة، يحمل أيضًا معاني رمزية تمس حياتنا.

١. الوحشان: ضد المسيح والنبي الكذاب

يهتم سفر الرؤيا بالكشف عمّا سيحل بالعالم عند مجيء النبي الكذّاب الذي يهيّئ الجو لضد المسيح (رؤ ١٣)، وهما الوحشان البرّي والبحري. وفي سفر يهوديت يرى الملك نبوخذنصر (آسرحدون) وقد ملك لمدة ثلاث سنوات ونصف، مطالبًا في تشامخٍ أن يقيم نفسه إلهًا على الأرض كلها. وقد اختار رئيس جيشه الرجل الثاني بعده ليقتل ويحطم حتى يخضع كل الأمم للملك المتألّه! هذا هو عمل النبي الكذاب الذي يدعو كل الملوك والشعوب للتعبد لضد المسيح (يو ١٣: ٨).

من جانب آخر نرى كل الأمم والشعوب تخضع لضد المسيح والنبي الكذاب، بل ويعملان لحسابهما ضد شعب الله (الكنيسة) بكونه الشعب الوحيد الذي لم يقبل إنكار الإيمان الحيّ والتعبد للشرير!

إن كان غاية أليفانا في كل حروبه الدعوة للتعبد لنبوخذنصر (يهو ٦: ٣، ٤، ١٥؛ ٩: ١٧)، ففي المقابل يؤكد السفر أن الله الحيّ هو رب السماء والأرض.

٢. القديسة يهوديت كرمزٍ للقديسة مريم

يرى البعض في عزيا رمزًا للملاك جبرائيل الذي جاء يُحيّي القديسة مريم (لو ١: ٢٨)، هنا طوّب عزيا يهوديت بين كل نساء العالم (١٣: ٢٣).

وكما طوّب الشعب يهوديت (١٥: ١٠-١١)، هكذا تقول العذراء مريم أن جميع الأجيال تطوّبها (لو ١: ٤٨).

كما سحقت يهوديت رأس أليفانا العامل بروح الشيطان، وقدمت الخلاص للشعب كله بعمل الله معه. هكذا جاء السيد المسيح من نسل المرأة (العذراء مريم) وسحق الشيطان بصليبه (تك ٣: ١٥) لحساب البشرية.

جاءت تسبحة الشعب الرائعة لتكريم يهوديت تطابق التطويب المُقدم عبر الأجيال من الكنيسة للقديسة مريم، والدة المخلص.

يهوديت والخروج

غاية الخروج: "ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين، فخاف الشعب الرب، وآمنوا بالرب وبعبده موسى" (خر ١٤: ٣١). إنها قصة عمل الله العجيب على يديّ موسى كرمز لعمل السيد المسيح الخلاصي لحساب العالم كله. الله الذي عمل برجل الله موسى، هو بنفسه الذي عمل بالشابة الأرملة، وكلاهما يهيئان الطريق لقبول عمل السيد المسيح مخلصنا، الذي يهبنا النصرة على إبليس، ويدخل بنا إلى كنعان السماوية والتمتع بالفرح الأبدي.

يهوديت وسفر القضاة[1]

ارتباط سفر يهوديت بسفر القضاة يصحح أفكار الذين يرون في تصرفات يهوديت أنها لا تحمل أخلاقيات لائقة، وأنها لا تتناسب مع سيدة تقية. نرى من خلال دراستنا للسفرين معًا أن يهوديت تتسم بالشجاعة مثل ياعيل التي قتلت سيسرا رئيس الجيش (قض ٤: ٢١)، وتحمل أمومة عامة نحو كل الشعب مثل دبورة التي رافقت القائد في معركته للدفاع عن شعبه، ومثل سائر القضاة بسببها حلّ السلام على الشعب حتى يوم نياحتها.

بيت فَلْوى *Bethulia* وكنيسة الأبكار

اسم المدينة بيت فَلْوى (بيثوليا) ربما مشتق من كلمة "بتولية"، ويظن البعض أن يهوديت قد عاشت مع رجلها فترة قصيرة جدًا، ربما عاشت كعذراء بتول، أو حُسبت بتولاً لأنها مع زواجها لم تكن العلاقات الجسدية حتى مع رجلها تشغل فكرها، إنما حملت له حبًا وأمانة وتقديرًا. حسبها بعض آباء الكنيسة بتولاً من أجل رفضها الزواج بالولي ليقيم نسلاً لرجلها الميّت، ففضلت أن تكرس حياتها للعبادة في عُلّيتها وهي ترتدي ثياب ترملها، وعازفة عن كل زينة جسدية وعن الحياة المترفة.

اسم المدينة نفسه يجعل من المدينة رمزًا لكنيسة العهد الجديد، كنيسة البتوليين الأبكار.

للمدينة مضيق لا يقدر أن يعبر أكثر من شخصين معًا، وهي بهذا تُشير إلى الكنيسة التي لن يقدر أن يعبر إليها غير المؤمن الذي في اتحاد مع السيد المسيح وفي صحبته، بكونه كل شيء بالنسبة له.

---

[1] *The Oxford Bible Commentary, (J. Barton and J. Muddiman), 2000, p. 635.*

وكما عجز القائد الذي أرعب سكان الأرض عن الدخول إليها وعبور جيشه إليها، هكذا يعجز عدو الخير المحارب المضلل بكل جنوده وملائكته إلى النفس البتول، كنيسة المسيح المقدسة.

ذُكرت في سفر يهوديت مرات كثيرة (٦: ١٠؛ ٧: ١-١١؛ ٨: ٣؛ ١٢: ٧؛ ١٥: ٧؛ ١٦: ٢٥). كانت في موقع حصين يُمكن منه منع جيوش أليفانا من اختراق السهل إلى المناطق الجبلية، وكانت قبالة سهل يزرعيل (اسدارالون) بالقرب من سهل آخر تقع فيه دوثان.

واضح من السفر أنها كانت تقع على قمة صخرة تشرف على وادٍ عميق، وكان يوجد عند أسفل الصخرة ينبوع لا يبعد كثيرًا عن جنين. هذا الوصف ينطبق على "سنور"، حيث يرتفع في انحدار شديد من حافة مرج الغريق على الطريق الرئيسي، يبعد حوالي سبعة أميال من جنين، ويرى البعض أن موقعها هو في "ميثلية" إلى الشمال قليلاً.

ويرى البعض أن "بيت فلّوى" كان اسمًا رمزيًا "لبتول" التي كانت من نصيب سبط شمعون، إذ كانت يهوديت من سبط شمعون (يهو ٨: ٢؛ ٩: ٢).

القديسة يهوديت والصليب

في القديم ضرب الصبي داود رأس جليات الجبار بسيفه، وهنا نرى يهوديت الشابة الأرملة تضرب رأس أليفانا بسيفه، وكلاهما يشيران إلى عمل السيد المسيح في معركة الصليب. فقد ظن عدو الخير أنه قادر أن يتخلص من السيد المسيح، ويحطم مملكته بالصليب، فإذا بالصليب يحطم عدو الخير نفسه، ويجرده من سلطانه (كو ٢: ١٥). هكذا بالسيف الذي كان أليفانا – رمز الشيطان – يود أن يحطم اسم الله وشعبه مملكته قُطعت رأسه، وفقد سلطانه، وصار في عارٍ وخزيٍ.

القديسة يهوديت وخبرة الحياة السماوية

إن كانت يهوديت قد ترملت في وقت مبكر، وأصرت أن تعيش في حياة نسكية وتلبس ثياب ترملها، لكنها إذ دخلت في المعركة مع أليفانا التحفت بثوب العرس وتزينت. هكذا في معركتنا مع إبليس يليق بنا أن نلتحف بثوب الرجاء المفرح، واليقين في عمل الله واهب الغلبة والنصرة، والذي أعطانا سلطانًا أن ندوس على الحيات والعقارب.

بإيمانها رفع قلبها وكل كيانها فوق كل الأحداث المؤلمة والضيقات التي حلت بها

وبشعبها، فتحركت ترتدي زيّ الفرح الداخلي السماوي.

إذ اختبرت يهوديت بالإيمان حياة النصرة قبل أن تلتقي بأليفانا وتقطع رأسه، حولت شعبها إلى جماعة شبه سماوية يتهللون لمدة ثلاثة شهورٍ في عيد لا ينقطع، وكأنهم قد عاشوا السماء عينها!

الفكر اللاهوتي والروحي

في سفر يهوديت

ألقاب الله في يهوديت

الرب: (٤: ١١؛ ٨: ١١؛ ٩: ١). الله (٨: ١١؛ ١١: ٦).

إله إسرائيل: (٦: ٢١؛ ٩: ١٢، ١٠: ١؛ ١٢: ٨؛ ١٤: ١٠).

الرب إلهنا (أو إلههم): (٤: ٢؛ ٧: ١٩؛ ٨: ١٤؛ ١٣: ١٨).

إله السماء: (٥: ٨).

الرب إله السماء: (٦: ١٩).

الرب (الإله) المحطم الحروب (٩: ٧؛ ١٦: ٢).

رب آبائنا (٧: ٢٨).

إله شمعون أبي (٩: ٢).

إله المتواضعين (٩: ١١).

إله أبي (٩: ١٢).

رب السماوات والأرض (٩: ١٢).

خالق المياه (٩: ١٢).

ملك خليقتك كلها (٩: ١٢).

الإله العليّ (١٣: ١٨).

رعاية الله

يعتبر السفر في جوهره قطعة رائعة عن رعاية الله لشعبه، كما للمؤمن، كعضوٍ في شعب الله. فإن كان هو **الله الواحد الحقيقي**، إنما الإله الذي لا يستخف بالإنسان (٨: ٢٠).

هو **الرب الكلي القدرة**، الذي يسمع لصلوات شعبه وصراخهم والقادر أن يخلصهم بيدٍ قوية وذراعٍ رفيعة (٤: ١٣؛ ٨: ١٣؛ ١٥: ١٠؛ ١٦: ٥، ١٧).

الرب الذي لا يُغلب (١٦: ١٣).

الرب الذي لا يمكن للإنسان إدراك أسراره وفهمه (٨: ١٤).

رحوم بالنسبة لخائفيه (١٦: ١٥)، حازم مع المعاندين والمقاومين للحق الإلهي (٩:

١٢؛ ١٣: ١٨).

إله المُضطهدين والمتضايقين (٩: ١١).

إله المسكونة وضابط التاريخ (٩: ١٢؛ ١٣: ١٨).

الحالّ وسط شعبه، قائد لهم مثل عصر الآباء (٥: ٦-٩؛ ٨: ٢٦؛ ٩: ٢-٤)، وأثناء تغربهم في مصر وخروجهم منها (٥: ١٠-١٣)، وتجوالهم في البرية ونصرتهم لكنعان (٥: ١٤-١٦) الخ.

ذُكرت كلمة "**العهد**" مرة واحدة (٩: ١٣)، لكن السفر كله يقوم على اهتمام الله أن يقيم عهدًا مع شعبه ويرعاهم بكونهم خاصته. لذا نجد الإشارة إلى أورشليم (٤: ٢؛ ١٠: ٨؛ ١١: ١٩؛ ١٥: ٩؛ ١٦: ١٨، ٢٠)، والاهتمام الإلهي بحمايتها كمدينة الله التي تضم هيكله المقدس (٤: ٢-٣، ١٢؛ ٨: ٢١، ٢٤؛ ٩: ٨، ١٣؛ ١٦: ٢٠).

اهتم السفر **بالطقوس الدينية** الواردة في الشريعة، مثل تقديم الذبائح والتقدمات وبخور المساء (٤: ١٤؛ ٩: ١؛ ١٦: ١٨)، والبكور والعشور (١١: ١٣).

اهتم السفر بإبراز **قوة الصلاة والصوم ولبس المسوح** (٤: ١١-١٥) كعلامة التوبة والرجوع إلى الله واستدرار مراحمه الإلهية.

كما أشار إلى **ختان الذين ينضمون إلى شعب الله** (١٤: ١٠).

أقسامه

أولاً: حملات الأشوريين [١-٣].

١. نبوخذنصر المنتصر [١].

٢. حملات أليفانا رئيس جيش أشور [٢].

٣. خضوع سوريا لنبوخذنصر [٣].

ثانيًا: الشعب المتضايق [٤-٧].

١. رعب اليهود من جيش أشور [٤].

٢. حوار بين أليفانا وأحيور قائد بني عمون [٥].

٣. أحيور في وسط إسرائيل [٦].

٤. محاصرة أورشليم [٧].

ثالثًا: الله واهب النصرة [٨-١٤].

ملاحظة

اعتمدت في النص على:

١. الترجمة اليسوعية (دار الشروق، بيروت لبنان).

2. Samuel Bagster and Sons Ltd: The Septuagint Version... London.

3.Bruce Metzger: The Oxford Annotated Apocrypha, Oxford University, 1965.

4. The Catholic Bible, Good Counsel Publishers, Chicago. Illinois, 1970.

5. The Holy Bible, Douay Version, Catholic Truth Society, London.

6. http://ebible.org/bible/web/Judith.htm

7. ttp://www.theworkofgod.org/Bible/OldTestm/judith.htm ouay Rheims Old Testament.

8. The Orthodox Study Bible, Thomas Nelson, 2008, St. Ahanasius Academy of Orthodox Theology.

٧. القمص قزمان البراموسي: ترجمة حديثة لأسفار عزرا الأول...، ١٩٧٨.

من وحي يهوديت

بك أتحدى طبيعتي الساقطة!

❖ إلهي الصالح، أقمتني على صورتك ومثالك.
لأحيا سيدًا لا عبدًا، أشهد لك كسفير!
في غباوة سقطت تحت قدميّ العالم،
فصار العالم يملكني ويستعبدني في مذلة!
الآن بك أقوم، لاسترد بروحك الناري ما وهبتني من سلطان!

❖ يهوديت تحدّت ترملها وأنوثتها وصغر سنها.
اخترقت بصلواتها أبواب السماء، لتصير بالحق في حضرتك،
فلم تخشَ أن تخترق معسكر الأعداء بيقين في مساندتك!
بالإيمان فاقت رئيس الكهنة وشيوخ الشعب.
بالإيمان لم تُبالِ بثورة الشعب عليك!

❖ لم يستطع هولوفرنيس قاهر الأمم أن يدخل مدينتها.
أما هي فنزلت إلى معسكره بلا سلاح مادي.
اهتز ربوات العسكر مع قادتهم أمام أرملة شابة!

❖ لم تخشَ أن تدخل خيمة الجبار،
أسَرته بجمالها وحكمتها وتقواها،
صار صاحب السلطان أسيرًا لشهوته!
آمنت ونالت، أنه لن يمس طهارتها وعفتها!

❖ طلبت من الله عونًا لتضربه بخنجره!
إذ رأت فيه معيّر رب الجنود!
بقوة وفي شهامة لم تخشَ شيئًا،
فقد أدركت أن الله يهب سلطانًا على إبليس المخادع!

❖ الرأس المدبر لتحطيم مدينة الله وهيكله،
واغتصاب النساء الشريفات وسبي الأطفال،
وقتل المؤمنين،
صار في سلة وصيفتها، تضعه مع بقايا الطعام!

اللسان الذي جدف على الله صمت تمامًا!

الذي استقبلته الشعوب مع قادتها بالرقص،

يسلمون أنفسهم ونسلهم عبيدًا وجواريَ،

صار جثة بلا رأس، مطروحة أرضًا!

عوض المواكب التي استقبلته،

لم يجد في موته إنسانًا يكفنه، ويستره في مقبرة!

❖ تحدّت يهوديت الطبيعة فنالت بالعون الإلهي ما يفوق الطبيعة.

صارت أداة مقدسة في يد القدوس.

بها تحولت الأحزان إلى أعياد ممتدة!

وتحولت المراثي إلى تسابيح لا تنقطع!

عوض الجوع والعطش والفقر، امتلأت المدينة بالغنائم!

لك المجد يا أيها العجيب في عمله معنا!

الباب الأول

حملات الأشوريين

يهوديت ١-٣

خطة الله في الداخل والخارج

لا نعجب إن كان سفر يهوديت ينقسم إلى أربعة أقسام رئيسية: القسم الأول يبدو كأن لا علاقة له بقصة يهوديت، خاص بحملات الأشوريين واكتساحها كل البلاد المحيطة تقريبًا (ص ١-٣). والقسم الثاني يتحدث عن حالة الرعب التي حلت باليهود واستعدادهم للمقاومة (ص ٤-٧). والقسم الثالث يتحدث عن النصرة بالله العامل خلال يهوديت (ص ٨-١٤)، والقسم الرابع يمثل حياة التسبيح والفرح كعربون للحياة السماوية (ص ١٥-١٦).

أولاً: يعرض أحداث خارج شعب الله في شيء من التفصيل تخص أشور ومادي وبني عمون وغيرهم، وأراد تأكيد أن الله مهتم بالبشرية كلها. هو ضابط التاريخ، وليس من أمر يحدث إلا بإرادته أو بسماحٍ منه.

ثانيًا: بينما يبذل عدو الخير كل جهده لتحطيم كنيسة الله، فيثير الشعوب ضدها، يعمل الله بأقل القليل، وبأرملة شابة تتحدى كل الشعوب وتغلبها. فقد أعدها الله لمواجهة أسرحدون وقائده العظيم وجيشه والشعوب المتحالفة معهم ضد كنيسة الله.

ثالثًا: إن الفساد يهدم نفسه بنفسه، فملك أشور أخذ موقفًا مضادًا من ملك مادي، واستطاع أن يقتله برماحه، وإذ يملك أشور نفسه يُهزم ويُقتل رئيس جيشه هولوفرنيس بخنجره.

رابعًا: بينما يتنافس الملوك على السلطة خلال القوة العسكرية والمنشآت الفخمة والأسوار والحصون، إذا بيهوديت تُعد نفسها خلال زهدها وصلواتها وغيرتها المقدسة في الرب.

الأصحاح الأول

نبوخذنصر المنتصر

يُفتح السفر باستعراض الصراع المُرّ بين القوتين العظيمتين في ذلك الحين، وفي ذلك الموقع، وهما أشور ومادي، يتصارعان على السلطة، كل منهما يود أن يخضع العالم المحيط به، بل الأرض كلها له. إنه يُحارب بذات حرب أبويه الأولين آدم وحواء، حيث أرادا أن يصيرا كالله. أما الدول الصغيرة فكانت في صراع مرّ، بين رغبتها في الاستقلال والتمتع بالحرية والاحتفاظ بعبادتها وثقافتها وبين التحالف مع إحدى الدولتين على حساب فقدان سيادتها وممتلكاتها وآلهتها وثقافتها.

لازمت هذه الصراعات حياة البشرية منذ السقوط، وإن كانت تختلف في الشكل والمسميات والإمكانيات.

تمتد هذه الصراعات جذورها في حياة الإنسان، حتى الطفل الصغير، فيطلب السيطرة والاعتداد برأيه والضغط حتى على الوالدين المحبين له. إنه ثمر الفساد الداخلي الذي حلّ بالقلب والفكر والطاقات الداخلية، لا يمكن علاجه إلا بيد الخالق نفسه القادر أن يهب المؤمن حياة جديدة صالحة، فيعود كما إلى حالته قبل السقوط.

يكشف هذا الأصحاح عن مفهوم العالم للنصرة والمجد، فنرى منافسة خطيرة بين أشور ومادي خلال بناء الأسوار والحصون المنيعة والأبواب الضخمة لاستعراض قوات الجيش [١-٤] واستخدام الضغوط لإخضاع الآخرين للعمل لحسابه [٥-١٢].

إذ يحقق ملك أشور نصرة مؤقتة، كل ما يشغله الولائم والترف، لكن بلا سلام داخلي.

١. نَبوخذْنَصَّر وأرفَكْشادَ ١-٤.

٢. نَبوخذْنَصَّرُ المَلِكُ يشن حَرْبًا على أرفَكْشادَ ٥.

٣. انضمام الكثير من الأمم إلى أرفَكْشادَ ٦-١١.

٤. نَبوخذْنَصَّر يهدد الأمم المساندة لأرفَكْشاد ١٢.

٥. حَملَة على أرفكشاد ١٣-١٦.

١. نبوخذنصَّر وأرْفَكْشادَ

فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِن مُلْكِ نَبوخَذْنَصَّر،

الَّذي مَلَكَ على مَدِينَةِ نينَوى العَظِيمة،

وفي أَيَّامِ أَرْفَكْشادَ Arphaxad الَّذي مَلَكَ على المادِيِّينَ Medes في أَحْمَتا (أَحْمَتَا) *Ecbatana* [١].

المقصود بنبوخذنصر *Nebuchadnezzar* هنا غالبًا آسرحدون بن سنحاريب كما سبق فرأينا في المقدمة، فقد تعهد بالانتقام من كل اليهود، بعد أن ذاق أبوه سنحاريب مرارة الهزيمة أمامهم، في الواقعة التي قُتل فيها مائة وخمسة وثمانون ألفًا من جنوده (٢ مل ١٩: ٣٥-٣٧)، والانتقام من أرفكشاد المذكور، باعتباره صديق اليهود وعونهم المتحالف معهم[1].

يبدأ السفر بمقدمة بسيطة عن الملك أرفكشاد صديق اليهود، فيروي لنا أنه أخضع أممًا كثيرة، وبنى لنفسه عاصمة أو مقرًا لرئاسته التي هي أحمتا (أَحْمَتَا)، وقد سبق الحديث عنها في المقدمة (اعتراضات على السفر). حصنها ببناء سورٍ عظيم حتى يكون في أمانٍ.

جاء في سفر طوبيت أن طوبيا تزوج سارة من أحمتا.

يقول دميان ماكي أن أرفكشاد *Arphaxad* لا يمكن أن يكون إلا مرودخ بالادان *Mardach-baladan* من بابل (٢ مل ٢٠: ١٢، إش ٣٩: ١)، وقد انعكس أصله الكلداني على اسمه. فإن أرفكشاد اسم يعني "أور الكلدانيين *Ur of Chaldees*". وهذا يؤكد ما جاء في بعض النسخ: "واجتمعت أمم كثيرة إلى قوات الكلدانيين *Chaldeans*"، من بينهم الأراميون *Aramaeans* والعيلاميون *Elymeans* أو *Elamites*، فقد تحالف الكل مع بابل ضد أشور.

أحمتا (أَحْمَتَا) أو *Ecbatana*، وردت في (عز ٦: ٢). وهي مشتقة من الكلمة *Achmetha*[2]، يدعوها المواطنون *Hagmatana*.

عاصمة كورش العظيم، وفي الأصل عاصمة مادي قبل احتلال كورش مادي وإخضاعها للحكم الفارسي[3].

كانت هناك مدينتان تحملان نفس الاسم، الأولى عاصمة شمال مادي، المدينة التي

---

[1] راجع راهب من دير البراموس: تفسير سفر يهوديت، ١٩٩٧، ص ٤٤.

[2] *Nelson Bible Dictionary, article Ecbatana.*

[3] *New Umger's Bible Dictionary, article Ecbatana.*

لها سبعة أسوار، لكل سور لون خاص: أبيض، وأسود، وقرمزي، وأزرق، وبرتقالي، وفضي، وذهبي[1]. صارت عاصمة كورش وربما هي المدينة التي وُجد فيها الدرج الذي يحوي منشور كورش الخاص بإعادة بناء هيكل أورشليم. حاليًا هي خرائب تخت سليمان[2]. والمدينة الثانية كانت عاصمة لمقاطعة أكبر: *Media Magna*، حاليًا تدعى همدان *Hamadan*، تبعد حوالي ٣٠٠ ميلاً شمال شوشن *Susa*. كانت أحمثا *Achematha* مدينة غنية جدًا تتسم بالترف والفخامة. إذ استولى عليها كورش عام ٥٥٠ ق.م. جعلها عاصمته الصيفية حيث كان يهرب إليها من الحر الشديد في بلاد فارس. كان يحتفظ فيها بالسجلات الملكية كما جاء في هوشع ٦: ٢.

في عام ٣٣٠ ق.م. فتحها الإسكندر الأكبر، ودمر أسوارها، ونهب قصورها. حاليًا تحتل موقعها همدان بإيران وهي تبعد حوالي ١٧٠ ميلاً جنوب غرب طهران. أغلب الترجمات الإنجليزية الحديثة تترجمها *Ecbatana*[3].

فبَنَى حَولَ أَحْمَتا *Ecbatana* سورًا مِن حِجارةٍ مَنحوتةٍ،
عَرضُه ثَلاثةُ أَذرُعٍ وطولُه ستَّةٌ،
وجَعَلَ ارتفاع السُّور سَبْعينَ ذِراعًا وعَرضَه خَمْسين [٢].

يرى دميان ماكي أن الفعل "بنى" يُحتمل أنه يعود على أرفكشاد الذي أنشأ أحمتا *Ecbatana*، مشيرًا إلى الملك الكلداني مردوخ بالادان، وقد كان عظيمًا في إنشاءاته. كما يُحتمل أنه يقصد سنحاريب ملك أشور الذي قام بإنشاء الكثير من المباني في ذلك الحين، في مدينة نينوى التقليدية أو مدينته "دير شاروكين *Dur-Sharrukin* أو *Sargonsville*.

كان من عادة ملوك الأشوريين والبابليين وقدماء الملوك في بلاد كثيرة المبالغة في تجهيز الأسوار والقلاع والأبراج. ويبدو حجم الحجارة هنا كبير جدًا، وقد حذر الله بني إسرائيل من استخدام الحجارة المنحوتة في أعمال البناء لاسيما المذابح، إذ يُعد ذلك اشتراكًا مع الوثنيين الذين اعتادوا على صنع التماثيل وتصوير آلهتهم على حجارة مبانيهم (حز ٢٠: ٢٥-٢٦؛ تث ٢٧: ٥-٦؛ يش ٨: ٣١).

أُستخدم في مصر نوعان من الذراع، الأول يساوي ٢٠,٦٥ بوصة والآخر يساوي

[1] *Herodotus, 1: 98, 99, 153.*
[2] *Fausset's Bible Dictionary : Ecbatana.*
[3] *Nelson's Bible Dictionary, article Achmetha..*

١٧,٤٩ بوصة، بالإضافة إلى أنواعٍ أخرى من الذراع. بهذا يظهر أن ارتفاع سور المدينة يصل إلى الثلاثين مترًا.

وشيَّدَ على أبوابه أبراجًا بمائة ذراع،
وأرْسى أُسُسَها في عَرْضِ ستِّين ذراعًا [٣].

الأبراج: يظن البعض أن الأرقام هنا مُبالغ فيها حيث يبلغ ارتفاع البرج مائة ذراعًا، أي حوالي ٤٥ مترًا. لكن عُثر في الحفائر الحديثة طبابية لهيرودس الكبير أحد أبراجه يبلغ طول الضلع منها ١٨ مترًا، ومازال باقيًا من ارتفاع البرج حوالي مسافة ٢٠ مترًا، بينما بلغ قطر برج آخر من الخارج ٥٥ مترًا، ومن الداخل ٤٥ مترًا، كما كان داخل البرج مقسمًا إلى حجرات واسعة حيث دُفن هناك هيرودس.

أما بالنسبة لأبراج أرفكشاد، فكانت مساحة قاعدة البرج تصل إلى سبعة أمتار، وقد أُقيمت حول الأبواب الرئيسية للمدينة، وكانت تلك الأبواب من السعة والفخامة بحيث تصلح كأقواس النصر، ومرور استعراضات الجيش والغنائم[1].

وجَعَلَ أبوابَه يبلُغُ ارتفاعُها سبْعينَ ذراعًا وعَرْضُها أربَعين،
لِخُروجِ قُوَّاتِه العظيمة،
واستِعْراضِ مُشاتِه [٤].

كثيرًا ما يُضرب القادة بالكبرياء ومحبة المجد الباطل بعد نوالهم نصرات متتالية. لقد اعتمد أرفكشاد على حصونه العظيمة وسطوة جيشه ومراكبه كما على خبراته العسكرية، من هنا تبدأ الهزيمة. "يُقاوم الله المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (يع ٤: ٦).

لم يمنع الله إقامة حصون وأسوار وأبواب لحماية المدن، لكن الخطورة في أن يظن الإنسان أنه قادر على حماية نفسه بنفسه، متجاهلاً حماية الله ورعايته له. يقول المرتل: "إن لم يحرس الرب المدينة، فباطلاً يسهر الحرّاس" (مز ١٢٧: ١-٢).

يليق بالمؤمن ألا يتراخى في حراسة حواسه وعواطفه وكل طاقاته حتى لا يتسلل العدو إليها فيفسدها. لكن هذه الحراسة باطلة ما لم نطلب من الله أن يحررنا بنعمته وعمل روحه القدوس. إنه هو الحارس الذي لا يغفل ولا ينام (مز ١٢١: ٤).

❖ إننا نقوم بالحراسة، لكن باطلة هي حراستنا ما لم يحرسنا ذاك الذي يرى أفكارنا. إنه

---

[1] راجع راهب من دير البراموس: تفسير سفر يهوديت، ١٩٩٧، ص ٤٥.

يقوم بالحراسة ونحن يقظون، كما يقوم بالحراسة ونحن نائمون. فإنه نام مرة على الصليب وقام. إنه لا ينام بعد! كونوا إسرائيل (الروحي الجديد)، فإن "حافظ إسرائيل لا ينعس ولا ينام" (مز ١٢١: ٤). نعم أيها الإخوة إن أردنا أن نكون محفوظين تحت ظل جناحي الله، فلنكن إسرائيل[١].

القديس أغسطينوس

٢. نَبوخَذْنَصَّرُ المَلِكُ يشن حَرْبًا على أَرْفَكْشادَ

فِي تِلْكَ الأَيَّامِ شَنَّ نَبوخَذْنَصَّرُ المَلِكُ حَرْبًا على أَرْفَكْشادَ المَلِكِ فِي السَّهْلِ الكَبِيرِ،
وهو السَّهْلُ الَّذي في أَرضِ رَعاوى *Ragau* [٥].

السهل الكبير: يقصد به منطقة العراق *Irak Ajemi* في إيران الحديثة، حيث يبدأ حوالي ١٠٠ ميل شمال شرقي أحتما *Acbatana* ويبلغ حتى سلسلة جبال جنوب بحر كاسبيان *Caspian Sea*[٢].

٣. انضمام الكثير من الأمم إلى أَرْفَكْشادَ

فانضَمَّ إِلَيه جَميعُ سُكَّانِ النَّاحِيَةِ الجَبَلِيَّةِ،
وجَميعُ السَّاكِنينَ على الفُراتِ ودِجلَةَ ويادَسون *Hydaspes*
وفي سُهولِ أَرْيوكَ *Arioch* مَلِكِ عَيلَم *Elamites*.
فاجتمعت أُمَمٌ كَثيرةٌ لِمُحارَبةِ بَني كَلْعود *Cheleoud (Chaldea)* [٦].

الناحية الجبلية، وهي أنجاد إيران الغربي[٣]؛ تُشير إلى سلسلة جبال *Zagros* الإيرانية، وهي سهل مرتفع مقابل سهول ما بين النهرين وعيلام *Elam*[٤].

يادسون: يعتقد بعض الدارسين أن النهر المقصود هو نهر *Choaspes* (حاليًا *Kerkheh*) يبلغ طوله حوالي ٢٠٠ ميلاً، يفيض غرب الشوشن *Susa* في تيجر – الفرات[٥].

أريوك ملك عليم، وتُكتب أيضًا أريوخ، وهي مشتقة عن اللفظة السومرية (أري كو) ومعناها "عبد إله القمر". وهو اسم ملك ورد في تكوين ١٤: ١-٩، حيث كانت مملكته تقع

---

1 *On Ps. 127 (126).*
2 *Carey Moore. P. 125.*
٣ دار المشرق: الكتاب المقدس، ١٩٩١، ص ٩٠٥.
4 *Carey Moore. P. 125.*
5 *Moore, p. 12506; Herodotus, Hist. 1: 188; 5: 49).*

شرقي فارس، أي المنطقة التي دارت فيها رحى المعركة. كاتب السفر يصف الميدان ناسبًا إياه إلى أريوخ هذا نظرًا لشهرته.

عليم ***Elamites*** هي عيلام أي المايس، وهي الأسماء التي أُطلقت على هذه البقعة (١ مك ٦: ١).

بنو كلعود *Cheleoudites (The Sons of Chaldea)*: إما إنه اسم آخر للأشوريين أو مشتق عن الكلدانيين *Chaldeans*، أو هم جماعة ارتبطت بالأشوريين[1]. هم مركز قوى التحالف لإحباط جيش أرفكشاد العظيم (١: ١٣). ومما يدعو للسخرية أن هؤلاء يظهرون لا حول لهم ولا قوة أمام يهوديت ابنة العبرانيين (١٠: ١٢)[2].

فأوفَدَ نَبوخَذْنَصَّر، مَلِكُ أشور، إلى جَميعِ سُكَّانِ بلاد فارس
وجَميعِ سُكَّانِ النَّاحِيَةِ الغَربِيَّة
وَسُكَّانِ كيليكية *Cilicia* ودِمَشْقَ ولُبْنان ولُبْنانَ الشَّرقِيِّ *Antilibanon*
وجَميعِ سُكَّانِ السَّاحِلِ [٧].

كان يُنظر إلى نهر الفرات أنه يقسم هذه المنطقة إلى الشرق والغرب، وبين مصر وبلاد أشور (وفيما بعد بابل)، وقد دام الصراع طويلاً بين مصر وأشور، أو مصر وبابل في السيطرة على المنطقة ما بين نهر الفرات ووادي النيل.

بعث الملك رسائل إلى الكثير من البلاد لتتحالف معه ضد أرفكشاد، مغريًا إياهم بالغنائم التي ينالونها بهزيمة أرفكشاد، فأرسل إلى البلاد الواقعة في الغرب وفي الجنوب حتى بلغ أثيوبيا، وهي بلاد كان لها اسم وجيوش قوية.

كيليكية: مقاطعة تقع جنوب شرقي آسيا الصغرى، وكانت تسمى "من قوية". ورد في آثار أشوربانيبال، الأسطوانة الأولى، عمود ٢:

[سودا رزمي: ملك كيليكية، أتى إليّ ومعه ابنته لتكون لي زوجة، وسجد لي وقبّل قدميّ، وقدم لي هدايا كثيرة مع أنه لم يخضع لآبائي[3].]

والَّذينَ مِن أُمَمِ الكَرمَلِ *Carmel* وجِلْعاد
والجَليلِ الأَعْلى وسَهْلِ يِزرَعيلَ *Esdraelon* الواسعِ [٨].

---

[1] *Carey Moore. P. 126.*
[2] *The Orthodox Study Bible 2008, Jud. 1: 6.*
[3] راجع راهب من دير البراموس: تفسير سفر يهوديت، ١٩٩٧، ص ٤٧.

جلعاد: منطقة جبلية صخرية وعرة عبر الأردن يفيض عليها نهر يبوق أو نهر الزرقاء.

يزرعيل: اسمه باليونانية *Esdraelon*، وهو يخص الجزء الغربي من الوادي يزرعيل *Jezreel*، ويضم وادي مجدون *Megiddon* الذي يفصل الجليل عن السامرة.

سهل يزرعيل مثلث في فلسطين الوسطى، يدعوه يوسيفوس "السهل الكبير"، يمتد من البحر المتوسط إلى الأردن، ومن الكرمل وجبال السامرة إلى جبال الجليل، وطوله من الغرب إلى الشرق نحو ٢٥ ميلاً، ومن الجنوب إلى الشمال ١٢ ميلاً.

كان سهل يزرعيل باب فلسطين ومفتاحها أيضًا، منه دخل الفاتحون الأولون لاحتلال الأرض.

وجَميعَ الَّذينَ مِنَ السَّامِرَةِ ومُدُنِها وعِبْرِ الأُرْدُنِّ إلى أُورَشَليم،
وبَيت عَنوت وكلُود *Chelous* وقادِش
ونَهْرِ (جدول) مِصْرَ وتَحْفَنْحيس*Taphnhes*
ورعَمْسيس *Rameses* .وأرضِ جاسانَ *Goshen* كلِّها [٩].

بيت عنوت *Betane, Bitané*: اسم كنعاني معناه "بيت الآلهة عناة" (يش ١٥: ٥٨-٥٩). مدينة على بعد ٧ أميال إلى الشمال من حبرون، وميل ونصف جنوب شرقي حلحول *Helhul*. ربما هي مدينة بيت عينون *Beit-Ainum* الحالية، أكثر منها "بيت عنيا *Bethany*" التي تبعد نحو ميل ونصف شرق أورشليم.

هنا يتحدث عن البلاد اليهودية ومصر. فقد أرسل يطلب تسليم المدن ليتركهم أحيانًا بدلاً من أن يقتلهم بدخوله في حربٍ معهم، فيستولي على كل مواردهم ومواشيهم وأموالهم كما يسبيهم وينقلهم إلى مدن أخرى ليضمن ولاءهم وعدم التمرد عليه.

كلود *Chelous* أو *Chellus*: في جنوب فلسطين، وردت في الترجوم تحت اسم هلوصة، على الطريق الجنوبي من أورشليم بين غزة وأدوم، ربما تكون هي حلحول *Helhul* (يش ١٥: ٥٨)، تبعد ٤ أميال شمال حبرون، أو *Chalutsa* (حاليًا خلاصه *Khalasa*) جنوب شرقي بئر سبع[1]، وربما تكون شور[2].

قادش، أي قادش برنيع: وهي واحة ومحلة في الصحراء جنوب بئر سبع. ورد

---

[1] *Carey Moore. P. 126.*
[2] *Interpreter Dictionary of the Bible – article Chellus.*

ذكرها عند الحديث عن حملة كدرلعومر وحلفائه في أيام إبراهيم. بالقرب منها ظهر ملاك لهاجر. وبعد الخروج من مصر أمضى بنو إسرائيل معظم سني تيههم في الصحراء في المنطقة المحيطة بقادش (عد ٢٠). وهناك ماتت مريم (عد ٢٠: ١)، وأخرج موسى ماءً من الصخرة، ومنها أرسل جواسيس لاكتشاف أرض كنعان (عد ١٣، ١٤). يظن أنها عين قديس على مسافة خمسين ميلاً جنوب بئر سبع، ويظن البعض أنها عين قضيرات.

نهر مصر: جاءت الكلمة اليونانية لا تعني نهر النيل ذاته، وإنما جدول مصر، حاليًا وادي العريش التي تفصل بين فلسطين ومصر (١ مل ٨: ٦٥؛ أي ٧: ٨، يش ١٥: ٤).

بالنسبة لجدول (نهر) مصر فقد أشار سرجون الأول وسنحاريب الأشوريين أنه لا يوجد فيه ماء[1].

تحفنحيس *Taphanhes, Taphnes*: مدينة مصرية في الجزء الشرقي من دلتا النيل، إليها أُخذ النبي إرميا بعد سقوط أورشليم، وربما مات فيها (إر ٤٣: ٥-١٠؛ حز ٣٠: ٨). وهي أحد التخوم الهامة بجوار بحيرة المنزلة. تُدعى تل دفنه؛ دعاها هيرودت[2] دفناي *Dephnai*.

رعمسيس *Rameses*: المدينة الملكية للملك رعمسيس الثاني (حوالي ١٢٩٠-١٢٢٤ ق.م) وخلفائه لمدة قرنين. وهي المدينة التي بدأت منها رحلة الخروج (١٢: ٣٧، عد ٣٣: ٣-٦).

كانت عشرات المواقع تدعى رعمسيس لهذا يُصعب جدًا تحديد ما يقصده هنا بالموقع.

جاسان *Goshen*: منطقة خصبة في شمال شرقي الدلتا. وهي المنطقة التي قطن فيها العبرانيون منذ أيام يوسف حتى الخروج (تك ٤٧: ٤، ٦). كانت مكانًا مناسبًا لرعاية مواشيهم وقطعانهم، وعلى مقربة من بلاط فرعون.

إلى ما وَرَاءَ صوعَن *Tanis* ونُوف *Memphis*

وجَميعِ سُكّانِ مِصْرَ إلى حُدودِ إثيوبيا [١٠].

صوعن أو تانيس: مدينة تاريخية تقع في شرقي الدلتا. تُدعى حاليًا صا الحجر، دعاها اليونانيون صوعن *Zoam* (إش ١٩: ١١، ١٣؛ ٣٠: ٤؛ حز ٣٠: ١٤؛ مز ٧٨:

---

[1] *Carey Moore. P. 126.*
[2] *Hist. 2:30.*

١٢).

يرى كثير من الدارسين أنها *Per-Ramses* أثناء الأسرة التاسعة عشر، *Avaris* في فترة الهكسوس.

نوف أو ممفيس *Memphis*: تقع على الضفة الغربية للنيل على بعد حوالي ١٣ ميل جنوب القاهرة كانت عاصمة مصر الشمالية (السفلى)، خاصة من الأسرة الثالثة حتى الخامسة، واستمر شهرتها حتى القرن الأول ق.م. كما يُشير *Strabo*[1]. وجاء تعدادها الثاني بعد الإسكندرية.

أهرام الجيزة قريبة من نوف أيضًا. وقد أشار إليها بعض الأنبياء عند نقدهم للاتكال على مصر (إش ١٩: ١٣؛ إر ٢: ١٦؛ ٤٦: ١٤؛ حز ٣٠: ١٣).

واستَهانَ جَميعُ سُكّانِ الأَرضِ كُلِّها بِأَوامِرِ نَبوخَذْنَصَّر مَلِكِ أَشور،
ورفضوا أن يَنضَمُّوا إِلَيه لِلقِتال،
لأَنَّهم لم يَكونوا يَخافونَه،
بل قاوَموه مُقاوَمةَ رَجُلٍ واحد،
ورَدُّوا الرُّسُلَ فارِغي الأَيدي وفي خَزي [١١].

"جميع سكان الأرض" أو كل الأرض *all the land* تعبير بلاغي، يُستخدم للكشف عن القوة الغاشمة التي لملك أشور. وقد وردت ٨ مرات في الأصحاحين الأولين (١: ١١، ١٢؛ ٢: ١، ٢، ٦، ٧، ٩، ١١).

"مقاومة رجل واحد": جاءت في النص العبري لتعني: "كان أمامهم كمعادلِ (الرجلِ)". ولعله يقصد إنهم تطلعوا إليه بكونه ملكًا أو رجلاً يعادل غيره من الملوكِ أو القادة السابقين، وليس أعظم منهم. لقد اعتقدوا أنه باطل يحسب نفسه شيئًا عظيمًا يهزم الممالك وينتصر عليهم.

استخف حكام هذه البلاد وشعوبها بطلبه كما بتهديداته، وردوا رسله خائبين، إما لأن علاقتهم به لم تكن على ما يُرام، أو لأنهم خشوا أن تتسع إمبراطوريته ويسيطر عليهم. عبروا عن رفضهم لطلبه بإهانتهم لرسله.

---

[1] *Geog. 17: 1: 32.*

٤. نَبوخَذْنَصَّر يهدد الأمم المساندة لأَرْفَكْشاد

فغضبَ نَبوخَذْنَصَّر غَضَبًا شديدًا على تلكَ الأَرضِ كلِّها

وأقسم بِعَرْشِه ومُلكِه أن يَنْتَقِم من جَميعِ بِلادِ كيليكية ودمشقٍ وسوريا

ويُهلِكَ أيضًا بِسَيفِه جَميعَ السَّاكِنينَ في أَرضِ موآب وبَني عَمُّون وكُلَّ اليَهوديَّة

وجَميعَ الَّذينَ في مِصرَ إلى حدودِ البَحْرَين [١٢].

كيليكية: منطقة في جنوب آسيا الصغرى (تركيا)، صارت إحدى ولايات الإمبراطورية الرومانية عام ١٠٣ ق.م. وكانت طرسوس، مسقط رأس شاول الطرسوسي، هي المدينة الرئيسية فيها، وخلفها نحو الشمال الشرقي جبال طوروس الوعرة، والتي يخترقها معبر جميل يُعرف باسم بوّابات كيليكية.

إذ ظن في نفسه إلهًا للأرض كلها أقسم بعرشه ومُلكه أن ينتقم من كل هذه الممالك. لقد سعى أن يذل الآخرين ليؤكد مركزه كإله للأرض، فأذله إله السماء والأرض، ولكن في الوقت المعين.

حدودِ البَحْرَين: يرى البعض أنه يعني البلاد الواقعة ما بين البحر المتوسط والخليج الفارسي، وآخرون أنها ما بين البحر الأحمر والخليج الفارسي، وآخرون ما بين البحر الأحمر والبحر المتوسط.

٥. حَملَة على أرفكشاد

وصَفَّ جَيشَه لِمُحاربةِ أرفَكْشادَ *Arphaxad* المَلِكِ في السَّنةِ السَّابِعةَ عَشرَةَ لملكِه،

فغَلَبَه في القِتال،

ودَحَرَ جَيشَ أرْفَكْشادَ كُلَّه، وجَميعَ فُرْسانِه، وجَميعَ مَركَباتِه [١٣].

استمرت تهديداته لأرفكشاد حوالي خمس سنوات (قارن ١:١ مع ١: ١٣)، وهي المدة التي حاول فيها الاتصال بالبلاد السابق ذكرها لتعضيده والتحالف معه، وإذ رفض الكل مساندته زحف بجيشه لمواجهة أرفكشاد.

تمت المعركة في منطقة رعاوي أو راجيس، شرق ميديا، وجنوب بحر قزوين Caspian Sea بالقرب من طهران الحالية.

انهزم أرفكشاد من الكبرياء قبل أن يهزمه ملك أشور.

وأخضَعَ مُدُنَه وزحَفَ على أحْمَتا (أحْمَتا) *Ecbatana*،
فاستولى على أبْراجِها،
ونَهَبَ ساحاتِها،
وحَوَّلَ جمالَها إلى عار [١٤].

"حوّل جمالها إلى عارٍ": تعبير عن مدى الدمار الذي حدث.

وقَبَضَ على أرْفَكْشادَ في جِبالِ رَعاوى Ragau،
وطَعَنَه بِرِماحِه وأبادَه تمامًا في ذلك اليوم [١٥].

جبال رعاوي *Rages*: سلسلة جبال *Elburz* تبعد حوالي ٦ أميال شمال *Rages*.

يرى بعض الدارسين أن واضع السفر يقدم صورة تفصيلية صادقة عن هزيمة *Phraortes* وموته، الملك الثاني لمادي، عند هجوم أشور على نينوى[1].

ثُمَّ عادَ بعد ذلك (إلى نينوى)،
مع جَيْشِه الخَليطِ الغَفيرِ جِدًّا مِنَ المُحارِبينَ الَّذينَ انضَمُّوا إلَيه،
وأقامَوا هُناكَ مائةً وعِشْرينَ يَومًا لا يُبالي بِشَيء،
وَيَتَنَعَّمُوا بِالمآكِلِ [١٦].

إذ انتصر ملك أشور على ملك مادي حسب نفسه قد ملك على الأرض كلها، لأنه ليس من قوةٍ تعادل ملك مادي لتقف أمامه. هذا وقد خرج من الحرب بقوة أعظم. فمن جهة الإمكانيات البشرية؛ فإن كان فقد بعض رجال جيشه، فانهم يحسبون قلة قليلة جدًا بالنسبة لانضمام أعداد ضخمة من رجال جيش العدو ليعملوا في جيشه كجنودٍ مرتزقة، يصطفون في أول الصفوف، فيتعرضون للهجوم كدرعٍ يحمي جيش أشور الذي خلفه. ومن جهة الإمكانيات المادية، فما أنفقه ملك أشور على جيشه في المعركة يُحسب كلا شيء أمام الغنائم التي استولى عليها هو ورجاله وكل جيشه.

هذا من جانب ومن جانب آخر، بالنصرة تشامخ بالأكثر، فحسب نفسه سيدًا قديرًا يستطيع أن يفتتح كل الممالك والشعوب ويسيطر عليها، ويستغلها دون مجهود يُذكر. لقد وثق في نفسه وفي جيشه، فانطلق الكل إلى التنعم بالولائم المستمرة لمدة مائة وعشرون يومًا، دون شبع. لقد صارت بالحق بطونهم آلهتهم (أف ٣: ١٩).

---

[1] *Carey Moore. P. 129.*

إن كان المؤمن مع كل نصرة يقدم تشكرات وتسابيح لله واهب الغلبة والقائد الحقيقي لكل معركة، إذا بالشرير يجد في نصرته فرصة لتأليه بطنه والخنوع لشهواته، فيود أن يقطع حياته كلها يتمتع بالمأكل والمشرب.

لقد حذرنا الكتاب المقدس من خطية النهم، ويحسبها المؤمن شيطانًا خطيرًا يفسد جسم الإنسان وروحه وعقله وعواطفه!

❖ برذيلة النهم سلّم آدم للموت، فقد دخل الشر المدمر إلى العالم بلذة شهوة الطعام.

بها صار نوح موضع سخرية (تك ٩: ٢١)، ولُعن حام (تك ٩: ٢٦)، وحُرم عيسو من البكورية، وتزوج من أسرة كنعانية (تك ٢٥: ٣٣، ٣٦: ٢).

بها تزوج لوط بنتيه، فصار لابنه أبًا وحما، صار الأب زوجًا، والجد أبًا، وهكذا أقام سخرية مضاعفة للنواميس الطبيعية (تك ١٩: ٣٥).

النهم أيضًا جعل شعب إسرائيل عبدة للأوثان، وغطوا البرية بأجسامهم (عد ١٤: ٢٩ الخ).

جعل النهم نبيًا مرسلاً من الله لملك شريرٍ كي يلومه أن يصير فريسة لوحش. ذاك الذي لم يستطع يربعام الملك بكل قوته الملوكية أن ينتقم منه صار أسيرًا بشهوته للطعام الغادرة ويسقط ضحية لموت بائس (١ مل ١٣: ٢٤).

دانيال، إذ ساد علي شهوة الطعام (دا ١٠: ٣) ساد على مملكة الكلدانيين، فألقى بأصنامهم، وحطم التنين، وروّض الأسود، وبشر بالتجسد، وفسر الأسرار الخفية (دا ٥: ٩-١٤).

الثلاثة فتية القدّيسين الذين أظهروا أنفسهم أسمى من ملذات شهوة الطعام استخفوا بغضب الملك، وتمتعوا بشجاعة باسلة أمام رعب الأتون الناري الذي أمر نبوخذنصر الملك بإيقاده (دا ٣: ١٢ الخ). لقد برهنوا أن التمثال الذهبي الذي كان يُعبد كإله بلا نفع...

في اختصار إن اقتنيتم السيادة على شهوتكم للطعام تسكنون الفردوس، وإلاّ موتًا تموتون[1].

القدّيس باسيليوس الكبير

[1] *On Renunciation of the World, (Frs. Of he Church, volume 9, p. 25-26).*

❖ لنحذر أم الشر، محبة الذات! فإن هذا حب للجسم بغير متعقل، منه يولد ثلاثة أهواء أساسية تبدو أنه لا يمكن مقاومتها، هذه الأهواء هي النهم والشهوة والأمور الباطلة، بحجة أن هذه احتياجات جسدية ضرورية. هذه تولد سربًا كاملاً للأهواء[1].

القديس مكسيموس المعترف

من وحي يهوديت ١

نجاح أم تهور!

❖ في يدك الإلهية التاريخ كله يا ضابط الكل!
ملك مادي بنى وحصَّن نفسه بأسوار وأبراج،
ولم يدرك أنه وإن تحالفت معه أغلب الأمم،
لكنه يسقط، ويُقتل برماحه في خزيٍ وعارٍ!

❖ ظن ملك أشور أنه سيد الأرض كلها!
اعتمد على قائده الجبار هولوفرنيس وجيشه الجرار.
ليس من قوة تقف أمام جيش يغطي الأرض كحملات الجراد!
رعب الممالك، وهزّ قلوب القادة بجيشه.
استسلم الكل له برقصات في مواكبٍ لا تنقطع
نجح قائده، فلم يعد يشغله شيء.
كل الأمور – في ذهنه – تنحني له في مذلة!

❖ لم يدرك الملك وقائده أنهما غبيان!
لم يدركا أن العالم في قبضة يد الخالق!
يتركهما يخططان وينجحان إلى حين،
لكن، كل آلة تصور ضد شعبه تخرب.
وكل نجاحٍ يتحول إلى هزيمة.
وكل مجدٍ زمنيٍ يصير إلى الخزي والعار!

---

[1] *Fr. Maximus the Confessor: Four Centuries on Love.*

❖ لماذا أنتقد ملكي أشور ومادي،
وهوذا الصراع في أعماق نفسي!
يدك الإلهية التي سمرت تحل رباطات نفسي،
تتمتع بحرية مجد أولاد الله!
لا أجد مسرة في حب السلطة،
بل أن أصلب معك حبًا فيك وفي خليقتك!
ليصارع العالم بكل قوته وإمكانياته وخداعه!
فأنا لست من هذا العالم!

❖ هكذا وعدتني إذ وهبتني البنوة لأبيك!
نزعتني في مياه المعمودية من البنوة لإبليس،
وقدمت ليّ البنوة لله الآب العجيب!
ليس لصراع العالم موضع في قلبي.
إنما فرحك الإلهي يشع في داخلي!
بك أتمتع بالملكوت السماوي!
بك أحب كل خليقتك!
لك المجد يا مخلصي الصالح!

❖ الآن كابنٍ لك صار غذائي هو خبز السماء.
أتمتع بولائم الشكر والتسبيح الذي لا ينقطع.
مسرتي لا في الطعام الزمني والشراب،
فإنني أشكرك عليهما لإعالة جسمي.
لكن حبي لك وشكري إياك هما سرّ فرحي.
وليمتي بالحق هي شركة مع وليمة خدامك السمائيين!
لأتنعم بحبك يا مشبع النفوس.

الأصحاح الثاني

حملات أليفانا رئيس جيش أشور

أراد ملك أشور أن ينتقم من الأمم التي لم تخضع له، فأرسل قائد جيشه أليفانا (هولوفرنيس) نحو الغرب بجيش قوامه ١٢٠ ألفًا من المشاة و١٢ ألفًا من الفرسان وعدد لا يُحصى من الجمال والغنم، كما زوده الملك بالكثير من الذهب والفضة. زحف هذا الجيش كالجراد واكتسح أمامه الأمم، فوقع رعبه على كل الأرض.

١. خطة ملوكية للانتقام مِنَ الأَرضِ كُلِّها ١-١٣.

٢. التحرك للحرب ١٤-١٨.

٣. نصرات مستمرة مع تدمير ونهب ١٩-٢٨.

١. خطة ملوكية للانتقام مِنَ الأَرضِ كُلِّها

وفي السَّنَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ واليَومِ الثَّاني والعِشْرينَ مِنَ الشَّهرِ الأَوَّل،
دارَ الكَلامُ في بَيتِ نَبوخَذنَصَّر مَلِكِ أشور على الانتقام مِنَ الأَرضِ كُلِّها،
كما كانَ قد قال [١].

بعد سنة من هزيمة أرفكشاد ملك الماديين أصدر ملك أشور الأمر بالانتقام من الذين أهانوا رسله، وكانوا في صف أرفكشاد، وكان من بينهم اليهود. لقد تحدث مع كل قادة جيشه وعظمائه في سرية عن الانتقام من جميع الأرض، حاسبًا نفسه سيد كل الأرض.

في اليوم الثاني والعشرين من الشهر الأول، أي من نيسان (مارس / أبريل)، وهو اليوم التالي لنهاية عيد الفطير في تقويم العبرانيين، أقام الملك غرفة عمليات عسكرية تهدف للانتقام من كل الأرض المحيطة به، وذلك بعد الأجازة الأسبوعية مباشرة، حيث كانت في الأيام ٧، ١٤، ٢١، ٢٨ من الشهر بغض النظر عن اسم اليوم.

عاش الملك ورجاله وجيشه في ولائم مستمرة ١٢٠ يومًا، لا يبالون بشيء لبنيان الجماعة ولا لبنيان نفوسهم. كان الملك في الظاهر في غاية السرور باللهو والكرامات الباطلة، لكن قلبه كان يغلي في داخله، لأن الأمم استخفت به. كان يود أن تكون كل جيوش الأمم جيوش مرتزقة تصد كل هجمات جيش مادي، فلا يفقد رجلاً واحدًا! هذا مع اعتزازه بأن الأرض كلها تخضع له، لم يجد راحة في داخله، بل كانت نفسه تطلب الانتقام من

الأرض كلها.

يرى كثير من الآباء أن الأرض تُشير إلى الإنسان الترابي الجسداني، والسماء تُشير إلى الإنسان الروحي المتمتع بعربون السماء.

فليس لملك أشور الذي يرمز لإبليس سلطان على الروحيين الذين ارتفعت قلوبهم مع نفوسهم كما إلى السماء. إنهم كالطيور المنطلقة نحو السماء، لا تقدر الحية القديمة أن تبتلعهم. أما الذين صاروا بشرورهم ترابًا وأرضًا، فيُخضعهم ملك أشور، إبليس، ليسلكوا كأبناء له، يحملون سماته الشريرة، ويشاركونه مصيره الأبدي، جهنم الأبدية!

❖ كما أن الرب يلقي الشبكة ويصطاد عددًا ضخمًا من السمك، وتلاميذه كصيَّادي سمك يجمعون الذين يَقبلون الإيمان به خلالهم ويحضرونهم إليه، هكذا أيضًا إبليس له شيَّاطينه الخاضعة له الذين ينصبون الشباك للناس ويقتادونهم إليه.

القدِّيس جيروم

❖ علة الحسد هي سعادة الإنسان الذي وُضع في الفردوس، إذ لم يطق الشيطان الامتيازات التي نالها الإنسان. مع أنه تشكل من الطين أُختير ليقطن الفردوس. بدأ الشيطان يتطلع إلى الإنسان كخليقة سفلية، إلا أنه كان له رجاء في الحياة الأبدية، بينما وهو من طبيعة أسمى منه سقط وصار جزءً من الوجود السفلي[1].

القديس أمبروسيوس

❖ ماذا يعني: "بحسد إبليس دخل الموت العالم" (حك ٢: ٢٤). أنتم ترون أن هذا الوحش الشرير (الشيطان) رأى أن أول كائن بشري خُلق ليخلد، وسمته الشريرة (أي الحسد) قاده إلى عصيان الوصية، وبهذا جلب عليه عقوبة الموت. بهذا فإن الحسد يسبب خداعًا، والخداع عصيانًا، والعصيان موتًا... عدو خلاصنا أدخل سمة الحسد التي له، وجعل الإنسان الأول يسقط تحت عقوبة الموت مع أنه كان خالدًا. لكن بمحبة الرب الرعوية أعاد لنا الخلود بموته، فصرنا في امتيازٍ أفضل مما كنا عليه.

الأول نزعنا من الفردوس، والأخير قادنا إلى السمو.

الأول جعلنا تحت حكم الموت، والأخير منحنا الخلود.

الأول حرمنا من مباهج الفردوس، والأخير أعد لنا ملكوت السماوات.

---

[1] *Paradise, 12.*

أرأيتم إبداعات ربكم الذي وجَّه ضد رأس العدو بذات سلاحه (حسد إبليس) الذي هو مكره ضد خلاصنا. بالحقيقة ليس فقط تمتعنا بامتيازات أعظم، وإنما جعله أيضًا خاضعًا لنا بالكلمات: "ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب" (لو ١٠: ١٩)[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

فاستدْعى جَميعَ ضُبَّاطِه وجَميعَ عُظَمائِه،

وعَرِضَ عَليهم خطتَه السرِيَّة،

وعَزَمَ بِلسانِه على الشرِّ في الأَرضِ كلها [٢].

"عزم بلسانه على الشر"، جاءت في الفولجاتا "تمت الكلمة"، وهي تعادل القول: "صدر القرار الإمبراطوري أو الملكي".

ما قاله الملك: "على الشر" يطابق تمامًا الأسلوب الأشوري حيث يدعو الأمم المتمردة خاطئة وشريرة. فقد اعتاد الأشوريون أن يحسبوا من يعصيهم ويعصى آلهتهم خطاة وأشرارًا. كمثال لذلك سجل سرجيون في حملاته في أقاليم الملك ميداس Midas: "لم يهرب خاطيء[2]".

فحكَموا بإِهلاكِ جَميعِ الَّذينَ لم يُطيعوا أوامِرَه [٣].

كان غاية طموحه هو أن يقيم نفسه سيدًا على الأرض كلها (٢: ٥)، إذ كان اللقب الرسمي لملوك أشور وبابل وفارس هو "الإله"، لذا لم يحتمل رفضهم مساندته في الحروب، فأصدر أمرًا بإهلاكهم.

يود إبليس (الذي يرمز له ملك أشور) أن يهلك من لا يخضع لأوامره، لكنه وهو يود هلاكهم يهلك معه الذين يطيعونه، ويُكلل بالنصرة والمجد الذين يتحدونه بالنعمة الإلهية.

وعندما أتمَّ نَبوخَذنَصَّر مَلِكَ أشور مَشورتَه،

استَدْعى أَليفانا (هولوفرنيس) *Holofernes*، قائدَ جَيشِه وثانيَ رَجُلٍ بَعدَه،

وقالَ لَه: [٤]

إذ كان القادة في نشوة الفرح بالانتصار، وقد قضوا مائة وعشرين يومًا لا عمل لهم سوى الطرب والأكل والشرب مع الملك، أعجبوا بخطة الملك. إنها فرصة ليتمتعوا بغنائم

---

[1] *Homilies on Genesis, 46:15-16.*

[2] *Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. II (Greenwood Press, NY.). p.42.*

كثيرة، وتتحول حياتهم إلى أفراح وملذات مستمرة. فإن غلبتهم على أرفكشاد أعطتهم اليقين أنهم سيمتلكون الأرض كلها.

لم يجد الملك أفضل من أليفانا ليقود جيشه، فقد اتسم بالشراسة والعنف. أقامه قائدًا لجيشه وجعله الرجل الثاني من بعده.

قدم خطته السياسية إلى قائده أليفانا الذي حولّها إلى عمليات عسكرية. فقد راقت الفكرة لدى القائد، إذ تُشبع كبرياءه وعجرفته وشهواته.

إن كان ملك أشور يرمز لإبليس الذي يود أن يكون سيد الأرض كلها، أو رئيس هذا العالم، فإن الأداة الأولى الطيعة له والمنفذة لإرادته، والعاملة على جذب البشرية للتعبد له، هي رئيس جيشه، الرجل الثاني بعده، أو ضد المسيح.

"هذا ما يَقولُه المَلِكُ العَظيم،
سَيِّدُ الأَرضِ كلِّها:
أنظر! اذهَبْ مِن عِندي، وخذْ مَعَكَ رِجالاً موثوقًا مِن قُوَّتِهِم،
مائةٍ وعشْرِينَ أَلفًا مِنَ المُشاة،
معَ إثنَي عَشَرَ أَلفًا مِنَ الفُرسان [٥].

كان لقبا "الملك العظيم" و"سيد الأرض كلها" من الألقاب التي كان يستخدمها نبوخذنصر للإدعاء بالتأله (أنظر يش ٣: ١١؛ مز ٤٧: ٣)[1].

جاءت لهجة الملك فيها الكثير من العجرفة. فهو لا يعتد بذاته فحسب بكونه "سيد الأرض كلها"، وإنما طلب أيضًا من قائده أن يختار رجالاً يعتدون بقوتهم الذاتية مثله، ولا يتكلون على الله. وكما قيل في المزامير: "الذين يتكلون على ثروتهم، وبكثرة غناهم يفتخرون... مثل الغنم للهاوية يُساقون" (مز ٤٩: ٦، ١٤). وأيضًا: "هوذا الإنسان الذي لم يجعل الله حصنه، بل اتكل على كثرة غناه واعتز بفساده" (مز ٥٢: ٧).

وقد وصف الكاتب الموقف في شيءٍ من التفاصيل وبدقةٍ، حتى يبرز كيف تمجَّد الله خلال أرملة غير مسلَّحة، أيَّدها الله نفسه.

جاء حجم الجيش هنا بذات حجم القوة التي استخدمها شلمناصر الثالث *Shalmaneser III* في معركة *Qarqar*[2].

---

[1] *The Orthodox Study Bible Jud. 2: 5.*
[2] *Roux, G., Ancient Iraq (Penguin Books, 1964), p. 348.*

ما هو هذا الجيش العظيم من مشاة وفرسان ومركبات إلا الأرواح الشريرة العاملة لحساب إبليس ومملكته. أو هي الخطايا المتنوعة التي تهاجم بخطة معينة كل مؤمن حسب إمكانياته وسنه ومركزه وصحته وظروفه الأسرية وحتى حسب دوره الكنسي. وللعدو خطط كثيرة، لا يهدأ من محاولة اقتحام كل نفس حسبما يناسبها.

واخرُجْ على الأَرضِ كُلِّها غَرْبًا،
لأَنَّهم لم يُطيعوا أوامرَي [٦].

يقصد بالغرب هنا ما هو غرب نهر الفرات، أي إسرائيل (اليهود) وسوريا ومصر.

يطلب عدو الخير من ملائكته الأشرار إن يهاجموا الأرض كلها. هذا هو عمل إبليس وملائكته. لهذا عندما سأله الرب: "من أين جئت؟"، أجاب: "من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها" (أي ١: ٧).

❖ يجول إبليس في الأرض، إذ استخف بالسكنى في سلامٍ في أعالي السماء. وإذ هو كمن يُبلغ بأنه لم يَطِرْ بل مشى، يُظهر ثقل الخطية التي تجعله دائمًا في الأسفل...

يتحدث الله مع الشيطان بأربع طرق: فهو يشجب طرقه الظالمة، ويوبخه ببرّ قديسيه، ويسمح له أن يجرب براءتهم، وأحيانًا يوقفه عن أن يجربهم...

إنه يوبخه ببرّ مختاريه، إذ يقول: "هل جعلت قلبك على عبدي أيوب؟ لأنه ليس مثله في الأرض (كلها)". لقد سمح له أن يضع برّه موضع اختباره عندما قال له: "هوذا كل ما له في يدك". مرة أخرى منعه من أن يجربه عندما قال: "وإنما إليه لا تمد يدك".

البابا غريغوريوس (الكبير)

وأَخبِرْهم بِأَن يُعِدُّوا الأَرضَ والماء،
فإنِي سأَخرُجُ علَيهِم في غَضَبي،
وسأُغَطِّي كُلَّ وَجْهِ الأَرضِ بِأَقْدامِ جَيْشي،
وأُسلِمُهم إِلَى جَيْشي للنَّهْب [٧].

"**يعدوا الأرض والماء**": إعداد الأرض والماء يشير إلى خضوعهم. كان يُقدم الماء والأرض لملوك فارس باحتفال معين في طقوس خاصة كإعلان أنهم سادة البر والبحر[1]. فلا يقف الأمر عند رفع الراية البيضاء علامة طلب السلام، ولا إلقاء السيف أرضًا، وإنما علامة

[1] *The Orthodox Study Bible Jud. 2: 7; Heteodotus 6: 48, 49.*

التوسل في مذلة أن يدخلوا في عهد معه وهم في غاية الانكسار. فهو تعبير فارسي مشهور، للدلالة على الاستسلام، حيث تقدم البلاد المنهزمة كل ما لديها حتى الأرض والماء لمن انتصر عليها. كثيرًا ما ورد هذا التعبير في كتابات المؤرخ هيرودت. ولعل هذا ما قصده المرتل بقوله: "ملأ جثثًا أرضًا واسعة، سحق رؤوسها، من النهر يشرب في الطريق، لذلك يرفع الرأس" (مز ١١٠: ٦-٧).

كان من عادة الفارسيين أن يطلبوا من البلاد التي تخضع لهم جزية على الأرض كما على مصادر المياه.

إنها صورة مرّة لخطة إبليس الذي يطلب من ضد المسيح مع كل قواته أن يسيطروا على البر والبحر، فإذ له سلطان على الأشرار، يسلمهم إلى ملائكته لنهب كل طاقاتهم ومواهبهم وأوقاتهم للعمل لحساب مملكة إبليس.

ما يطلبه الشيطان هو إساءة استخدام العطايا الإلهية الموهوبة لنا. فيحول الحب الطاهر إلى شهوات وملذات جسدية، ودافع الغضب إلى الكراهية للغير عوض الغضب على الشر والتوبة والرجوع إلى الله ويوجه الأذان الموسيقية لا إلى التسبيح مع السمائيين، إنما لاغانٍ مثيرة للشهوات الخ. هذا هو النهب الذي يقوم به الشر لافساد حياتنا.

وستَملأُ جَرحاهم أوديَتهم،

وستَمتَلِئُ كلُّ جداول مياههم والأنهار تفيضُ بجُثَثِهم [٨].

من هم الجرحى الذين يملأون أوديتهم إلا جيش أشور الذي ضمّ الكثير من جنود الأمم لكي يحطم سكان أورشليم ويهوذا، وقد نزلت إليهم يهوديت فحطمتهم، وملأت بهم الوادي كجرحى لا قوة فيهم. هكذا ينزل السيد المسيح، المخلص الحقيقي إلى أقسام الأرض السفلي (أف ٤: ٩)، لكي يحطم إبليس وكل قواته الشريرة الذين سبوا المؤمنين[1].

عبارة تحمل تفخيمًا طنانًا في الأسلوب، استخدمه حزقيال النبي: "واملأ جباله من قتلاه، تلالك وأوديتك وجميع أنهارك يسقطون فيها قتلى بالسيف" (حز ٣٥: ٨). كما استخدمه إشعياء النبي للتعبير عن مدى رعاية الله: "هأنذا أدير عليهم سلامًا كنهرٍ، ومجد الأمم كسيلٍ جارفٍ، فترضعون، وعلى الأيدي تُحملون، وعلى الركبتين تُدللون" (إش ٦٦: ١٢).

الله هو طبيب النفوس والأجساد المتحنن على خليقته، أما عدو الخير وملائكته فتتلي

[1] *Cf. The Orthodox Study Bible Jud. 2: 8, 9.*

وسافكو دماء، يجدون مسرتهم في جراحات الآخرين. يحول الأرض إلى وادٍ يمتلئ بالجرحى والقتلى؛ وجداول المياه والأنهار تفيض بجثث الغرقى في الشر عوض الفيض بمياه حية تروي النفوس لتقيم منها مدينة الله وفردوس الفرح.

وأسوقهم أسرى إلى أقاصي الأرضِ كلِّها [٩].

عندما تنبأ إشعياء النبي عن مصر وكوش، إذ وضع اليهود رجاءهم فيهما، متحالفين معهما ضد أشور، عوض الالتجاء بالتوبة إلى الله، قال: "هكذا يسوق ملك أشور سبي مصر وجلاء كوش: الفتيان والشيوخ، عراة وحفاة ومكشوفي الأستاه (الرِّدْف) خزيًا لمصر. فيرتاعون ويخجلون من أجل كوش رجائهم، ومن أجل مصر فخرهم. ويقول ساكن هذا الساحل في ذلك اليوم: هوذا هكذا ملجأنا الذي هربنا إليه للمعونة لننجو من ملك أشور" (إش ٢٠: ٤-٦).

كما صار إبليس أسير الشر يبذل كل الجهد ليُفقد إن أمكن كل إنسان حريته، ويقوده إلى أقصى الأرض ليصير متغربًا عن السماء.

أمَّا أنتَ فامضِ واحتلَّ لي كُلَّ أرضِهِم،
فيُسلِمونَ أنفُسَهم إليك،
فتحفَظُهم لي إلى يَومِ عقوبتهم [١٠].

يأسر الإنسان ويستولي على أرض؛ أي يأسر نفسه ويملك على جسده، فيصير الإنسان بكليته في مذلة يُشارك إبليس عقوبته.

أمَّا المتمردون، فلا تُشفِقْ عينك علَيهم،
بل أسلِمْهُم إلى القَتْلِ والنَّهْبِ في كُلِّ أرضِكَ [١١].

جاء النص في ترجمته الحرفية "لا تشفق عينك عليهم"، وذلك كما في الترجمة السبعينية للنصوص (تث ٧: ١٦، حز ٢٠: ١٧).

العجيب أن عدو الخير قد صار بطبيعته متمردًا، إذ سرت الخطية في كيانه، وهو متمرد يود أن يهلك من يتمرد عليه، وينهب كل إمكانياته.

بِحَياتي وبِقوةِ مُملْكتي، كل ما تَكلَمتُ به سأفعَلُه بِيَدي [١٢].

هذا القسم: "بحياتي وبعزة مُلكي" خاص بالله وحده، واهب الحياة وصاحب السلطان عليها. هذا القَسَمْ يحسبه اليهود تجديفًا، إذ يخص الله وحده كما ورد في (تث ٣٢: ٣٩-٤١).

سلب الملك مجد الرب ونسبه لنفسه.

واضح أن هذه العبارة هي جزء من كلمات الملك لقائده، فيحسب أن ما سيفعله القائد إنما يمارسه بسلطان الملك وقدرته، وكأن ما يتممه القائد إنما يفعله بيد الملك؛ أما يهوديت فتحسب ما يتحقق خلالها من خلاص فهو بيد الله وقوته (يهو ٨: ٣٣؛ ١٢: ٤). وكأن مركز السفر كله، أن الشر الذي فعله القائد هو بيد الملك، والخلاص الذي قدمته يهوديت هو بيد الله.

أقسم نبوخذنصر أنه قادر بيده أن يحقق النصرة حتى النهاية، ولم يدرك أن الله يستخدم يد يهوديت لتحقيق خطته الإلهية[1].

وأنتَ فَلا تُخالِفْ أيَّ أمْرٍ مِن أوامِرِ سَيِّدِكَ،
بل نَفِّذْها بالتمام كما أوصَيتُكَ،
ولا تُرجِئِ القِيامَ بها" [١٣].

ليس لضد المسيح عمل سوى أن يحقق خطة إبليس المهلكة إن أمكن بكل سرعة.

يرى *Carey Moores* أن ملك أشور في حديثه السابق لم ينسب الألوهة لنفسه، لكنه أبرز أنه صاحب القرار القاطع [١-٢، ١٣]، ومحب للنقمة من وجه الأرض كلها [١، ٦]، متكبر ينطق بكلمات طنانة [٥، ١٢]، لا يغفر وقاسي [٧-١١]. وأن قائده هو الذي نسب له الألوهة[2].

لكن يمكننا القول أن القائد الذي أراد أن يُسر ملكه يعرف تمامًا بأي روح كان ينطق بهذه الكلمات، وما هو وراءها. فما نسبه القائد وأراد تحقيقه لملكه، إنما كان متناغمًا مع ما في فكر الملك.

أخيرًا فإن خطاب الملك لقائده يكشف عن خطته الشريرة ألاَ وهي الهجوم والغزو، وأيضًا السلب والنهب، والقتل والإبادة، والسبي في إذلال. ولعل تحطيم يهوذا كان في ذهن الملك كهدفٍ رئيسي يود أن يحققه.

٢. التحرك للحرب

وخَرَجَ أليفانا من أمام سَيِّدِه،

---

[1] *Cf. The Orthodox Study Bible Jud. 2: 12.*
[2] *Carey Mooer, p. 134.*

ودَعا جَميعَ الرُؤَساءِ والقُوَّادِ والمرازبة في جَيشِ أشور [١٤].

جاء في الترجمة السبعينية: "جميع المقيمين في القصر *Marshals* والقواد والمرازبة[١] *Satraps*".

استدعاء الرؤساء والقادة والضباط الذين في جيش أشور للتحرك للحرب، يُشير إلى سيطرة ضد المسيح على ملوك الأرض وقادتهم للهجوم على كنيسة الله وتحطيم إيمانها.

واَجتَمع نُخبَةٌ عظيمة من الرِّجالِ لتنظيم القتال،
كما أمَرَه سَيِّدُه،
نحوَ مائةٍ وعِشْرينَ ألفَ رَجُلٍ واثنَي عَشَرَ ألفَ فارسٍ نَبَّال [١٥].

رقم ١٢ يُشير إلى مملكة الله حيث يملك الثالوث القدوس على الأرض باتجاهاتها الأربعة (الشرق والغرب والشمال والجنوب). فبضرب رقم ٣ في ٤ تكون المحصلة ١٢. وها هو عدو الخير يود أن يستخدم ذات الرقم للخداع، فانه كما لاحظنا في دراستنا لسفر الرؤيا أنه يوجد ثالوث نجس يقاوم الثالوث القدوس، وهم إبليس وضد المسيح والنبي الكذاب.

وصَفَّهم كَما يُصَفُّ الجُنودُ في أي جيشٍ عظيمٍ للقتال [١٦].

يأتي ضد المسيح بعقلية شريرة لكنها جبارة، يقيم حربًا منظمة وخطيرة ضد كنيسة المسيح.

وأَخَذَ منَ الجِمالِ والحَميرِ والبِغالِ عددًا عظيمًا لِحَمْلِ أمتِعَتِهم،
وعَدَدًا لا يُحْصى منَ الخِرافِ والمَاعِزِ والبَقَرِ لإعالَتِهم [١٧].

أخذ أليفانا عددًا كبيرًا جدًا من الجمال والحمير والبغال لحمل المئونة، ولكي ترجع أيضًا مُحملة بالغنائم.

عُرف الأشوريون أنهم يأكلون النجس (هو ٩: ٣)، لكن أليفانا هنا يأخذ حيوانات طاهرة بلا عدد من خراف وبقر وماعز كطعامٍ لجيشه.

وأَعْطيَ كُلُّ رَجُلٍ مئونَةً كثيرةً،
وقَدْرًا وافِرًا جِدًّا منَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ من قصر المَلِك [١٨].

بعد أن أخذ أليفانا القوة البشرية الضخمة والثروة الحيوانية والغلال، أخذ ذهبًا

---

[١] المرزبان أو حاكم ولاية ثانوي مستبد.

وفضة من بيت الملك لاستعمالها عند الحاجة، وقد تأكد أنه سيعود بخيرات الأرض كلها، أضعاف ما أخذه.

أعطى أليفانا ضباط الجيش والجند رواتب عالية ليرفع من معنوياتهم، وليؤكد لهم أن الملك وقائده مطمئنان أنه مهما كانت تكلفة الحرب فالنصرة أكيدة والغنائم ستعوض القصر هذه التكلفة، بل وتزيد كثيرًا جدًا. هذا يمنع أي احتمال لتذمر الجنود بسبب الجوع أو تأخر رواتبهم.

بالحقيقة قام آسرحدون بتضخيم الجيش الأشوري كما ورد في يهوديت ٢: ١٤-١٨ [لقد أضاف... مركبات الحراس، وسلاح الفرسان، والحكام والرؤساء، وضاربي القوس، والعاتلين، وخبراء الحرب، وحاملي التروس، والمقاتلين...[1]]

٣. نصرات مستمرة مع تدمير ونهب

ثُمَّ خَرَجَ هو وكُلُّ جَيشِه في حَملَةٍ لِيَسبِقوا نَبوخَذنَصَّر المَلِك،

ويُغَطّوا كُلَّ وَجهِ الأَرضِ إِلى الغَرْبِ بِمَركَباتِهم وفُرْسانِهم ونُخْبَةِ مُشاتِهم [١٩].

يجد الدارسون صعوبة في تتبع مسيرة هذه الحملة من جهة عدم وجود خط واحد للمسيرة، ومن جانب آخر سرعة الوصول إلى مناطق معينة بجيشٍ قوامه هذا العدد الضخم من المشاة والفرسان. لهذا يرى بعض الدارسين أنها لم تكن حملة واحدة تتحرك معًا، وإنما تحت قيادة القائد العام للجيش تحركت حملات مختلفة في اتجاهات متباينة، تعداد كل حملة يتناسب مع الإمكانيات العسكرية للبلد التي يهاجمونها. هذا يتفق مع ما عُرف به آسرحدون *Esarhaddon* من همة ونشاط ضخم في التحركات العسكرية. ويرى[2] *Luckenbill* أن مما يجعل المشكلة صعبة هو الدمار الذي حلّ بالمستندات الموجودة الخاصة بهذا الملك، فيصعب التعرف على التسلسل التاريخي لحملاته.

بدأت ساعة الصفر لانطلاق الحملة الغربية الحربية من نينوى، ويظهر ضخامة الجيش إذ غطّى كل وجه الأرض إلى الغرب.

استخدم سرجيون فيما بعد نفس العبارة كلمة بكلمة عندما أشار إلى جيشه في السنة السادسة من حكمه، قائلاً: "في غضبي أغطي هذه البلاد مثل حملة جراد[3]". عندما تحدث

---

[1] *Luckenbill,p. 606.*
[2] *Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. II (Greenwood Press, NY.).*
[3] *Luckenbill, p.10.*

يوئيل عن غزو الجراد (١: ٤) كان يعني جيش ذات الأمة. أما إشعياء فإذ تحدث عن سلسلة ملوك أشور الجديدة فوصفهم بالحيات والتنانين (إش١٤: ٢٩).

جاء في هامش الترجمة الـ *Douay* ليوئيل ٢: ٧: [يفهم البعض (العدو الشمالي) أنه هولوفرنيس وآخرون أنه حملة جراد.]

ورافَقَهم خَليطٌ منَ النَّاسِ كثيرٌ كسرب الجَرادِ وكرَمْلِ الأرضِ،
لا يُحْصى عَدَدُهم لِكَثْرَتِهم [٢٠].

يصف الجيش بالجراد، إذ يهجم في حملات تغطي الأرض وتحجب الشمس عنها، وتأكل كل ما هو أخضر، خرابها لا يُمكن مقاومته.

يستخدم هذا التشبيه في الكتاب المقدس (قض ٧: ١٢؛ إر ٤٦: ٢٣)، إذ تغطي أسراب الجراد مساحات شاسعة عند الهجوم، تبلغ أحيانًا عدة كيلومترات، بشكلٍ مرعب يكاد يحجب نور الشمس.

هنا يود الكاتب أن يبرز انه ليس من وجهٍ للمقارنة بين إمكانيات جيش أشور وجيش إسرائيل، فالنصرة كانت من عمل الله.

وخَرَجوا مِن نِينَوى وساروا ثَلاثَةَ أيَّامٍ مُتَّجِهينَ إلى سَهْلِ بكْتيلة *Bectileth*.
وغادَروا بكْتيلةَ،
وعَسكَروا بِالقُرْبِ مِنَ الجَبَلِ الَّذي إلى شَمالِ كيليكية العُلْيا [٢١].

يبدو في تحركات الجيش أنها ليست ذات القائمة السابق ذكرها والتي رفضت دعوة الملك للتحالف معه ضد أرفكشاد. فمن جهة أرسلت بعض البلاد تطلب الأمان بعد أن رأت بطشه ببلادٍ أخرى. هذا ما كان يطلبه أليفانا في حديثه مع يهوديت، إذ يلقي باللوم على شعبها أنه لم يستسلم، وبالتالي ما كانت هناك حاجة للحرب. ومن جهة أخرى أحيانًا يستخدم في قائمة أسماء بلادٍ معينة وفي القائمة الأخرى أسماء أقاليم تتبعها البلاد. من الواضح أن القائمتين تقدمان مسحًا يكاد يكون شاملاً لكل منطقة الغرب والجنوب بالنسبة لأشور.

أول مرحلة للحملة هي السير ثلاثة أيام حيث بلغ الجيش عند حدود أرض العدو، أي سهل بكتيلة، وهناك عسكر الجيش.

سهل بكتيلة *Bectileth*: كلمة أرامية معناها بيت القتل، تقع في شمال كيليكية أو بالقرب منها. على بعد ٣٠٠ ميلاً من نينوى، مما جعل بعض المؤرخين والجغرافيين يظنون

أن هذا السهل يقع في شمال أنطاكية، إذ يرون أنها مسافة كبيرة يقطعها جيش جرار في ثلاثة أيام.

كيليكية العليا: مقاطعة تقع في شمال البحر المتوسط وجنوب جبال طرسوس، والمقصود هنا هو القسم الجبلي، إذ تنقسم كيليكية إلى قسمين. الآخر شرقي ويُدعى سهل كيليكية، وكان يسكن كيليكية أغلبية يهودية[1].

وأَخَذَ كُلَّ جَيشِه، مِن مُشاةٍ وفُرْسانٍ ومَركَبات،
ومَضى مِن هُناكَ إِلى النَّاحِيةِ الجَبَلِيَّة [٢٢].

تحرك الجيش كله نحو الجبل ليعسكر هناك.

كسَرَ فودَ *Phud* ولُود *Lud*،
ونَهَبَ جَميعَ بَني رَشيش *Rassisites* أو *Rassis*،
وبَني إسماعيل الَّذينَ عاشوا في البَرِّيَّة جَنوبِ كِلُّون *Chelleans* [٢٣].

فود *Phud* أو *Put*: يرى الدارسون أنها تعني ليبيا (تك ١٠: ٦، ١ أي ١: ٨، إر ٤٦: ٩). أما لود فيُقصد بها ليديا في آسيا الصغرى (تك ١٠: ٢٢؛ إش ٦٦: ١٩). غير أن ما ورد هنا بخصوص فود فيُقصد بها مدينة أخرى تحمل ذات الاسم على حدود كيليكية.

رشيش أو ترشيش: اسم فينيقي معناه "معمل التكرار"، وربما يكون منسوبًا إلى قبيلة تيراس التي سكنت قديمًا في نواحي كيليكية وجبال طرسوس. وهي مدينة على البحر المتوسط جنوب أسبانيا بالقرب من جبل طارق. وهي من أشهر البلاد التي اشتغلت في التجارة البحرية، ولعل أليفانا استولى على سفنها ومواردها التجارية. يرى *Carey Moores* أن بني رشيش شعب كان يعيش بجوار كيليكية. كما يقول أن بعض الدارسين يرون بأن رشيش يقصد بها طرسوس وأنها هي جبل آروسوس *Arsus* حاليًا، أو جبل روسوس *Rossos*، قام اسكندر الأكبر وداريوس الثالث وكودومانوس *Codomonnus* بالدخول في المعركة الخطيرة لإسيس *Issus* عام ٣٣٣ ق.م[2].

بنو إسماعيل the children of Ismahel: إسماعيل اسم عبري معناه "الله يسمع". وهم قبائل عربية متفرقة في شبه الجزيرة العربية وسوريا وبالقرب من ترشيش في الشمال.

---

[1] راهب من دير البراموس، ص ٥٨.

[2] *Carey Mooer, p. 138.*

ويُحتمل أن يكون قد استولى أليفانا منها على الكثير من قطعان الماشية بعد أن أحرق خيامها.

كلون *Chelleans*: جاءت في ترجمة *Douay*: "*Cellon*". وهي مدينة غرب الأردن، تطل على أحد الطرق الرئيسية بين مصر وأورشليم. يرجح البعض أن يكون موقعها في شبه الجزيرة العربية، شمال مساكن بني إسماعيل، ويرى البعض أنها بالقرب من ترشيش في الشمال. ويقول *Carey Moors* أن بعض الدارسين يعرفونها بأنها *Cholle* القديمة، حاليًا الخال *El-Khalle*، بين بالميرا *Palmyra* والفرات، لكنها ليست الكلدانيين *Chaldeans*.

ثُمَّ سارَ بِجانِبِ الفُراتِ، واجتازَ ما بَينَ النَّهرَينِ،

ودَمَّرَ جَميعَ المُدُنِ المُحَصَّنَةِ الَّتي على وادي عَبْرون *Wadi Abron*

ووَصَلَ إلى البَحرِ [٢٤].

يتساءل البعض كيف بعد أن بلغ الشمال يعود فيكرر عبور نهر الفرات، ويجيب البعض أنه يحتمل أن خرج الجيش على دفعات في اتجاهات مختلفة حسب احتياج كل معركة، والتقى الكل أخيرًا عند السهل قرب بيت فلوي بكونها المدينة التي لشعب قاوم هولوفرنيس وتحداه، وكان القائد يجهل طبيعة هذا الشعب، وما وراء تحديه له.

عبرون *Cheimarrou abrona*، هو مجرى *Chaboras* الذي يصب في الفرات على بعد ٥٠ ميلاً من ديورا *Dura*. يقع ما بين نهر الفرات والبحر المتوسط. وقد وصل إلى هناك أليفانا في طريقه إلى البحر المتوسط، وقد دمّر جميع المدن الواقعة على شاطئ هذا النهر.

واحتَلَّ بِلادَ كيليكية،

وقتَل جَميعَ الَّذينَ قاوموه،

وجاءَ إلى حُدودِ يافَثَ الَّتي إلى الجَنوبِ مقابل العَرَبية *Arabia* [٢٥].

يافث *Japheth*: اسم سامي معناه "يفتح". وتقف في تخوم يافث في جنوب بحر قزوين والبحر الأسود، وحتى البحر المتوسط.

ديار العرب: مساكن الإسماعيليين. لا يقصد بالعربية هنا منطقة شبه جزيرة العربية أو جزء منها، وإنما الصحراء السورية "الصحراء العربية"، وهي بجوار دمشق.

وطَوَّقَ جَميعَ بَني مِديَان *Madian*،

وأحرقَ مُخَيّماتِهِم،
ونَهَبَ حظائرَهم [٢٦].

بنو مديان: هم سكان بلاد مديان (مديان اسم سامي معناه "محكمة"). كانت تخومهم من خليج العقبة إلى موآب وحتى سيناء في شمال مصر. وقد اختلط شعبهم وأرضهم بشعب وأرض الإسماعيليين. وهم شعب غني بسبب تجارته الواسعة. وقد قاوموا أليفانا كثيرًا مما حدا به إلى إحراق حقولهم وحظائرهم وسلب مواشيهم. كان المديانيون يقطنون شمال غرب شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر ق.م، لكن طبيعة هذا الشعب هو التجوال حتى بلغوا في الجنوب جبل سيناء، وفي الشمال الصحراء السورية العربية (قض ٧: ٢٥)، بل وارتبطوا أحيانًا بشعب المشرق (قض ٦: ٣، ٣٣؛ ٧: ١٢).

ونَزَلَ بعدَ ذلك إلى سُهولِ دِمَشْقَ في أيّامِ حِصادِ الحِنطَةِ،
فأحرقَ جَميعَ حُقولِهِم، وأبادَ قُطْعانَ خِرافِهِم والبَقَرِ،
ونَهَبَ مُدُنَهم وأتلَفَ سُهولَهم،
وضَرَبَ جَميعَ شُبّانِهم بحَدِّ السَّيفِ [٢٧].

حرق المحاصيل وكل الحقول وإبادة الغنم يكشف عن أن الجيش لم يكن في عوزٍ إلى غلالٍ وأغنامٍ، وإلا ما كان يحرق ويبيد، بل يسلب وينهب. هذا وقد كانت سياسة أليفانا هي تجويع الشعوب ومنع مصادر المياه عنهم كما فعل مع اليهود، حتى يستسلم الشعب دون الدخول في معارك عسكرية قد يفقد فيها بعضًا من رجال جيشه.

الترجمة الحرفية "ضرب... بفم السيف" وهو تعبير عبراني شائع (تك ٣٤: ٢٦؛ يش ٦: ٢١؛ ١ صم ١٥: ٨). يرى أغلب الدارسين أن هذا الأسلوب العبري يستخدم، لأن السيف يفترس ضحيته، وكأنه وحش مفترس يلتهم ضحيته. يرى ثيؤفيل ميك Meek Theophile J. أن هذا التعبير كان مستخدمًا لأن السيوف والفؤوس المستخدمة في المعارك كانت على شكل ألسنة خارجة من أفواهِ أسود أو تنانين مفتوحة جائعة، ومقابضها على شكل الأسود أو التنانين نفسها[1].

فوقَعَ الخَوفُ والرِّعدَةُ على سُكّانِ الساحلِ الّذينَ في صَيدون *Sidon* وصور *Tyre*،

---

[1] *Cf. Carey Moore, p.139.*

وسُكَّانِ صورَ ***Sur*** وعَكِّينا ***Ocina*** وجَميعِ سُكَّانِ يِمْناع ***Jamnia***
وخافَهُ السَّاكِنونَ في أَشدودَ ***Azotus*** وأَشْقَلونَ ***Ashkelon*** خَوفًا شديدًا [٢٨].

ما حلّ بدمشق أرعب المدن الساحلية، وقد جاءت أسماء أغلب هذه المدن لا تمثل مشكلة.

صيدون ***Sidon***: غالبًا ما كانت صيدون وصور مرتبطان معًا تاريخيًا. وهما مدينتان كنعانيتان عظيمتان على ساحل البحر المتوسط يبعدان عن بعضهما حوالي ٢٥ ميلاً. قام الملك آسرحدون الأشوري بهدم صيدون عام ٦٧٧ ق.م. وأُعيد إصلاحهما للثورة ضد Artaxerxes II عام ٣٥١ ق.م. استسلمت لإسكندر الأكبر عام ٣٣٣ ق.م. دون مقاومة.

تورس ***Tyemnaa*** أو صور: صورTyre في الأصل جزيرة صغيرة صخرية غير مرتبطة بالساحل. ورد ذكرها في رسائل العمارنة ***Amarna*** في القرن الرابع عشر ق.م. وهي مثل صيدون كانت مدينة بحرية ومركزًا تجاريًا عظيمًا، وهي على خلاف صيدون لم يهدمها آسرحدون، إذ كانت تدفع له جزية. قام ربنا يسوع المسيح بزيارة صيدون وصور (مت ١٥:٢١؛ مر ٧:٣١)، وأيضًا زارهما بولس الرسول (أع ٢١: ٣- ٤، ٢٧: ٣).

صور ***Sur***: يرى البعض أنها دور.

عكينا ***Okina*** أو ***Okeina***، يرى البعض أنها مشتقة عن الكلمة اليونانية Akē أو Acco . والعبرية Kw، وتدعى حاليًا Acre. وهي ميناء قديم جدًا شمال جبل الكرمل، يبعد حوالي ٢٠ ميلاً شمال Dor[1]، يعتبر البعض عكا.

يمناع ***Je,maa*** أو يمنة ***Jamina*** أو ***Jemnia***. سابقًا كانت تُدعى "يبنئيل" (يش ١٥:١١) أو ينبه (٢ أي ٢٦: ٦). وهي تبعد تسعة أميال شمال أشدود، استخدمها الكثير من قادة السلوقيين ***Seleucid*** كمركز قيادة: جورجياس ***Georgias*** (١ مك ٤: ١٥، ٥: ٥٨)، وأبولونيوس ***Appollonius*** (١ مك ١٠: ٦٩)، وسلديبيس ***Cendebeus*** (١ مك ١٥: ٤٠). وفي عام ١٦٤ق.م وضع يهوذا المكابي الشعلة فيها.

أصبح كل من يسمع عن أليفانا وما عمله، يخاف جدًا من قسوته وشروره والدمار والهلاك الذي ألحقه بالبلاد المختلفة.

أزوتس ***Azotus***: قديمًا كانت تُدعى أشدود، إحدى الخمس مدن الرئيسية

---

[1] *Cf. Carey Moore, p 139.*

للفلسطينيين (يش ١٣: ٣). وربما أقوى المدن الخمس في العصر الفارسي، غزاها يهوذا المكابي (١ مك ٤: ١٥؛ ٥: ٦٨) ويوناثان (١ مك ١٠: ٣٧-٨٥، ١١: ٨) ويوحنا هيركانوس *John Hyrcaneus* (١ مك ١٦: ١٠)، وأخيرًا الكسندر ينيس *Janneus* (١٠٤- ٧٨) كما ورد في يوسيفوس[١]. وهي تبعد ثلاثة أميال عن شاطئ البحر المتوسط، وعشرة أميال جنوب يمنة.

أشقلون **Ascalon** أو أسكالون: تقع على البحر المتوسط حوالي ١٠ أميال جنوب أزوتس، وحوالي اثني عشر ميلاً شمال غزة. كانت قديمًا تُدعى أشقلون Ashkelon، وهي أيضًا إحدى الخمس مدن الرئيسية لفلسطين (يش ١٣: ٣)، وترجع إلى تاريخ قديم جدًا، حيث أُشير إليها في ألواح مصرية ترجع لحوالي عام ١٨٥٠ ق.م في العصر الفارسي عرفت المدينة بإقامة سور عليها، وفي عصر المكابيين كانت في علاقات طيبة إلى حد معقول مع اليهود (١ مك ١٠: ٨٦؛ ١١: ٦٠؛ ١٢: ٣٣).

وجاء في بعض المخطوطات "غزة[٢] Gaza".

واضح أن أليفانا كان يتحرك في كل الاتجاهات ولم يتخذ خط سير واحدًا، وقد استغرقت الحملة خمسة عشر شهرًا، إذ صدر الأمر بالتحرك في شهر ابريل، وبلغت حقول دمشق في موعد حصاد القمح، أي في شهر مايو من السنة التالية، ثم أكمل الطريق لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر.

من وحي يهوديت ٢

معركة لا تهدأ!

❖ ملك أشور يصمم على إبادة محتقريه،

وهوذا إبليس لن يكف عن مقاومة المستخفين به وبمشوراته!

لقد أرسل الآب ابنه الوحيد لخلاص البشرية،

ووهبنا روحه القدوس ليهيئنا للعرس السماوي!

أما إبليس المخادع، فيرسل دومًا أضداد المسيح ليهلكوا ويدمروا.

ويرسل أيضًا أنبياء كذبة للعمل لحسابه.

---

[1] *Antiq. 13: 15: 14.*

[2] *Damien Mackey: A Historical Commentary on the Book of Judith, March 2003.*

الثالوث القدوس يطلب تمجيدنا.

والثالوث الدنس يطلب عبوديتنا ودمارنا!

❖ الله في حبه يعمل ويبقى يعمل حتى في الأبدية.

وإبليس في حقده يقاوم ويبقى يقاوم بلا ملل.

❖ من ينقذني من شباك إبليس،

إلاّ روحك القدوس الذي يرتفع بيَ يومًا فيومًا.

أطير كما إلى السماء،

فلا تقدر الحية القديمة أن تثب لتبتلعني!

ويحسب كل من يطيعك متمردًا عليه.

لن يستريح حتى عندما يُلقى اتباعه معه البحيرة المتقدة نارًا!

❖ أنت يا إلهي ضابط الكل.

تبسط يديك على الصليب لتضم العالم كله إلى حضنك.

وعدو الخير يجول في الأرض كلها،

يبعث بجنوده الأشرار لينصبوا الشباك.

لكن هوذا الفخ انكسر ونحن نجونا بك يا مخلص العالم!

❖ عدو الخير يدرب أتباعه على القتل.

برماحه وسهامه الملتهبة نارًا!

لكنك أنت طبيب النفوس والأجساد،

تشفينا من الجراحات الشيطانية،

وتهبنا ذاتك يا أيها القيامة،

فلا يأسرنا القبر، ولا يقوى علينا الموت!

❖ يُسر العدو إذ يأسر نفوسنا،

ويُفسد أجسامنا، ويملأ العالم بجثثنا!

لكنك أنت القدير تحيي العظام الرميمة.

تحول قبورَنا إلى فردوس إلهي.

تخرجنا إليك، فنجد في أحضانك حياة أبدية.

❖ عدو الخير يقيم رؤساء وقادة،

والكل يحملون روحه الذي لا يمل من الخداع!

عدو الخير يثابر ويحارب لحساب الظلمة!

هب لنا روح المثابرة لحساب النور،

فبك نغلب وننتصر!

الأصحاح الثالث

خضوع سوريا لنبوخذنصر

في نهاية هذا القسم يقدم لنا الكاتب صورة لما بلغه آسرحدون من عظمة مع تشامخ وطموحات.

خضع جميع ملوك الأرض ورؤساء الأقاليم والمدن في منطقة ما بين النهرين وفينيقية وسوريا وغيرها كعبيدٍ للملك. واستقبلوا أليفانا (هولوفرنيس) بالأكاليل والمصابيح والرقص بالطبول والمغنيات حتى لا يدمر مدنهم، لكن لم يلن قلبه. فقد أصدر الأوامر بالتدمير الشامل للهياكل والمذابح، وإبادة آلهة الأرض، ليكون نبوخذنصر وحده إلهًا لكل هذه الأمم.

١. سوريا تستسلم أمام أليفانا ١–٨.

٢. وصول أليفانا أمامَ يِزْرَعيل ٩–١٠.

١. سوريا تستسلم أمام أليفانا

وأرسلوا إلَيه رُسُلاً يَسألونهُ السّلام، قائلين: [١].

أمام هذه الفتوحات التي يصحبها دمار وخراب وسلب مع قتل أرسلت إليه بعض البلاد رسلاً تطلب السلام، مستسلمين تمامًا في يدي القائد أليفانا والملك الأشوري نبوخذنصر (آسرحدون أو ابنه)، وهذا أمر كان متوقعًا.

يقول *Charles Ball* إن حضور قادة ورؤساء من الأدوميين (٧: ٨) والموآبيين (٥: ٢، ٧: ٨) والعمونيين (٥: ٢) يؤكد دخول هذه الأمم في معاهدات مع هولوفرنيس، واشتراكهم معهُ في جيشه قبل تحركه للدخول في معركة مع بيت فلوي[1]. يرى *Carey Moore* أن هولوفرنيس نزل إلى الساحل ثم اتجه إلى الشرق حتى بلغ بيت شان (٣: ١٠) عن طريق أدوم وموآب وعمون[2].

"ها إنّنا عَبيدُ نَبوخَذْنَصَّر المَلِكَ العَظيمِ،

ننطرَح بَينَ يَدَيكَ،

---

[1] *Judith, London, 1888, p. 279.*

[2] *Cf. Carey Moore, p. 141- 142.*

فأعملْ بنا كَما يَحسُنُ في عينيك َ[٢].

في استسلام حاولت الأمم الوثنية استرضاء وجه الملك ليعيشوا له عبيدًا، ويقيم نفسه إلهًا عليهم، يفعل بهم كيفما شاء. أما أولاد الله فلا يخضعون لقوى الشر في العالم وسلطانهم، بل يثقون في الله مخلص العالم.

لقد خضع الأشرار في مذلةٍ، ووضعوا أولادهم وممتلكاتهم تحت تصرفه.

وها إنَّ حَظائرَنا وكُلَّ أرضِنا وجَميعَ حُقولِ قَمحِنا،
وقُطعانَ خِرافِنا وبَقَرِنا وخِيامنا أمامكَ،
فأعملْ بِها كَما يَطيبُ لَكَ [٣].

استخدمت هذه الأمم تعبيرات مختلفة لها ذات المعنى: "اعمل بنا كما يحسن في عينيك" [٢]، "اعمل بها كما يطيب لك" [٣]، "تعال وأدخلها كما يروق في عينيك" [٤]. وقد جاءت كلها تشبع مشاعر هولوفرنيس الظاهرة وما يختفي في لاشعوره، يستسلمون ليشبعوا طموحه، وفي نفس الوقت يستعطفونه، فيحسبونه إنسانًا عاقلاً حكيمًا وعادلاً بجانب جبروته وقدراته.

وها إنَّ مُدُنَنا أيضًا والسَّاكنينَ فيها عَبيدٌ لَكَ،
فتَعالَ، وادخُلْها كَما يَروقُ في عَينَيك" [٤].

خلق الله الإنسان ليعيش سيدًا لنفسه، لا يسلم حياته في مذلةٍ لعدو الخير.

جيد للإنسان أن يعيش في سلام، لكن الدخول في معاهدة سلام مع إبليس لا تعني سوى تسليم الإنسان مدنه، أي قلبه وعقله وطاقاته ليقودها عدو الخير، كسيدٍ عنيف، يجد لذته في تدمير كل ما هو تحت سلطانه.

شتان ما بين الدخول في عهد مع الله واهب الحرية، وعهد مع عدو الخير السيد المتسلط والمُدمر لمن يتبعه.

ووَصَلَ هؤلاء الرِّجالُ إلى هولوفرنيس،
ويلَّغوهُ بِحَسَبِ هذا الكَلام [٥].

في تشامخ انتظر أليفانا (هولوفرنيس) أن يبعث الملوك وقادة الجيوش إليه رسلاً يسترضونه. فيستلم بلادهم بدون حربٍ، حتى لا يفقد أحد جنوده، ولا يبذل جهدًا في التخطيط لمعركةٍ ما، إنما يستلم البلاد، ويفعل بها حسب هواه.

يظن البعض أن تقدمهم الروحي يرافقه دخول في متاعب وضيقات هم في غنى عنها، ويحسبون أن مسالمة عدو الخير يهبهم طمأنينة وراحة من الضيقات.

ثُمَّ نَزَلَ هو وجَيشُه إلى الساحل،
وأقامَ حَرَسًا في المُدُنِ المُحَصَّنَة،
وجَنَّدَ نُخبَةً مِنَ الرِّجالِ يساعِدونَه [٦].

استسلمت الأمم له، فاستغل أليفانا ذلك، فمن جهة أقام حراسة مشددة على المدن المحصنة المستسلمة، لئلا يتشددوا ويطالبونه بالتحرر منه. ومن جهة أخرى اختار بعض الرجال الأقوياء وأصحاب المواهب والقدرات للعمل معه لحساب جيشه.

هكذا لا يعرف عدو الخير السلام، فإن استسلم أحد له يبذل كل الجهد لتحطيم حصونه، حتى لا يفكر في التحرر منه. كما يستخدم مواهبه وطاقاته لمساندته في بث الشرور والفساد. من يهادنه يحول كل طاقاته لحساب مملكة الظلمة. يقيم منه فرسًا يمتطيه ليحارب به أولاد الله.

يرى **العلامة أوريجينوس** في تفسيره لسفر الخروج، أنه توجد فرس يمتطيها الله، فيكون هو المعين والمخلص لها، وتوجد فرس (نفوس) يمتطيها عدو الخير وملائكته، فيجعلها عنيفة وقاسية، تضطهد أولاد الله.

❖ كان يهوذا فرسًا؛ عندما كان الرب هو قائده، كان جزءًا من سلاح الفرسان الذي للخلاص. إذ أُرسل مع بقية الرسل كان يقدم الشفاء للمرضى والصحة للضعفاء (مت ١٠: ١). لكنه إذ استسلم للشيطان – إذ بعد اللقمة دخله شيطان (يو ١٣: ٢٧) – صار الشيطان قائده، وإذ قاد مشاعره، بدأ يقوده ضد ربنا ومخلصنا. لهذا فإن كل مضطهدي القديسين هم فرس يصهلون، تمتطيهم ملائكة أشرار يقودونهم فيجعلونهم متوحشين. فإن رأيتم مضطهدكم ثائرًا جدًا، اعلموا أن شيطانًا يثيره ويمتطيه، لهذا فهو عنيف وقاسٍ[1].

العلامة أوريجينوس

فاستَقبَلَه هؤُلاءِ وكُلُّ النَّاحيَةِ المُجاوِرَةِ لَهُم
بِالأَكاليلِ والرَّقْصِ والدُّفوف [٧].

بلا شك امتلأ قلب أليفانا بالسعادة مع الكبرياء والتشامخ، فها هو يحقق آمال سيده

[1] *Homilies on Exodus, 6:2.*

دون أية تكلفة، ليس من قتيلٍ ولا جريحٍ بل صارت خيرات البلاد بين يديه، ينهبها بلا ضمير، ويستغل القوى البشرية لخدمته وخدمة جيشه. ومع هذا استقبله أهل البلاد الذين فقدوا كل شيء حتى عبادتهم بوضع أكاليل من الزهور وأوراق الشجر وفرقٍ موسيقية ورقصٍ كأنهم نالوا النصرة أو كأن ما حققه أليفانا وجيشه هو لحسابهم.إنها أبشع صور المذلة!

أما هو فدمَّرَ جَميعَ مَعابِدِهم (تخومهم)، وقَطَّعَ بساتينهم المُقَدَّسة،
فقَد عُهِدَ إِليه بِأَن يُبيدَ جَميعَ آلِهَةِ الأَرض،
لِكَي تَعبُدَ الأُمَمُ جَميعًا نَبوخَذنَصَّر وَحدَه،
وتَدعُوَه إِلهًا جَميعُ أَلسِنَتِهم وقَبائِلِهم [٨].

من أجل خضوع أهل الساحل له عاملهم بلطف، غير أنه حطَّم معابدهم وكسَّر آلهتهم[1].

حقق رغبة سيده أن يقيم من نفسه إلهًا، فدمَّر المعابد والغابات المقدسة، أي الأشجار التي كان الوثنيون يقيمون أصنامهم أحيانًا تحتها.

يترجم البعض "غاباتهم المقدسة" "سواريهم المقدسة" *sacred poles* (قض ٦: ٢٥).

هذا ما فعله اليهود عند دخولهم كنعان، فقد كان ما يشغلهم هو تحطيم كل ما يخص العبادة الوثنية، لكي تبقى عبادة الله الحقيقي وحدها قائمة في كنعان. الآن يمارس هولوفرنيس نفس الأمر ليعلن للكل، خاصة اليهود، أن حربه دينية، غايتها إبادة كل عبادة لتبقى عبادة نبوخذنصر إله كل الأرض!

❖ دُعي (الشيطان) بحق قتّالاً، ليس لأنه قتل أفرادًا معينين، وإنما لأنه قتل كل الجنس البشري، إذ "في آدم مات الجميع" (١ كو ١٥: ٢٢)[2].

القديس كيرلس الكبير

٢. وصول أليفانا أمامَ يزرَعيل

وَوَصَلَ أَمامَ يِزرَعيل ***Esdraelon*** بِالقُربِ مِن دُوثانَ ***Dothan***
الَّتي تقابِل سِلسِلَةَ جِبالِ اليَهودِيَّةِ الكَبيرة [٩].

اقترب أليفانا بسهولة وسرعة إلى قرب سهل يزرعيل، حيث دخل كثير من البلاد

---

[1] *Cf. The Orthodox Study Bible Jud. 3:6.*
[2] *Commentary on John, Book 20:224.*

بلا مقاومة، بل بالترحيب والتهليل.

يزرعيل *Esdraelon* (*Jezreel*) كلمة عبرية معناها "الله يزرع". وقد وُجد أكثر من موضع يحمل ذات الاسم. المقصود هنا هو سهل كبير على شكل مثلث يقع بين البحر المتوسط والأردن، من الكرمل وجبال السامرة إلى جبال الجليل، أو من حيفا الحالية إلى بيت شان (بيعان). دعاه المؤرخ يوسيفوس السهل الكبير، كما دُعي أيضًا سهل مجدو، وهو سهل به أودية كثيرة. كما أن أغلب الطرق الهامة متصلة به، لاسيما الطرق الرئيسية بين فينيقية ومصر، حيث كان الغزاة يتسللون عبره إلى أورشليم ومصر جنوبًا. ويعتبر وادي يزرعيل مفتاح أورشليم ومدخلها، حيث يشمل الآتي:

أ. الوادي الواقع بين سهل شارون وجبل الكرمل من الجنوب الشرقي.

ب. طريق السامرة المار بمجدو.

ج. سهل دوثان العريض، ومعناه "آبار"، ويُسمى هنا دوثائين، وهي قرية تقع بالقرب من السامرة، وشكيم بجوار البئر الذي وهبه يعقوب ليوسف.

وعَسكَروا ما بَينَ جَبْعَ *Geba* وبَيتَ شان *Scythopolis*،
وأقامَ هُناكَ طَوالَ شَهرٍ ليَجمَعَ أمتِعةَ جَيشِه كُلِّها [١٠].

د. جبع *Geba*: يرى يوحانان أهاروني *Yahanan Aharouni* وميكل أفي- يونا *Michael Avi-Yonah* أنه وُجد في إسرائيل ثلاث مدن تحمل هذا الاسم. إحدى هذه المدن بالقرب من جبل الكرمل، وربما هي الهريثية *El-Harithiyeh*، وغالبًا ما تكون هي المقصودة هنا في سفر يهوديت. ويرى بعض الدارسين أنه يقصد بجبع جبل جلبوعا *Gilboa*، وآخرون أنها جيبا *Jeba*، مدينة تبعد حوالي ستة أميال جنوب دوثان، بين السامرة والمدينة المعاصرة جنين *Jenin*.

ه. بيت شان *Scythopolis* وتعني باليونانية مدينة السكيثيين، وهي المدينة الوحيدة التي وردت في سفر يهوديت باسمها اليوناني. أخذت اسمها هذا، إذ استقرت جالية السكيثيين فيها. عُرفت أيضًا بيت شان (تل الحسن *Tell-el-Husan*)، تُدعى حاليًا بيسان *Beisan*.

يرى دميان ماكي أنه يحتمل أن يكون هذا بداية تحقيق نبوة إشعياء قبل حدوث هذه الكارثة: "الملك ببهائه تنظر عيناك، تريان أرضًا بعيدة" (إش ٣٣: ١٧).

كما يقول إنه بالرغم من عدم وجود معلومات أن ترتان *Tartan* الذي لسنحاريب

أو سنحاريب نفسه قد حارب في معركته الثالثة المنطقة الشمالية وأسرها، لكن بالتأكيد حدث هذا، فإنه كان لزامًا على *Wehrmacht* الأشوري أن يأمن مرتفعات السامرة قبل هجومه على أورشليم.

يروي لنا *G. Smith* كيف كان يمكن للمهاجمين على أورشليم أن يحققوا هدفهم بالاستيلاء على المناطق المحيطة بها أولاً حتى يستطيعوا العبور إليها، قائلاً:

[كانت حدود اليهودية حصينة... لكنها مع هذا الامتياز من المناعة فهي مفتوحة في نقاطٍ كثيرةٍ، فالأرض لا توحي للمهاجمين بالنصرة، وتجعل الغرباء يبتعدون عنها... يجدون صعوبة في احتلالها. مع هذا توجد ثغرات على حدودها... فالذي يغزوها يلزم أن يأتي عند حدودها ويحتل موقعًا ما أولاً...

كان على فسبسيان *Vespasian* أن يجتاح الجليل والسامرة، بل وقضى سنة أخرى لكي يحتل يمنة *Jamnia* وأشدود و*Hadid* في الغرب وبيت إيل و*Gophana*، وأريحا في الشرق وحبون مع قلعة الأدوميين *Jdumaean* في الجنوب، قبل أن تتسلل فرقه التي نفذ صبرها إلى أورشليم.

حدث نفس الأمر بالنسبة لصلاح الدين، فإنه حتى بعد نصرته على *Hattin* لم يجسر أن يهاجم أورشليم إلا بعد أن سقط في يديه وادي الأردن وأغلب سهل *Maritine Plain* وأشقلون حتى بيت جبرين *Beit-Jibrin*...[1]

كان يليق بأليفانا بذكائه ومهارته أن يعسكر بجيشه الضخم في منطقة دوثان، في أقصى الشمال ليتهيأ للبدء في الهجوم على أورشليم.

ما فعله أليفانا حيث توقف لمدة شهر بالقرب من أورشليم، لا ليفكر فيما ناله من نصرات في العراق وسوريا وبني أدوم، إنما ليخطط ويعيد تنظيم جيشه للاستيلاء على أورشليم. هكذا ما يشغل قلب إبليس أن يحطم ملكوت الله الذي في قلوب المؤمنين. اقتحامه لنفسٍ مقدسة للرب يعتبر في عينيه أعظم من سيطرته على قلوب وأفكار وحياة الأشرار.

إن كان الله يعتز بالنفس المقدسة بكونها أثمن من العالم كله، فعدو الخير يكرس إن أمكن كل طاقاته لتحطيم هذه النفس.

في رسالة القديس جيروم إلى أوستوخيوم *Eustochium* حيث يُحذرها من محاربات الشيطان يوضح لها أن عدو الخير لا ينشغل بالذين هم خارج الكنيسة. فالأشرار

---

[1] *The Historical Geography of the Holy Land (Collins, The Fontana Library), 203-204.*

يسلمون أنفسهم بأنفسهم للنار الأبدية، لكن ما يشغل ذهن الشيطان هم المؤمنون. [إنها كنيسة المسيح التي يُسرع ليفسدها. وكما جاء في حبقوق: "طعامه أفخر (الأطعمة)" (حب ١: ١٦ *LXX*). كأن أيوب هو ضحية مكائده؛ وبعد افتراسه يهوذا طلب أن يغربل (بقية) الرسل[١].]

❖ يتربص الشيطان ليُحطم ذهن المعمدين الذين يقبلون المسيح وصورة الكلمة وملامحه الواضحة التي تتجلي فيهم. لكنه يفشل في اقتناص فريسته التي تتجدد وتصعد إلى عرش الله.

الأب ميثوديوس

في الأصحاح التالي نرى كيف توقع اليهود أن يقوم أليفانا بالهجوم عليهم من جهة السامرة.

من وحي يهوديت ٣

قوة غاشمة وسلام خادع ومجد باطل

❖ في غباوة تحرك هولوفرنيس للدخول في معارك.
في كل يوم يتحقق أنه صاحب القوة التي لا تُقهر،
في سلام وأمان، يشتهي الكل التحالف معه،
في مجد متزايد تخضع له النفوس كعبيدٍ،
ويقدم الرجال نساءهم وأطفالهم بين يديه،
ويسلمون لهم ممتلكاتهم وقطعانهم وحقولهم!
ليفعل بهم ما يروق في عينيه.

❖ لم يدرك هذا الغبي أن الطريق الواسع يؤول به إلي الهلاك.
وأن سلطان إبليس وسلامه وأمجاده مخادعة!
في جهلٍ كان ينحدر، ليُعلن عاره وخزيه أمام الأرض كلها!

❖ هب لي يا رب روح التواضع،
أسلك معك طريق الصليب الضيق.

---

[1] *St. Jerome: Epistles 22: 4.*

واتكئ على صدرك الأبوي.

فأتمتع بخلاصك الفائق المجيد أبديًا!

❖ أنا أعلم كم نفسي ثمينة للغاية عندك.

من أجلي نزلت إليّ، وصرت عبدًا لتحررني.

حملت الصليب، لكي أحملك في داخلي.

لم تدعني معوزًا شيئًا من أعمال كرامتك.

قدمت لي كل إمكانية لخلاصي.

وهوذا العدو يكرس كل طاقاته لتحطيمي.

أنا بين يديك، لن يخطفني منك.

أنت مخلصي وحارسي وسلاحي ونصرتي!

بك أنعم بالنصرة وأتمتع بك.

أنت إكليلي ومجدي وفرحي الأبدي..

الباب الثاني

الشعب المتضايق

يهوديت ٤-٧

الأصحاح الرابع

رعب اليهود على الهيكل

في الأصحاحات الثلاثة الأولى مهّد الكاتب للمعركة أو المجابهة بين الأشوريين واليهود، ليوضح أن النصرة لم تكن بذراعٍ بشريٍ، ولا بإمكانيات عسكرية، وإنما خلال رعاية الله الفائقة ونعمته التي تعمل مع الذين يتقدسون له.

فمن جهة الإمكانيات البشرية العسكرية ليس من وجهٍ للمقارنة بين جيش الأشوريين وجيش اليهود، وأيضًا من جهة المعدات العسكرية من خيول مدربة على الحرب ومركبات، هذا بجانب ما انضم إليهم من البلاد التي سقطت في قبضتهم سواء خلال الحرب أو الاستسلام.

صوّر الكاتب حالة الرعب التي حلت بالبلاد، وسقوطها الواحدة تلو الأخرى، أو استسلامها.

انهيار المعابد والمذابح ودور العبادة الوثنية ليبقى نبوخذنصر الإله الوحيد على جميع الأرض كما كان يظن في نفسه وما أراد تحقيقه.

هنا يليق بنا أن نقف إلى لحظات لنرى هذا التحرك الجماعي للعمل على كل المستويات، والدافع الحقيقي لتحركهم.

أولاً: لم تكن تشغلهم الخسائر المادية أو البشرية، سواء من استيلاء أشور على ممتلكاتهم أو قتله لهم. لكن ما كان يشغلهم هو تدمير مدينة الله وتدنيس الهيكل المقدس، ونشر العبادة الوثنية المتركزة في عبادة الملك الأشوري.

ثانيًا: مع إدراكهم أنه ليس من وجه للمقارنة بين إمكانياتهم وإمكانيات أشور، تحركوا ليبذلوا كل الجهد بالعمل العسكري في كل المواقع ما أمكن وبلا يأس.

ثالثًا: امتزج العمل بالصراخ لله مع انسحاق وأصوام وتقديم ذبائح يومية.

رابعًا: قام كل واحدٍ بدوره، من رئيس الكهنة ومجلس الشيوخ بل والشعب حتى الأولاد الصغار مع النساء، فالكل يساهمون في طلب مراحم الله.

١. ارتعاب بني إسرائيل خشية هدم أورشليم، وتدمير هيكل الرب ١-٣.

٢. هيأوا أنفسهم ومدنهم وقراهم للحرب ٤-٨.

٣. صراخ كل الشعب لله ٩-١٣.

٤. صراخ يواقيم رئيس الكهنة لله ١٤-١٥.

١. ارتعاب بني إسرائيل خشية هدم أورشليم، وتدمير هيكل الرب

وسَمِعَ بَنو إسرائيلَ المُقيمونَ في اليَهوديَّةِ بِكُلِّ ما صنَعَه هولوفرنيس (أليفانا)، رَئيسُ قُوَّادِ نبوخذنَصَّر مَلِكِ أشور بالأُمَمِ، وبِالطَّريقةِ الَّتي نَهَبَ بِها جَميعَ مَعابِدِها ودمرها [١].

حلول الجيش الأشوري شمال البهودية، وانتشار أخبار نصراته المستمرة دون مقاومة تُذكر، واستسلام بعض المدن قبل الهجوم عليها، خلق نوعًا من الرعب في اليهودية. فبحسب التخطيط العسكري والحكمة البشرية بدا العمل العسكري الأشوري ناجحًا تمامًا.

معابدها: هنا تشير إلى كل أماكن العبادة من أضرحة وهياكل ومذابح ومقدسات. وقد ورد ذكر هيكل أورشليم في سفر يهوديت تحت الأسماء التالية:

١. *naos* أي هيكل *Temple* (٤: ٢).

٢. *oikos* أي بيت (٤: ٣).

٣. *agiasma* أي مقدس *sanctuary* (٥: ١٩).

٤. *agion* أي مقدس (٤: ١٢؛ ٩: ٨).

٥. *ta agia* أي الأشياء المقدسة، أو الهيكل بكل مقدساته (٤: ١).

خافوا خَوفًا شَديدًا جدًّا مِن حضرتِه، واضطربوا لأمرِ أورشَليم وهَيكَلِ الرَّبِّ إلهِهِم [٢].

وصلت أنباء الحملة إلى سكان أورشليم وبقية اليهودية، فارتعبوا، وذلك عن ضعف بشري. لقد نسوا أعمال الله معهم ومع آبائهم، وبدأوا يفكرون بحسابات بشرية، فانتابهم الذعر. نسوا وعود الله ومواعيده الفائقة!

خشي اليهود أن يفعل بهم أليفانا كما صنع ببقية الشعوب المحيطة بهم. أما ما كان يشغلهم بالأكثر فهو إصراره على تدمير المعابد والمذابح؛ فقد بات بالنسبة لهم دمار مدينة الله أورشليم والهيكل على الأبواب.

حسن أن يخشى الإنسان تدمير هيكل الرب، إذ يكشف ذلك عن محبته لله الساكن فيه، لكن يليق به أن يترنم قائلاً: "إن لم يحرس الرب المدينة، فباطل يتعب الحراس" (مز ١٣٠: ١).

هكذا ومن جانب آخر إن كان اليهود قد امتلأوا غيرة على الهيكل المبني من الحجارة، كم بالأكثر يليق بنا أن نهتم بالهيكل الداخلي، أي سكنى الله فينا.

❖ لنعمل ما ينبغي علينا عمله، معتبرين أنّه حالّ فينا، ونحن هياكله، وهو إلهنا الساكن فينا. وهذا سيظهر لنا بكل وضوح إن أحببناه باستقامة[1].

❖ اعتبرتم نفوسكم حجارة هيكل الآب، أُعدتم لبناء الله، ورُفعتم إلى فوق بأداة يسوع المسيح، أي بالصليب، وبحبل الروح القدس. إيمانكم يسحبكم إلى فوق، والمحبّة هي الطريق الذي يؤدي بكم إلى الله.

أنتم إذن رفاق الطريق، حاملون الله *Theophoroi* والهيكل *Naophoroi* والمسيح *Christophori* والقدسات *Agiaphoroi*[2].

القدّيس أغناطيوس الثيوفورس

❖ إن نسل داود الذي بنى البيت الإلهي ليس سليمان بل السيد المسيح، إذ أقام هيكل الله غير المصنوع من خشب وحجارة، بل من البشر، أي من المؤمنين الذين قال عنهم الرسول: "أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله ساكن فيكم؟" (١ كو ٣: ١٦)، لأن السيد المسيح لا سليمان هو الذي تثبت مملكته إلى الأبد حسب هذا الوعد الإلهي (٢ صم ٨: ١٣)[3].

القديس أغسطينوس

ذلك بِأَنَّهم جاءوا مِن السبي مُنذ عَهْدٍ قَرِيب،
واجتَمَعَ مُنذُ قَليل شَعبُ اليَهوديَّةِ كلُّه،
وتقدست الأَدواتُ والمَذبَحُ وَالهيكل بَعدَ تَدْنيسِها [٣].

السبي القريب هنا هو بلا شك سبي منسيّ بن حزقيا وخليفته في مملكة يهوذا، ملك سنة ٦٩٣ ق.م. وهو ما يزال حديث السن (١٢ سنة)، وقد أضلّ الشعب وعبد الأوثان (٢

---

[1] *Ephes. 15:3.*
[2] *Ephes. 9:1, 2.*
[3] *City of God, 17: 8.*

مل ٢١: ٢-٩)، حاول التحالف مع بابل ضد أشور. أسره الأشوريون، لكنهم عادوا فأطلقوه، وعاد إلى مُلكه، مات عام ٦٣٩ ق.م.

وقد جرت أحداث هذا السفر خلال الفترة التي كان فيها منسى بعيدًا عن اليهودية. ومن الدلائل التاريخية على ذلك أن منسى دفع الجزية لكل من آسرحدون وأشوربانيبال. وفي مثل هذه الحالات كان رئيس الكهنة يتولى المسئولية الإدارية للبلد، وهو يرجع إلى أمراء البلد عند الضرورة.

٢. هيأوا أنفسهم ومدنهم وقراهم للحرب

فأرسلوا رُسُلاً إلى جَميع مناطق السَّامرة والقرى *Kona*،

وبَيتَ حُورون *Beth Horon* وبِلْمائين *Belmen* وأريحا وكُوبا *Choba*

وعزورا *Aesora* ووادي شَليم *Salem* [٤].

واضح أن قادة اليهود أمروا الشعب أن يربضوا في الممرات الضيقة التي للجبال في كل السامرة كما في اليهودية لمنع تسلل الجيش الأشوري البلوغ إلى أورشليم وتدنيس الهيكل والمذبح والأدوات المقدسة.

جميع مناطق السامرة: لم يقف الأمر عند مدينة السامرة، وإنما ضموا المدن المتاخمة لها، والتي كانت تُحسب تاريخيًا جزءًا من السامرة. كانت هذه المدن تبعد حوالي ٤٢ ميلاً شمال أورشليم، وتحسب كخط دفاع لها. السامرة حاليًا تدعى سبسطية *Sebastiyeh*، وهي تشرف على الطريق الشمالي جنوبي، يربط سهل يزرعيل *Esdraelon* في الشمال حيث كان هولوفرنيس مع أورشليم في الجنوب حيث يوجد الهيكل.

قام سرجون الثاني بهدمها عام ٧٢١ ق.م، لكن سرعان ما تأهلت بالسكان وأعيد بناؤها، وصارت مركزًا لإدارة إقليمية بواسطة الأشوريين ثم البابليين والفرس. أما في عهد الإمبراطورية الهيلينية، فصار لها تاريخ متأرجح. ومنذ عام ١٠٧ ق.م صارت السامرة في يد اليهود. افتتحها يوحنا هركانيوس *John Hyrcanus* (١٣٥-١٠٤ ق.م) الذي أزال جزء من أسوارها.

كونا: جاءت في بعض الترجمات بمعنى "قرى"، وهي مجموعة مداخل وقرى بين السامرة وأورشليم.

بيت حورون (يش ٢١: ٢٢؛ ١ أي ٧: ٢٤) كان يوجد مدينتان: بيت حورون العليا

(يش ٥: ١٦) ارتفاعها ١٧٥٠ قدمًا فوق سطح البحر، تبعد خمسة أميال شمال غرب جبعون، وهي على بعد ميلين فقط من بيت حورون السفلي (يش ١٦: ٣) ارتفاعها ١٠٠٠ قدم فوق سطح البحر.

سيطرت المدينتان على وادي أيّلون والطريق التجاري القديم الذي كان يُمر فيه. هذا الطريق سلكت فيه جيوش كثيرة في أزمنة الكتاب المقدس. وهنا طارد يشوع ملوك الأموريين الذين هاجموا مدينة جبعون. وقد توالى على هذه البقعة الفلسطينيون والمصريون والسوريون[1]، وهنا أيضًا نال يهوذا المكابي النصرة في معركتين هامتين، واحدة ضد سيرون *Seron* (١ مك ٣: ١٦، ٢٤)، والأخرى ضد نِكانور *Nicanor* (١ مك ٧: ٣٩). مؤخرًا قام *Bacchides* بتحصين بيت حورون (١ مك ٩: ٥٠)[2].

بلمانين أو بلمان *Belmen* أو *Belmain*، وربما بلما المذكورة في ٧: ٣، وبلمون في ٨: ٣، تقع على بُعد ٣٥ كم من صور. ويرى البعض أنها "آبل بيت معكة"، بالقرب من بحيرة طبرية، ويرى آخرون أنها خربة بلعمة على مقربة من دوثان. أفي يونا *Avi-yanah* وأهاروني *Aharoni* يدعونها *Belaen* ويعرفونها بأنها *Abel-maim* تبعد حوالي ١٣ ميلاً جنوب مدينة السكيثيين[3] *Scaythopolis*.

أريحا *Jericho*: توجد مدينتان باسم أريحا, أريحا العهد القديم (حاليًا تل السلطان *Tell el-sultan*)، تقع في نهاية جنوبي وادي الأردن. وأريحا العهد الجديد (حاليًا تل أبو العليق *Tulul Abu el-Alauiq*)، تبعد ميلاً واحدًا جنوب أريحا العهد القديم، على الجانب الغربي لساحل الأردن، وحوالي ١٦ ميلاً من أورشليم.

كوبا *Choba*: إحدى القرى الواقعة إلى الشمال من فلسطين. وكانت ضمن الحصون. ذُكرت مرة أخرى في ١٥: ٤-٥ ضمن البلاد التي أرسل إليها رئيس الكهنة لتتعقب الغزاة الأشوريين بعد مقتل أليفانا. يرى البعض أنها هي المخوبي *El-Mebhubbi* بين Tubass وبيسان *Besan*، وآخرون أنها هوبة *Hoba* شمال دمشق (تك ١٥:١٤)، والتي تُدعى حاليًا تل الصليحي *Tell-el-Salihiye* ويرى *Avi-Yonah* وأهارون أنها المرماله *El- Marmaleh* تبعد ٣٠ ميلاً تقريبًا من بيت شأن وثلاثة أميال غرب نهر

---

[1] موسوعة الكتاب المقدس: دار منهل الحياة، ١٩٩٣، ص ٧٠.

[2] *Josephus: Antiq. 13: 1:3.*

[3] *Macmillan Bible Atlas, Map 21.*

الأردن.

عزورا **Esora** أو **Aesora**، ربما كانت حاصور *Hazor*، وهو اسم عبري معناه "حظيرة". وهي مدينة كنعانية في شمال فلسطين. نظم يابين ملك حاصور تحالفًا ضد يشوع، لكنه هُزم وأُحرقت المدينة. وهزم باراق ودبوّرة ملكًا آخر لحاصور. جدد الملك سليمان بناءها وحصنها، مع مجدو وجازر *Jazer*. دمرها الأشوريون في القرن الثامن ق.م. تذكر حاصور في نصوص مصرية وبابلية وفي رسائل تل العمارنة، وبالإضافة إلى ما ورد في العهد القديم (يش ١١؛ قض ٤؛ ١ مل ٩: ١٥، ٢ مل ١٥: ٢٩).

وادي شليم **Salem** وربما كان *Saleim*، وهو وادي يقع على مسافة حوالي ١٠ كم شمال شرقي أورشليم، بالقرب من وادي عرفة.

وللحال احتلُّوا جَميعَ رُؤُوسِ الجِبالِ العالية،
وحصنوا القُرى التي فيها،
وتَزَوَّدوا بالمئونة استعْدادًا للقتال،
لأَنَّ حُقولَهم حُصِدَت مُنذُ عَهْدٍ قَريب [٥].

أصدر رئيس الكهنة ألياقيم تعليماته إلى جميع أمراء وسكان المناطق الجبلية في اليهودية لكي يضبطوا مداخل الجبال. ومن المعروف أن اليهودية عبارة عن سلاسل من الجبال، وبعض مداخلها لا يسع إلاَّ لمرور جندي أو اثنين، مما يجعل اصطيادهم سهلاً من قبل الجنود المحليين. وقد استعان نبوخذنصر بالأدوميين عند حصاره أورشليم للتعرف على مداخل البلاد. وقد قام الأدوميون بهذا الدور جيدًا، وشمتوا في هزيمة اليهود (مز ١٣٦).

جاءت تعليمات رئيس الكهنة هكذا:

١. وضع حراسة مشددة على قمم الجبال، تستطيع أن تتحكم في أسافل الجبال والوديان التي حولها.

٢. ضبط المناطق الضيقة بين الجبال، والتي تُعتبر أبوابًا للدخول إلى اليهودية.

٣. الاهتمام بأسوار القرى حتى تكون محصنة.

وكانَ يُواقيمُ *Joakim* رئيس الكَهَنَةِ في أُورَشليم في تلكَ الأَيَّام،
فكَتَبَ إلى سُكَّانِ بَيتَ فَلْوى *Bethulia* وبَيتَ مُسْتَئيمَ *Betomestham*،
اللَّتَين حيالَ يزْرَعيل *Esdraelon*

وقُبالةَ السَّهلِ القَريبِ مِن دوثان [٦].

يواقيم أو ألياقين أو يهوياكين، أسماء تعني "الله يقيم" أو "من يثبته الله".

خوّل رئيس الكهنة صلاحيات كبيرة في كثير من الفترات. ومع أن مجمع السنهدرين قد تأسس بعد ذلك بكثير، إلاَّ أنه كانت هناك مجالس من المشيرين يشتركون مع رئيس الكهنة في إدارة بعض الشئون الدينية وأحيانًا المدنية.

في ذلك الحين كان منسى مأسورًا من الأشوريين بسبب تحالفه مع البابليين ضدهم. وقد عاد فيما بعد، بعد توبته حيث حاول القيام بإصلاحات دينية، بعد أن أضل الشعب وجرهم إلى الوثنية في بداية حكمه.

يرى دميان ماكي أن ألياقيم (كما جاء في نص *Douay*) قام بإثارة الشعب كملك، وذلك كما فعل الملك حزقيا عندما حاول سنحاريب غزو أورشليم (٢ أي ٣٢: ٢-٨). وأنه هو ألياقيم بن حلقيا الذي على البيت (٢ مل ١٨:١٨؛ إش ٣٦: ٣). وقد ورد اسمه في السجلات الأشورية اليميتي *Akhi* عوض *Elikim*، وأنه كان حاكم أشدود أو لخيش. لذا يرى البعض أنه كان رئيس كهنة سابق وقد عُين رئيسًا على لخيش، لكنه في ذاك الوقت كان في أورشليم التي لم تكن مسكنه الدائم. وكان يتولى الحكم على حصن لاخيش الحصين سلسلة من رؤساء الكهنة السابقين كما على غيرها من المواقع كما يظهر من (١ مل ٤: ٢) في أيام الملك سليمان.

يقول دميان ماكي أنه على ضوء ما ورد في يهوديت أن ألياقيم كان كبير موظفي القصر *Major-domo* أو كبير التشريفات في البلاط الملكي، وكان يقوم بإدارة أمور القصر، فإن كلمة "بيت" (٢ مل ١٨:١٨) يُعنى بها "القصر الملكي"، وإن كانت تُستخدم أيضًا بالنسبة للهيكل كبيت الرب.

بيت فَلْوى ***Bethulia***: وهو الموقع الذي كان في الصدارة تجاه قوات الأشوريين، وهي مدينة صغيرة تقع على حافة منحرف صخري عالي، يقع أسفله وادي سحيق يجري فيه مجرى مائي. وقد ورد الاسم في العبرية *Bethliya* ومعناه "المكان المرتفع". يقع بيت فَلْوى في وادي يزرعيل بالقرب من دوثان (دوثائين). رأى أحد العلماء أن الموقع كان تلاً بركانيًا يُعرف باسم هتين، على بعد ٧ كم غرب بحر الجليل. ويرى البعض أن الموقع حاليًا هو "سنور" أو "البريد" أو "سيج سبيل" أو "مصيلح"، يبعد ١٢ كم من جينين الحالية. ويرى البعض أن الموقع هو قمة جبيل المسماة "الإسي". وأما الشراح الذين مالوا إلى التفسير الرمزي فرأوا

أن بيت فلْوى هو اسم مستعار لشكيم أو "بيت الله". سُميت أيضًا "مدينة جبل افرايم"[1]

بيت مستثيم ***Betomestham***، ربما جاء من الاسم *Beth Masthama* أو *Betomesthaim* ومعناه بيت الحفوقة أو بيت الشيطان. لا يُذكر هذا الموضع إلاَّ في هذا السفر، يقع مقابل سهل يزرعيل بجوار تل دوثان، ومن هنا له أهمية خاصة في الاستعداد لمواجهة جيش الأشوريين.

وحي إشعياء النبي عن ألياقيم

إذ قدم إشعياء النبي وحيًا عن شبنا الذي على البيت (إش ٢٢: ١٥) تنبأ عن ألياقيم بن حلقيا أنه يحتل مركز شبنا (إش ٢٢: ٢٠-٢٥)، يرى دميان ماكي أن هذا قد تحقق أثناء الحملة الثالثة لسنحاريب، حيث كان ألياقيم *numero uno*، يحتل المركز الأول، وشبنا *Shebna* المركز التالي.

ما ورد في إش ٢٢: ١٥ عن شبنا الذي احتل ألياقيم مركزه أنه كان كبير العاملين في القصر *Major-domo*، غير أنه جاء النص في الفولجاتا كرئيس كهنة، وقد طُلب من إشعياء أن يذهب ويدخل إلى شبنا جليس الملك والذي على البيت، ويعلن له عن سقوطه. هذا ولم يوصف ألياقيم كصاحب سلطان فحسب، وإنما كرئيس كهنة بكونه "أبًا لسكان أور ولبيت يهوذا" (إش ٢٢: ٢١). كما قيل عنه: "ويعلقون عليه كل مجد بيت أبيه، الفروع والقضبان، كل آنية صغيرة من آنية الطسوس إلى آنية القناني جميعًا" (إش ٢٢: ٢٤). هنا يتحدث عن أوانٍ كهنوتية (١ أي ٢٨: ١٧).

يواقيم ويوئيل

يربط البعض بين ما ورد هنا عن محاولة أليفانا غزو أور وبين ما ورد في يوئيل ٢، حيث طالب الله: "قدسوا صومًا، نادوا باعتكاف" (يؤ ٢: ١٥).

طَالبًا إليهم أن يَضبطوا مَسالكَ الجَبل،
لأنَّ بها يَتمُّ الوُصولُ إلى اليَهوديَّة،
ولأنَّه منَ السهلِ صدُّ المُتَقَدِّمين،
إذ إنَّ ضيقَ المَمَرِّ لا يسمح إلا باثنَينِ فقط [٧].

هذا الوصف لضيق الممر يجيب على التساؤلات بخصوص ممر مخماس

---

[1] *Interpreter Dictionary of the Bible, Judith.*

Michmash الذي يحمي صخرتي بوصيص *Bazez* وسنَه *Seneh* التي سمحت ليوناثان وحامل سلاحه وحدهما أن يتسلقا معًا (١ صم ١٤: ١-١٣).

كان جيش أليفانا وأتباعه ضخمًا للغاية، واستعداداته فائقة بالنسبة لإمكانيات شعب الله، لكن لم يستطع أليفانا بكل إمكانياته أن يعبر ليحاربهم إذ كانت الممرات الضيقة تحت حراسة يقظة وجادة. هكذا مهما كانت إمكانيات عدو الخير وقدراته وخبراته وخططه لن يستطيع أن يحتل مركز القيادة في المؤمن، مادام المؤمن يقظًا في الرب، يحفظ بروح الله حواسه دون تهاون أو استهتار.

المضايق هنا تشير إلى حواس المؤمن، التي من خلالها ينعم المؤمن بالحضرة الإلهية فيصير هيكلاً للرب مقدسًا له، أو يتسلل منها العدو ليحتل هذا الهيكل الذي تمتع به المؤمن خلال سري العماد والمسحة فيتدنس ويصير مركزًا للشر والفساد.

❖ لا يقدر أن يلج العدو إلى المدينة المغلقة، والقوية أسوارها، لو لم تتراخَ نفسي وتتفتح، فتدخل ذكرى الشهوات، وتدور فيها ثم تخرج. وتنتصب في اليقظة الخيالات بمناظرها أمام عيني. أنا الإنسان الشقي، من ينقذني من هذا الجسد المائت؟ (رو ٧: ٢٤)[1]

القديس مار يعقوب السروجي

❖ لم يخلق الله لك عينيّن لكي تدخل بهما إلى الزنا، وإنما لكي برؤيتك خلائقه تعجب...

❖ إن رغبت أن تنظر بلذّة فتطلّع إلى زوجتك وحبّها باستمرار، فإن الشريعة لم تمنعك من هذا. أمّا إن كنت محبًا للاستطلاع نحو جمال من هنّ لغيرك، فإنك بهذا تؤذي زوجتك، لأن عينيْك تجولان في كل موضع، وتؤذي من تتطلّع إليها بالاقتراب منها بطريقة دنسة. فإنك وإن كنت لا تمسّها بيديك لكنك تلاطفها بعينيْك فيحسب ذلك زنا... ليست هي التي صوّبت سهمها إليك، وإنما أنت الذي سبّبت لنفسك جرحًا مميتًا بنظرك إليها[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

ففَعَلَ بنو إسرائيلَ كَما رَسَمَ لَهم يواقيم رئيس الكَهَنَة
ومَجلِسُ شُيوخِ شَعْبِ إسرائيلَ كلِّه الَّذي كانَ يَعقُدُ جَلَساتِه في أُورَشَليم [٨].

---

[1] الرسالة الثامنة والثلاثون.

[2] *In Matt. hom 17:2.*

تحرك رئيس الكهنة بقوةٍ وغيرةٍ متقدة، فتحرك معه مجلس الشيوخ، بل وصرخ جميع الشعب، صراخًا حارًا.

حينما يمتلئ القلب بالغيرة المقدسة وبروح العبادة والتقوى (عمل رئيس الكهنة) يعمل أيضًا العقل وكل حواس الإنسان معه (مجلس شيوخ الشعب)، وبالتالي تعمل كل طاقات الإنسان وقدراته الظاهرة والخفية، ما تبدو منها هامة أو تافهة (كل فئات الشعب).

٣. صراخ كل الشعب لله

وصرَخَ جَميعُ رِجالِ إِسرائيلَ إلى الرَّبِّ صُراخًا حارًا جِدًّا.

وذلّلوا أَنفُسَهم تَذليلاً شَديدًا [٩].

لم ينهج اليهود منهج الأمم الأخرى بالاستسلام والخنوع مهما تكن التكلفة، وإنما لجأوا إلى الله، إله الآلهة ورب الأرباب. لقد حسبوا أنفسهم ليسوا طرفًا في المعركة، إنما هي معركة بين الله نفسه ونبوخذنصر الذي يقيم نفسه إلهًا، أو بين الله وإبليس.

ارتبط صراخهم لله (صلواتهم) بتذللهم، وأيضًا بالصوم إلى أيامٍ كثيرةٍ [١٣]. وقد اعتاد اليهود أن يلجأوا إلى الصوم الجماعي في فترات الضيق (قض ٢٠: ٢٦؛ ١ مل ٢١: ٩؛ إر ٣٦: ٩؛ يونان ٣: ٥؛ ٢ أي ٢٠: ٣؛ إس ٤: ١-٣، ١٥؛ ١ مك ٣: ٤٤-٤٨).

❖ لا تضجر في طلبك. لا تفكر بأن طلبك يعود فارغًا.

لا تقل: طلبت كثيرًا ولم أجد، ولعلني لا أجد أبدًا[١].

القديس مار يعقوب السروجي

هُم ونساؤُهم وأَولادُهم وقُطْعانُهم

وجَميعُ النُّزلاءِ مِن أُجَراءَ وعَبيد

وضعوا مسحًا حول أحقائهم [١٠].

وجَميع رجالِ إِسْرائيلَ والنِّساءُ والأَولادُ المُقيمونَ في أُورَشَليم،

سَجَدوا أَمامَ الهَيكَل،

وعَفَّروا رؤوسَهم بِالرَّماد،

وبَسَطوا مُسوحَهم أَمامَ وجه الرَّبّ، [١١].

---

[١] الرسالة الثامنة والثلاثون.

وغطوا أيضًا مَذبَحَ الرَّبِّ بِمِسحٍ،
وصَرَخوا صُراخًا حارًّا إلى إلهِ إسرائيلَ بِصوتٍ واحِدٍ،
ألاَّ يُسلِمَ أطفالَهم إلى النَّهبِ،
ونِساءَهم إلى السَّبْيِ،
ومُدُنَ ميراثِهم إلى الدَّمارِ،
والمكانَ المُقَدَّسَ إلى التَّدنيسِ،
وإلى شَماتِ الأمَمِ المُهينِ [١٢].

جاءت الوصية (لا ٢١: ١-١٢) تحدد مظاهر حزن الكهنة، وتمنعها تمامًا من رئيس الكهنة، مهما كانت الأسباب. هذا لكي تمنع طقسًا وثنيًا، حيث كان كهنة الأوثان يلبسون المسوح في فصل الجفاف من كل عام اعتقادًا بموت معبودهم أثناء الجفاف. ولعل الله أراد أن يلبس الكهنة ثياب المجد لكي يقدموا للشعب جوًا روحيًا مفرحًا يملأ نفوسهم رجاءً في السماويات. أما هنا فالكارثة ليست شخصية أو عائلية تمس الكاهن أو أسرته، إنما تمس كيان الشعب كله.

المسوح *Sackcloth* وتسمى في العبرية ساك، هو لباس خشن ذو لون قاتم، أسود أو بني كما جاء في (إش ٥٠: ٣؛ رؤ٦: ١٢)، ذلك لأنه كان يُصنع من وبر الإبل. تُستخدم المسوح تعبيرًا عن الحزن ومرارة النفس. كان يرتبط استخدامها بالجلوس في الرماد مثلما فعل يعقوب عندما فقد ابنه يوسف (تك ٣٧: ٣٤). وعندما فعلت رصفة عندما صلب الجبعونيين ابنيها (٢ صم ٢: ١٠). وكانت المسوح تُستخدم في استدرار العطف، كما فعل الجبعونيون مع يشوع (يش ٩: ١٤)، وبنهدد ملك آرام ليحظى بعفو ملك إسرائيل (١ مل ٢٠: ٣١، ٤٣).

تُستخدم المسوح كعلامة للتوبة والانسحاق أمام الله للتمتع بمراحمه كما فعل شعب نينوى (يونان ٣)، وأيوب البار (أي ١٦: ١٥) ومدينتا صور وصيدا (مت ١١: ٢١؛ لو ١٠: ١٣).

أُستخدمت المسوح كسلوكٍ نسكي شخصي كما فعل الأنبياء والقديس يوحنا المعمدان (رؤ ١١: ٣).

استخدم اليهود المسوح عندما أهانهم السلوقيون ودنس أنطيوخس أبيفانس المذبح (١ مك ٣: ١٧).

هذه هي المرة الوحيدة التي يُذكر فيها تغطية مذبح الرب بمسح، ربما يُقصد بها أن المشكلة تتعلق أيضًا بالمذبح، فإذا كان المذبح هو نقطة تلاقي الشعب مع الله، فإن الانسحاق والتذلل هنا يبلغ أقصاه، متجاوزًا بذلك مجرد الزهد الشخصي في المخادع، كما أن اليهود هنا يطرحون أطفالهم عند المذبح ليستدروا بهم عطف الله ومراحمه، ويعرضون عليه ما بلغ إليهم من خطر!

فسَمِعَ الرَّبُّ إلى صراخهم ونَظَرَ إلى شدَّتِهم.
وكانَ الشَّعبُ يَصومُ أيَّامًا كثيرةً في كُلِّ اليَهوديَّةِ وأورَشليم،
أمامَ مقدِسِ الرَّبِّ القَديرِ [١٣].

❖ "عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم" (مز ٣٤: ١٥)... ربما تقول: لقد صرخت إليه، ولكني لازلت في محنة. فقط تمسك بطرفه، وعندما تكون في محنة يسمع لك.

هو طبيب، ويقدم لك نوعًا من التطهير. إنك تصرخ، لكنه يبقى يقطع ولا يرفع يده حتى يقطع حسب مسرته. فإن الطبيب الذي يسمع للشخص ويتوقف عن أن يجرح ويطهر إنما هو قاسي.

الأمهات تواصلن في استحمام أطفالهن من أجل صحتهم. أما يصرخ الأطفال بين أياديهن؟ هل هؤلاء قاسيات لأنهن لا يتوقفن ولا يبالين بدموع أطفالهن. ألسن مملوءات حنانًا؟... هكذا فإن الله أيضًا مملوء حبًا، لكنه يبدو كمن لا يسمع. إذ لا يتوقف حتى يشفينا أبديًا.

ربما يقول الشرير، إنني أفعل الشر وأنا في أمان، لأن عيني الرب ليست نحوي، إنما الرب يصغي للأبرار، وليس لي، أفعل ما أريد وأنا في أمان. إذ يرى الرب أفكار البشر قيل: "وجه الرب **ضد عاملي الشر، ليقطع من الأرض ذكرهم**" (مز ٣٤: ١٦)[1].

القديس أغسطينوس

❖ "**ليت طلباتي تأتي أمام الرب**". فإنه إن بلغت صلاتي العلا، يهلك أعدائي (مز ٩٢: ٢)؛ الصديق يثبت (حك ٥: ١)، الشبكة تنكسر، والعصفور إذ يتحرر يطير في حرية (مز ١٢٤: ٧)؛ والمضطهدون يحنون رؤوسهم، والمضطهَدون يفرحون (مت ٥: ١٠-١٢).

[1] *On Ps. 34. (33).*

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

٤. صراخ يواقيم رئيس الكهنة لله

وكانَ يواقيم رئيس الكَهَنة، وجَميعُ الكهنة القائمينَ أمامَ حضرة الرَّبّ،
ويخدمون الرب،
وأوساطُهم مشدودة بالمُسوح،
يُقرِّبونَ المُحرَقَةَ الدَّائمة ونُذورَ الشَّعبِ وتَبَرُّعاته [١٤].

في انسحاق تقدم رئيس الكهنة وجميع القائمين أمام الرب في الهيكل، والشعب كله، يطلبون مراحم الله.

كان تحرك رئيس الكهنة على المستويين: العمل حيث رأينا كيف طلب من كل القيادات الدفاع عن الوطن بكل وسيلة، وأيضًا الصلاة الدائمة بروح اللجاجة مع انسحاق ونسك.

كان تقديم ذبيحة حمل مرتين في اليوم أكثر كل الذبائح اليهودية والتقدمات أهمية (خر ٢٩: ٣٨-٤٢؛ عد ٢٨: ٦).

جاءت كلمة "يخدمون" هنا كاصطلاح ليتورجي[١] (أنظر أيضًا لو ١: ٢٣؛ أع ١٣: ٢؛ عب ٨: ٦). يقول القديس **إكليمنضس السكندري**: [يلزمنا نحن جميعًا أن نمارس كل هذه الأعمال؛ يأمرنا السيد أن نتمم ما يأمرنا به في الأوقات المعينة. إنه يأمرنا بإتمام الذبائح والخدمات... فلرئيس الكهنة واجبات يلتزم بها، وهكذا الكهنة لهم مواضعهم الخاصة بهم، وأيضًا اللاويين لهم التزامات وضعت عليهم، ويرتبط الشعب بأحكامٍ معينة[٢].]

هكذا يليق بالكل، من رئيس الكهنة حتى الطفل الصغير، الكل له دوره والتزاماته بتقديم ذبائح وتقدمات التسبيح والطلبات من أجل الكنيسة وبنيانها.

كما أن رئيس الكهنة يلتهب كل كيانه لأجل سلام الكنيسة وعملها الكرازي، هكذا الشعب أيضًا يلزم أن يكون لهم ذات الروح، وإن كان لكل عضوٍ دوره الخاص به.

وكان الرَّمادُ على عَمائِمِهم الليتورجية،
وكانوا يَصرُخونَ إلى الرَّبِّ بِكُلِّ قوَّتِهم،
أن يفتَقِدَ كل بَيتَ إسْرائيلَ [١٥].

---

[1] *The Orthodox Study Bible 4: 14.*
[2] *The Orthodox Study Bible 4: 14.*

كانت عمائم الكهنة أو العصائب التي على رؤوسهم كتانية كما ورد في خر ٤٤: ١٨.

كان اليهود واثقين أن أليفانا لن يقدر أن يمسهم بأذية ما لم يسلمهم الله له، أو يسمح لهم بذلك، مفاتيح المشكلة في يد الله نفسه، وليس في إمكانيات أليفانا أو جيشه. ففي مواقف كثيرة يسمح الله لهم بالمذلة ليس من أجل برّ أعدائهم، وإنما بسبب شرّ اليهود أو عصيانهم أو جحودهم، وأحياناً لأجل تزكيتهم ونموهم كما فعل في أيام يهوديت.

من وحي يهوديت ٤

ليتحرك الكل بالحب نحوك!

❖ ارتعب شعبك ليس خوفًا من الموت،
ولا من الأسر والمذلة،
وإنما خشية دمار مدينتك وبيتك المقدس،
وتسلل الوثنية إلى مقدساتك!

❖ هب لي أن أطلب القداسة لهيكلك في داخلي،
فبدونها لا أستطيع أن أعاينك.
لتحطم يا أيها القدوس كل القوات الشريرة،
فلا تتسلل النجاسة إلى قلبي أو أحاسيسي!

❖ يستعرض عدو الخير جبروته ليرعبني.
يود أن يحطم حياتي تمامًا.
لكن، كيف أرتعب منه،
والذين معنا أكثر وأعظم من الذين علينا؟
هل للظلمة أن تبدد النور؟
هل لإبليس أن يقف أمامك؟
لتتجلى في داخلي يا ملك الملوك،
فيهرب العدو من أمام وجهك،
ويسقط كالبرق من السماء!

فلا يكون له موضع في ملكوتك داخلي!
أقم مني سماءً،
فلا يجسر العدو أن يقترب إليّ.

❖ من الأعماق صرخت إليك يا رب،
فأنت وحدك تسمع صرخات القلب،
أنت وحدك ترى مذلتي فتسندني،
تقبل أصوامي ومطانياتي!
تقبل مذلة قلبي وانسحاقه ذبيحة مقبولة لديك!

❖ لأصرخ مع كل الكهنة والشعب.
لأعمل مع كل رجلٍ وامرأةٍ، وشيخٍ وطفلٍ،
مع كل شابٍ وشابةٍ!
فأنت تنصت للعاملين معًا بروح الحب والوحدة!
بك أتحرك، وفي رجاء أترقب خلاصك!

الأصحاح الخامس

حوار بين أليفانا وأحيور قائد بني عمون

يروى لنا الكاتب غلبة ملك أشور على أرفكشاد ملك مادي، فاستسلمت له الممالك المحيطة، وصار الكل عبيدًا، وإذ لم يرسل اليهود إليه مستسلمين، سأل ملك أشور القائد العموني عن هذا الشعب الذي لم يستسلم، فأجاب إنهم لن ينهزموا إلا إذا أثموا ضد إلههم.

اغتاظ أليفانا، لأن إسرائيل استخف به، ولم يقابله بالاستسلام كسائر الشعوب.

روى أحيور قائد بني عمون قصة قيام إسرائيل منذ دعوة إبراهيم، وكيف خلصهم الرب من فرعون وملوك الكنعانيين واليبوسيين والحثيين الخ. وأنه لا يمكن النصرة عليهم ما لم يرتكبوا إثمًا في حق إلههم.

أراد عظماء أليفانا قتل أحيور، معتبرين إياه أنه يستهين بالملك وجيشه، وأنه يخدعهم.

١. مجلس حرب في معسكر أليفانا ١-٤.

٢. مشورة أحيور العموني لقائد أشور ٥-١٩.

أ. أحيور يؤكد صدق روايته ٥.

ب. من نسل الكلدانيين ٦.

ج. خروجهم من أرض الكلدانيين ٧-٩.

د. إسرائيل في مصر ١٠-١١.

هـ. خروجهم من مصر ١٢.

و. عبور البحر الأحمر ١٣.

ز. في البرية ١٤.

ح. تمتعهم بأرض الموعد ١٥-١٧.

ط. سقوطهم في السبي ١٨.

ي. عودتهم من السبي ١٩.

٣. نصيحة أحيور لأليفانا وجيشه ٢٠-٢١.

٤. محاولة عظماء أليفانا تمزيق أحيور ٢٢-٢٤.

١. مجلس حرب في معسكر أليفانا

وأُخبِرَ أليفانا (هولوفرنيس) رئيسُ قُوَّادِ جَيشِ أشور
بأنَّ بني إسرائيلَ يستَعِدُّونَ للحَرْب،
وبأنّهم سَدُّوا مَسالكَ الجَبَل،
وحصنوا كُلَّ رَأسِ جَبلٍ عالٍ،
ووَضَعوا الحَواجِزَ في السُّهول [١].

فغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا،
واستَدْعى جَميعَ رُؤَساء مُوآب وقُوَّادِ عَمُّون وجَميعَ رُؤَساءِ السَّاحِلِ [٢].

دهش أليفانا أن شعب إسرائيل وحده دون سائر الشعوب اختار أن يقاومه، وأنهم يعدون أنفسهم بالفعل للدخول في معركة [١-٢]. لهذا استدعى الرؤساء الأسرى، وبدأ يسألهم في تشامخ عما وراء موقف إسرائيل [٣-٤].

كان أليفانا يجهل تمامًا إمكانيات هذا العالم الساكن في المرتفعات.

استدعاء أليفانا القيادات العسكرية للأمم التي خضعت له يكشف عما حلّ بأليفانا من ارتباكٍ شديد، إذ لم يكن يتوقع أمة ما تتجاسر وتفعل ما فعله اليهود. أراد أليفانا أن يستفيد من خبرة هؤلاء القادة، بكونهم في جوارٍ للأمة اليهودية، يعرفون أسرارهم الحربية.

كان يتوقع أن يقدموا تقارير عسكرية لا علاقة لها بالعبادة والحياة الروحية. فقد آمن أليفانا بالقوة والسطوة والإمكانيات العسكرية.

ارتباك أليفانا مع كل إمكانياته أمام شعب يبدو كأنه أعزل لا سلاح له بالنسبة لجيش أليفانا، يكشف عن موقف إبليس الذي يظن أنه رئيس هذا العالم أمام المؤمن الذي يبدو في غاية الضعف. لكن كما يقول الرسول:

"أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني". (في ٤: ١٣)
"متقوين بكل قوة بحسب قدرة مجده لكل صبر وطول أناة بفرحٍ". (كو ١: ١١)
"حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوي" (٢ كو ١٢: ١٠).

❖ مخاوف المجاهد تصير له علة حياة لخلاصه، وعلى العكس تصير لعار أعدائه والسخرية بهم. يرد كل هجماتهم ويجعلها باطلة، ويصد كل اغراءاتهم... يقدم العدو معركة لأيوب ضد (شيطان) في الهواء، يتحرك بطريقة رهيبة بين السماء والأرض. فقد سقط (لوسيفر)

من السماوات (إش ١٤: ١٢)، ولم يدعه القديسون الذين على الأرض يستريح عليها، مع أنه يرغب في أن يتمتع بدمارنا. فإنه إذ هزمه أيوب مرارًا لم يوقف المعركة، دون انتظار إلى النصرة الحاسمة، بل يتطلب مرارًا أن يذهك البار.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ **أُنظر رِفعة المسيحي الذي يُحارب رؤساء العالم (الشياطين)، فمع أنه يعيش على الأرض، لكنه يبسط قوَّته الروحيَّة أمام أرواح الشرّ في السماويَّات. ونحن لا نُكافأ بأمور أرضيَّة في حربنا من أجله، إنما مكافآتنا روحيَّة هي ملكوت السماوات وميراث المسيح.**

يليق بنا أن نجاهد بكل مقاومة لإبليس، فالإكليل مقدَّم لنا، ويلزمنا أن نقبل الدخول معه في حرب. لا يكلَّل أحد ما لم يَغلب، ولا يمكن له أن يغلب ما لم يحارِب (٢ تي ٢: ٥). والإكليل يعظُم كلما كثر الألم، لأنه ضيق وكرب هو الطريق المؤدِّي للحياة، وقليلون هم الذين يجدونه، وواسع هو الطريق المؤدِّي للموت (مت ٧: ١٣).

يليق بنا ألا نخشى تجارب هذه الحياة قط، فهي فرصة مقدَّمة للغلبة ومادة للنصرة...

يُكثر المُضل من جرح المجاهد، ومع ذلك فالمُجاهد في شجاعته لا يضطرب قلبه...

إن تعرَّضت للتجارب فاعلم أن الأكاليل تُعد!....

أُلقي يوسف في السجن كثمرة لطهارته، لكنه ما كان يشارك في حكم مصر لو لم يبعه إخوته.

القدِّيس أمبروسيوس

وقالَ لهم: أَخبِروني، يا بَني كَنْعان،
مَن هو ذلك الشَّعبُ المُقيمُ في النَّاحيَةِ الجَبَلِيَّة؟
وما هي المُدُنُ الَّتي يَسكنُها؟
وما هو عَدَدُ جَيشِهم؟
وعلى أَيِّ شيءٍ تَقومُ قُدرَتُهم وقوَّتُهم؟
ومَن هو المَلِكُ القائمُ علَيهم والقائدُ لِجيشهم؟ [٣]

قدم أليفانا البنود الخاصة بالتقرير الذي أراده منهم: أصل هذا الشعب، ومدى أصالته، وخبراته الماضية، وظروفه الحالية، وإمكانيتهم، والقادة الذين يدبرون أمورهم خاصة العسكرية.

قدم الأسئلة وهو يتوقع الإجابة التي تُقدم له تأتي حسب هواه، تزيده فخرًا وعظمة واعتزازًا. كان يتوقع أن ينطق الكل بفمٍ واحدٍ أنه ليس من وجه للمقارنة بينهم وبينه. وأن موقفهم هذا لا يحمل إلا الغباوة والجهل وعدم إدراك لشخصية أليفانا وجيشه وإمكانياته.

أسئلته تتناغم مع روح إبليس المتعجرف والمتشامخ على الله نفسه وعلى شعبه والمؤمنين به.

❖ لما كانت أكثر الشرور جسامة هي الكبرياء، تلك التي بسببها دخل الذين جلبوا الخراب على العالم: لأن إبليس إذا لم تكن له فضيلة التواضع الأولى، بل تبع الكبرياء، صار شريرًا، كما يعلن ذلك بولس الرسول بكل صراحة ووضوح قائلاً: "لئلا يتصلف، فيسقط في دينونة إبليس" (١ تي ٣: ٦). كذلك أيضًا الإنسان الأول لما انتفخ بواسطة الشيطان الذي أوعز إليه بتلك الأمنيات الكاذبة جُعل عبرة، وصار قابلاً للفناء (بعد أن أُعد أن يكون إلهيًا خالدًا)، وورث هؤلاء الذين جاءوا بعده الكبرياء والطمع وقد أقحم كل منهم بنفسه في طريق الضلال متوهمًا وراغبًا أن يكون مثل الله، لهذا أقول إن هذه الرذيلة هي أصل آثامنا، ومنبع كل شرورنا[1].

القدّيس يوحنا الذهبي الفم

❖ سقط لوسيفر، هذا الذي اعتاد أن يشرق في الفجر، والذي كان يقوم في فردوس النعيم، تأهل للحكم عليه: "إن كنت ترتفع كالنسر، وإن كان عشك موضوعًا بين النجوم، فمن هناك أحدرك يقول الرب" (عو ٤). فقد قال في قلبه: "أرفع كرسيّ فوق كواكب الله" (إش ١٤: ١٣)، "أصير مثل العلي" (إش ١٤:١٤)؟[2]

❖ الشيطان هو رئيس المتكبرين يقول الكتاب المقدس: "لئلا يتصلف فيسقط في دينونة إبليس" (١ تي ٣: ٦). فإن من يمجد ذاته في قلبه هو شريك للشيطان الذي اعتاد أن يقول: "بقوة يديّ صنعت وبحكمتي لأني فهيم، ونقلت تخوم شعوبٍ" (إش ١٠: ١٣)... كل

---

[1] *Homilies on Matthew, 15:3.*
[2] *Letters, 22:4.*

النقائص الأخرى تستحق رحمة الرب، لأنهم في تواضع يخضعون لمحاكمة الله. أما الكبرياء وحده، إذ يكرم ذاته فوق قدرته، يقاوم الله. الزاني أو الفاسق لا يجسر أن يرفع عينيه نحو السماء، في خزي النفس ينتظر مراحم الله. مثل هذا إذ ينحني ضميره ويتذلل حتى الأرض، فإنه يرتفع إلى السماء. عندما يرفع الكبرياء والرغبة الجامحة في المجد شخصًا ما، فإنهما في نفس الوقت يحطان منه، إذ بخطيته يجعله عدوًا لله[1].

❖ لم يشبع كبرياء (لوسيفر) بالرغبة في السماويات، وإنما أصابه جنون، فحسب نفسه مثل الله[2].

القديس جيروم

ولماذا استهانوا هم وحدهم بالمَجيءِ لمُلاقاتي،
على خِلافِ ما صَنَعَ سُكَّانُ المَنطِقَةِ الغَربِيَّة؟" [٤]

لا نعرف بأية لهجة قدم هولوفرنيس هذه الأسئلة، هل تحدث بلغة الاستخفاف والاستهانة بهم، أم تحدث بلغة الدهشة لموقفهم. لكن واضح أنه كان في حيرة من الموقف الذي اتخذه اليهود، والذي لم تجسر أمة أخرى أو دولة أن تفعله.

حمل أليفانا ذات المشاعر التي حملها جليات الجبار سواء في مواجهته لشاول الملك مع جيشه، أو مواجهته الصبي داود.

ما حدث مع جليات الجبار يتكرر هنا مع أليفانا المتكبر.

سر هزيمة جليات أنه لم يدرك أن به نقطة ضعف لم يكن ممكنًا له أن يتلافاها، وهي أن جبهته مكشوفة، وكأن كل إمكانياته بشرية مهما أُحكم تدبيرها تجد فيها ثغرةً تُؤدي إلى فشلها.

لم يدرك جليات أنه وإن كان السيف والرمح لا يقدران أن يحطماه، لكن مقلاع الكلاب يستطيع أن يهز كل كيانه!

لم يعرف جليات أن لكبريائه نهاية، فقد وقف أربعين يومًا يُعيِّر رب الجنود، لكن الله أعد فتى صغيرًا ينهي كبرياء الجبار ويُذله. هذا ما يتكرر عبر الأجيال، كل متشامخ ظن أنه قادر أن يُحطم الكنيسة ويمحوها من الوجود تحطم هو وزال، وتبقى الكنيسة حية قوية!

أما سر قوة داود فهو اختفائه في رب الجنود، فلا يكون طرفًا في المعركة بل

---

[1] *Homilies on Ps. (Ps. 93)*
[2] *Homilies on Psalms, (Ps. 93).*

مجرد أداة في يد الله. المعركة هي بين الله والشيطان، لذا فالنصرة تصدر عن الله نفسه، إذ يقول: "أنت تأتي إليّ بسيف وبرمح وبترس، وأنا آتي إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل الذين عيّرتهم... وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلص الرب. لأن الحرب للرب، وهو يدفعكم لنا" (١ صم ١٧: ٤٥-٤٧).

٢. مشورة أحيور العموني لقائد أشور

أ. أحيور يؤكد صدق روايته

فأجابَه أحْيور *Achior*، رئيسُ بَني عَمّونَ:
لِيَسْمَعْ سَيّدي كَلامًا من فَمِ عَبدِكَ،
فأُخبِرَكَ بِالحَقيقةِ عن ذلك الشَّعبِ السَّاكِنِ في تِلكَ النَّاحِيَةِ الجَبَلِيّة،
والمُقيمِ بِالقُربِ مِنكَ،
ولا يَخرُجُ كَذِبٌ مِن فَمِ عَبدِكَ [٥].

أ. رأى بعض الدارسين[١] أن كلمة "أحيور" مشتقة عن الفعل العبري *wr 'hy*، وأنه يعني "النور هو أخي (الإلهي)". وهو اسم لائق به حيث ألقى بنورٍ على تاريخ إسرائيل لهولوفرنيس، وأنه صار أخيرًا أخا يهوديًا، حيث قبل الإيمان اليهودي (١٠: ١٤).

ب. يرى[٢] *D.N. Freedman* أنه يُمكن تفسير كلمة "أحيور" لتعني "الإله الشمس هو أخي الإلهي"، وهو أمر يتناسب مع يهوه الذي قيل عنه: "جعل للشمس مسكنًا فيها..." (مز ١٩: ٤-٦)، أو لأنه موآبي يعبد الإله الشمس.

ج. يرى آخرون مثل *Cowley, Steinmamn* أن هذا الاسم مشتق عن الكلمة السريانية *Ahihud*، وتعني: "أخ يهوذا" كما جاء في الترجمة السبعينية في عد ٢٣: ٢٧[٣].

د. يرى *Henri Cazelles* أن *Achior* مأخوذة عن *Ahikar* وهو اسم حكيم وثني مشهور.

في رأي البعض أن أحيور أحد الأمميين الأتقياء الذين دعاهم الله للإيمان، مثل راحاب (يش ٢-٦)، ونعمان السرياني (٢ مل ٥) وخصي كنداكة الأثيوبي (أع ٨: ٢٦-٤٠) وكرنيليوس (أع ١٠)، وغيرهم.

---

[1] *Carey Moore, p.158.*
[2] *Carey Moore, p.158.*
[3] *Cf. Carey Moore, p.140.*

غير أن البعض وهم يرون فيه شخصًا ليس فقط يجيد تاريخ الشعب اليهودي بدقة، وإنما الفكر اللاهوتي لهذا التاريخ (٥: ٥-٢١) أنه يهودي لم يختتن.

يعتقد البعض أن أحيور هنا هو نفسه *Ahiker* ابن أخ طوبيت وربشاقي الذي لسنحاريب. لا نعجب إن كان لأحيور خلفية إسرائيلية، ففي الحملة الثالثة أُختير بصفة خاصة لمخاطبة اليهود بلغتهم. فقد كان ربشاقي ضليعًا في الآرامية والعبرية، وقد طلب منه الرؤساء الثلاثة من اليهود الذين جاءوا معه ألا يتكلم بلغة الشعب (إش ٣٦: ١١-١٢).

كلمة "ربشاقي" معناها حرفيًا "الرجل العظيم" مثل *Turtan* وهو لقب عسكري يميز حامله عن بقية كل القيادات العسكرية. نراه في سفر يهوديت يتكلم مباشرة بعد القائد الأكبر أليفانا نفسه.

نظر اليهود إلى أحيور قائد العمونيين نظرة ملؤها الامتنان، وحسبوه الوثني الصالح.

جاء خطاب أحيور عرضًا مختصرًا لتاريخ اليهود. وقد عرض الكتاب المقدس هذا التاريخ باختصار في مواقفٍ كثيرة، كما جاء في مز ٧٨؛ ١٠٥؛ ١٠٦؛ حز ١٦؛ ٢٠؛ حك ١٠؛ أع ٧. أما صلب التاريخ كله كما ورد هنا فإن إمكانيات الشعب اليهودي تتوقف لا على قدراتهم العسكرية، وإنما على علاقتهم بالله إلههم، فإن أطاعوه وسلكوا حسب وصاياه لا تقف أمامهم أية قوات بشرية أو طبيعية، وإن عصوا وصاياه انحلوا وسقطوا.

لقد حمل الخطاب تحذيرًا لأليفانا مؤكدًا له أنه سيلحق به وبجيشه عارٌ، فإن إمكانيات اليهود غير منظورة، لا يقدر بشر على مواجهتها.

- في سفر يهوديت، عندما سأل أليفانا عدو الإسرائيليين من أي نوع هذه الأمة، وأية حرب تُعلن ضدها، أجابه أحيور قائد العمونيين هكذا: **لِيَسْمَعْ سَيِّدي كَلامًا من فَمِ عَبدِكَ، فأُخبِرَكَ بِالحَقيقةِ عن ذلك الشَّعبِ...** (٥: ٥-٩)، كما روى أحيور العموني. من هذا واضح أن بيت تارح عانى اضطهادًا من الكلدانيين من أجل التقوى الحقيقية التي بها عبدوا الله الواحد الحقيقي[1].

القديس أغسطينوس

---

[1] *City of God, 1:13.*

ب. من نسل الكلدانيين

إنَّ هذا الشَّعبَ هو مِن نسلِ الكَلْدانيِّين *Chaldeans* [٦].

مما دعا البعض إلى وجود خلفية يهودية وراء شخصية أحيور، أنه تحدث عن التاريخ الإسرائيلي ابتداء من إبراهيم إلى عصره (٥: ٦-١٩). فهل يمكن لعموني وثني أن تكون له مثل هذه المعرفة في شيء من التفصيل؟ على أي الأحوال دعاه أليفاز: "مرتزق إفرايمي" (٦: ٢). ويرى البعض أنه إفرايمي، لكنه إلى ذلك الوقت لم يكن قد اختتن، فحسب كأنه أممي عموني.

ج. خروجهم من أرض الكلدانيين

أقاموا سابقًا فيما بَينَ النَّهْرَين *Mesopotamia*،
لأنَّهم أبَوْا إتباع آلِهَةِ آبائِهِم المُقيمينَ بأرضِ الكَلْدانيِّين *Chaldea* [٧].

يقصد بأرض الكلدانيين حاران في شمال ما بين النهرين (تك ١١: ٣١؛ نح ٩: ٧).

جاء في الترجمة السريانية وأيضًا الفولجاتا "التي عُبِدت"، وكأن الضمير هنا لا يعود على "آبائهم" وإنما على "آلهة آبائهم".

يؤكد السيد المسيح مدى أمانته مع من يقدم للرب ولو كأس ماء، قائلاً: "لأن من سقاكم كأس ماء باسمي، لأنكم للمسيح، فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره" (مر ٩: ٤١). هكذا إذ خرج إبراهيم من أرض حاران من أجل دعوة الله له (خر ١٢: ١). لم ينس الله له هذا العمل الإيماني الرائع، وبقى رصيدًا له ولنسله السالكين على منواله، وسيبقى سرّ مجد له حتى في اليوم الأخير.

❖ إنه يعلمنا أنه ليس من عملٍ بضميرٍ صالحٍ يكون بلا نفع[1].

القديس هيلاري أسقف بواتييه

❖ لن يطلب الله من خدامه أن يفعلوا أمرًا مستحيلاً. يعلن حب اللاهوت وصلاحه بكونه ممكنًا لنا نواله بغنى. إنه يسكبه كالماء على الجميع. فإن الله ينعش كل شخصٍ حسب إرادته بما يمكّنه من عمل شيء صالحٍ. ليس أحد ممن يطلب الخلاص تنقصه هذه الإمكانية، يعطيه ذاك القائل: "لأن من سقاكم كأس ماء باسمي لأنكم للمسيح، فالحق أقول

[1] *On Matthew, 10: 29.*

لكم إنه لا يضيع أجره" (مت ١٠: ٤٢؛ مر ٩: ٤١)[1].

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

وخَرَجوا عن طَرِيقِ آبائِهِم، وسَجَدوا لإلهِ السَّماء،
لِلإلهِ الَّذي عَرَفوه.
فطُرِدوا مِن وَجهِ آلِهَتِهِم،
وهَرَبوا إلى ما بَينَ النَّهرَين،
وأقاموا هُناكَ لوقتٍ طويلٍ [٨].

يقصد بالطريق هنا "العبادة"، وذلك كما ورد في ٢ مل ١٦: ٣ عن آحاز بن يوثام ملك يهوذا "سار في طريق ملوك إسرائيل حتى أنه عبر في النار حسب أرجاس الأمم..."

إله السماء: كثيرًا ما يُشار إلى الله الحقيقي بتعبير "إله السماء" (٢ أي ٣٦:٢٣؛ عزرا ١: ٢؛ ٥: ١١، ١٢؛ دا ٢: ٣٧؛ طوبيا ١٠: ١١، ١٢؛ يهو ٦: ١٩، ١١: ١٧).

يرى البعض أن هذه الآية، جاءت اعتراضية وسط الحديث، إذ لم يذكر سفر التكوين ١١: ٣١-١٢: ٥ أن إبراهيم وأهل بيته قد طُردوا، إنما خرجوا بكامل حرية إرادتهم. غير أنه جاء في المدراش أن إبراهيم قد طُرد من أور الكلدانيين[2]. وربما قد وجد إبراهيم مضايقات بسبب رفضه لعبادة القمر، الذي كان الكلدانيون يتعبدون له، واحتمل مضايقاتهم حتى جاءته الدعوة بالخروج فأطاع.

إن كان سفر التكوين لم يذكر أن إبراهيم قد طُرد من وجه الآلهة الكاذبة، غير أنه في كل جيلٍ لا تحتمل الآلهة الكاذبة وغير المؤمنين من يلتصقوا بالله الحي. وقد قيل: "بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله" (أع ١٤: ٢٢).

❖ كانت الاضطهادات تلي اضطهادات: حروب وصراعات ورجم. هذه كلها ليست بأقل من عمل المعجزات، جعلتهما مشهورين، وأعدت لهما فرحًا عظيمًا. لم يقل الكتاب (عن الرسل) في أي موضع عادوا فرحين لأنهم صنعوا معجزات، لكنه قال أنهم فرحوا إذ حُسبوا أهلاً ان يهانوا من أجل اسمه (أع ٥: ٤١). هذا تعلموه من المسيح القائل: "لا تفرحوا بأن الشياطين تطيعكم (راجع لو ١٠: ٢٠). فإن الفرح الحقيقي والذي بدون

[1] *On the Christian Mode of Life.*
[2] *Josephus: Antiq 1: 6: 5.*

تزييف هو التألم من أجل المسيح[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لا يُكلل أحد ما لم يجاهد قانونيًا؛ ليست نصرة مجيدة ما لم يكن الصراع متعبًا[2].

القديس أمبروسيوس

وأمَرَهُم إلهُهم أن يَخرُجوا مِن مُقامِهِم،
ويَذْهَبوا إلى أرضِ كَنْعان.
فأقاموا هُناكَ، واغتنوا جدًا بالذَهَب والفِضَّةِ،
وكثُرَت قُطعانُهم جدًّا [٩].

إن كان العالم يطرد أولاد الله، فإن الله من جانبه يسد كل احتياجاتهم، بل ويغنيهم بفيض نعمته. قيل عن إبراهيم: "كان أبرام غنيًا جدًا في المواشي والفضة والذهب" (تك ١٣: ٢).

ما هو سرّ الغني؟ إن كان عن ضعف سقط أبرام، لكنه بقوة الروح لم يستسلم للسقوط، وكأنه يقول: "لا تشمتي بي يا عدوتي، إذا سقطت أقوم، إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي" (مى ٧: ٨) فالنفس المؤمنة المملوءة رجاءً تتحول حتى ضعفاتها إلي فرص لاقتناء غني أعظم. عندما سقط ثيؤدور في حب امرأة جميلة تاركًا الحياة الرهبانية أرسل إليه **القديس يوحنا الذهبي الفم** يؤكد له أن يأسه أكثر مرارة من الزنى، فبعث إليه برسالتين حتى تاب وصار قسًا فأسقفًا علي منطقة ما بين النهرين (المصيصة)، فمن كلمات القديس له: [إن كان الشيطان لديه هذه القدرة أن يطرحك أرضًا من العلو الشامخ والفضيلة السامية، إلي أبعد حدود الشرور فكم بالأكثر جدًا الله قادرًا أن يرفعك إلي الثقة السابقة ولا يجعلك فقط كما كنت، بل أسعد من ذي قبل. لا تيأس، ولا تطرح الرجاء الحسن، ولا تسقط فيما سقط فيه الملحدون، فإنه ليست كثرة الخطايا هي التي تؤدي إلي اليأس بل عدم تقوى النفس[3].]

امتلأ إبراهيم ذهبًا وفضة. يرى **العلامة أوريجينوس** أن الذهب يشير إلى الحياة السماوية، والفضة تشير إلى كلمة الله. فسرّ غنى إبراهيم ارتفاع قلبه إلى السماء، وسكنى كلمة الله فيه.

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 31.*
[2] *Duties of the Clergy, 1:16.*

[3] ستعود بقوة أعظم، ١٩٦٧، ص ٥، ٦.

د. إسرائيل في مصر

وَنَزَلوا إلى مِصْر،
لأنَّ المَجاعةَ عَمَّت كل كَنْعان،
وأَقاموا هُناكَ فظَلُّوا على قَيدِ الحَياة،
وصاروا جُمْهورًا كبيرًا،
وكانَ عددهم لا يُحْصى [١٠].

بتدبير إلهي نشأ بنو إسرائيل كأمةٍ في مصر قبل خروجهم إلى البرية وعبورهم إلى أرض الموعد، لكي يتذكر المؤمنون في كل الأجيال أنهم غرباء ونزلاء، يعبر بهم الرب من أرض العبودية إلى أورشليم العليا. هذا هو حال كل الكنيسة سواء كان الأعضاء من أصلٍ يهودي أو أممي.

"استمع صلاتي يا رب، وأصغ إلى صراخي، لا تسكت عن دموعي، لأني أنا غريب عندك. نزيل مثل جميع آبائي" (مز ٣٩: ١٢-١٣).

"غريب أنا في الأرض، لا تخفِ عني وصاياك" (مز ١١٩: ١٩).

❖ كان القديسون غرباء ونزلاء في هذا العالم... عاش إبراهيم في كل أموره ينتمي للمدينة الباقية. لقد أظهر كرمًا ومحبة أخوية ورحمة وطول أناة، وزهدًا في الثروة وفي المجد الزمني وفي كل شيء.

❖ لنكن غرباء كي لا يخجل الله من أن يُدعى إلهنا، لأنه من الخزي لإلهنا أن يُدعى إله الأشرار! إنه يخجل من الأشرار، ويتمجد إذا ما دُعي إله الأبرار والرحماء والنامين في الفضيلة[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هكذا أسرع داود إلى الرحيل من هذا الموضع كنزيل، قائلاً: "أنا هارب أمامك على الأرض، ومجتاز مثل جميع آبائي". كنزيل كان مسرعًا إلى وطن كل القديسين؛ أما بالنسبة للدنس الذي يلحق به في سكناه هنا فيطلب عنه المغفرة قبل رحيله من هذه الحياة فمن لا ينال غفران خطاياه هنا لا ينال الحياة الأبدية، لأن الحياة الأبدية هي غفران

---

[1] *In Hebr. 24: 4; 24: 7.*

الخطايا، لذلك يقول: "اغفر لي لكيما أستريح قبل أن أذهب فلا أوجد أيضًا"[1].

القديس أمبروسيوس

فقام ملِكٌ مصرَ ضدهم،
وخدَعَهم بتسخيرِهم لِعَمَلِ اللِّبن،
وأذلّهم واستعبَدهم [١١].

سمح الله لهم أن يذلوهم، "لكن بحسبما أذلوهم، هكذا نموا وامتدوا" (خر ١: ١٢).

إن كان الله قد بدا كأنه قد ترك شعبه للمذلة، لكن الكتاب يؤكد "بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا" (خر ١: ١٢). إن كانت يد العبودية قد قست لكن الله لم يتركهم، وعمل على خلاصهم بكل الطرق.

هذا وخلال المذلة المؤقتة اشتاقوا إلى الحياة الأفضل، فلو بقي الشعب في راحة لما انطلقوا إلى كنعان. هكذا يسمح الله لنا بالضيقات والأتعاب ليعدنا للحياة الفضلى والتمتع بكنعان السماوية. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [الله صالح ومحب، ليس فقط عندما يعطي عطايا، بل وعندما يؤدبنا أيضًا. فإنه حتى تأديباته وعقوباته هي من قبيل جوده، ومظهر عظيم من مظاهر عونه لنا[2].]

يرى العلامة أوريجينوس أن الله هو شمس البرّ، فإن كان قلب فرعون أشبه بالطين، فإن حرارة الشمس حولت الطين إلى القسوة (اللبِن)، ونور الشمس أضاء على الشعب الذي عانى من الضيق. لقد سخرّ فرعون المؤمنين في عمل اللبن، لأن قلبه كان من الطين الذي تقسى[3].

ويرى القديس أغسطينوس أن الله سمح لشعبه بالعمل في اللبِنْ لكي يدركوا أن قلوبهم قد التصقت بالشهوات الجسدية فصاروا كاللبن، يحتاجون إلى السيد المسيح ليدخل بهم إلى الراحة من أتعابهم[4].

هـ. خروجهم من مصر

فصرَخوا إلى إلهِهم،

---

[1] *Death as a Good, 2: 5.*

[2] القمص تادرس يعقوب: القديس يوحنا ذهبي الفم: هل للشيطان سلطان عليك؟ طبعة ١٩٧٢م، ص ٢٧.

[3] *Commentary on Song. 2:2.*

[4] *Tractate on the Gospel of John 28: 9.*

فضَرَبَ كُلَّ أرضِ مصرَ بضَرَبَاتٍ مميتة.
وطَرَدَهمُ المصريُّونَ من وَجهِهم [١٢].

كان موسى وهرون يتوسلان إلى فرعون ليسمح للشعب بالخروج لتقديم ذبائح للرب. وإذ أصر فرعون على الرفض بعنف شديد، سمح الله بالضربات، حتى صرخ الشعب طالبًا منهم أن يخرجوا مهما تكن التكلفة، مقدمين لهم ذهبًا وفضة عند خروجهم (خر ١٢: ٣١-٣٦).

يصور لنا سفر الحكمة موقف الشعب عند خروجه وموقف المصريين، فيقول: وكانوا منذ ذلك الحين ينشدون أناشيد الآباء. وكانت جلَبَةُ الأعداء الناشزةُ تردُّ عليهم، وصوت الباكين على أطفالهم بالنحيب ينتشرُ في كل اتجاه" (حك ١٨: ٩-١٠). بينما كان الأبرار وسط ضيقتهم ينشدون معًا بروح واحدة في تناغم فيما بينهم، كما في تناغمٍ مع آبائهم، إذا بغير المؤمنين يصدرون أصوات نشاز رهيبة وصرخات مرة، بسبب قتل أبكارهم. لقد امتلأت بقاع مصر من صوت النحيب بسبب موت أبنائهم. ومع أن الكارثة التي حلت بهم مشتركة لكن الأصوات تمثل ضوضاء بلا انسجام.

الكنيسة حتى في وسط آلامها تتمتع بالوحدة في الروح بعمل الروح القدس، أما الأشرار فحتى أن اتفقوا على مقاومة الكنيسة يصدرون أصواتًا متعارضة ليس فيها تناغم.

و. عبور البحر الأحمر

فجفَّفَ اللهُ البَحرَ الأحمرَ أمامَهم [١٣].

يصور لنا سفر الحكمة عبور البحر الأحمر وغرق جيش فرعون فيه بالقول: فإنهم، بينما كانوا لا يزالون ينوحون وينتحبون على قبور أمواتهم، خطر لهم فِكرٌ آخر غبيّ، وأخذوا يطاردون الذين حثُّوهم على الرحيل، مطاردتهم لقومٍ هاربين" (حك ١٩: ٣).

بجانب طلبهم الإسراع بالخروج، تركوا قبور أبكارهم، وعوض النحيب خطر على بالهم فكر غبي، ألا وهو مطاردة من سمحوا لهم بالخروج.

هذا يكشف عن قلب مملوء بغضة وكراهية، فلا يبالون بالأبكار الذين ماتوا، إنما ما يشغلهم هو قتل من خدموهم وأحسنوا إليهم. دفعوا أنفسهم بأنفسهم للهلاك ثمرة فسادهم، فيتحقق فيهم العدل. لقد نسوا الضربات العشر، وكأنها كانت غير كافية، فألقوا بأنفسهم في ضربة قاضية.

ز. في البرية

وقادَهم في طَريقِ سيناءَ وقادِشَ بَرْنيع *Kadesh-Barnea*.
فطَرَدوا جَميعَ سُكَّانِ البَرِّيَّة [١٤].

قدمت لنا الترجمة الفولجاتا تفسيرًا للآيات ١٢-١٤، ترجمة القديس جيروم عن المخطوط الكلداني:

"فتح إله السماء البحر لهم عند هروبهم، فصارت المياه واقفة في ثباتٍ كحائطٍ من الجانبين؛ وساروا خلال عمق البحر وعبروا فيه بالأقدام بكونه جافًا. وعندما اقتفي جيش المصريين الذي لا يُعد أثرهم في ذلك الموضع ابتلعتهم المياه، ولم تترك أحدًا منهم ليروي للأجيال المتعاقبة ما حدث.

وعندما خرجوا من البحر الأحمر سكنوا في جبل سيناء، الموضع الذي لم يكن ممكنًا لأي إنسان أن يقطنه أو ابن إنسان أن يستريح فيه. هناك صارت الينابيع المرة عذبة لهم ليشربوا منها، وتقبلوا طعامًا من السماء لمدة أربعين عامًا" (الترجمة الفولجاتا ٥: ١٢-١٥).

ح. تمتعهم بأرض الموعد

وأقاموا في أرضِ الأموريِّين
وأبادوا جَميعَ الحَشْبونيِّينَ بِقُوَّتِهم.
وبَعدَ أن عَبَروا الأُردُنَّ،
اِستَولَوا على كُلِّ النَّاحيَةِ الجَبَلِيَّة [١٥].

يرى البعض ما جاء في الترجمات الحديثة للعبارة "جميع الحشبونيين" في الأصل "الذين في حشبون *Heshbon*"، وقد كانت حشبون عاصمة الأموريين كما جاء في عد ٢١: ٢٥-٢٦، ٣٤، إذ كان سيحون ملك الأموريين ساكنًا في حشبون.

تقع حشبون عبر الأردن جنوب وادي حسبان في الجزء الشمالي لموآب، تبعد حوالي ٥٠ ميلاً شرق أورشليم.

وطَرَدوا مِن وَجهِهِم الكَنْعانيِّينَ والفَرِزِّيِّينَ *Pherezites*
واليَبوسيِّينَ *Jebusites* وأهل شَكيمَ *Sychemites* والجِرْجاشيِّين *Gergesites*
وأقاموا هُناكَ لزمنٍ طويلٍ [١٦].

كانت الأمم الوثنية في ذلك الحين تشير إلى الخطايا، لأنه لم يكن ممكنًا للإنسان في ذلك الحين أن يميز بين الخطية والخاطي. فطرد الأمم هنا يشير إلى طرد الخطايا من القلب، لكي يكون مكرسًا بالكامل لله.

❖ ما دامت القوى المعادية التي تعمل الخطية فينا لا تأتي وتثيرنا للخطية أو تدفعنا للحرب، لا تُقتل ولا تفنى؛ لهذا السبب فإنه يُقال بأن الله يسمح أن نثير هذه القوات ونقاومها لكي تدخل معنا في معركة، فننال النصرة وهم يهلكون[١].

العلامة أوريجينوس

وماداموا لا يَخطَئونَ إلى إلهِهم،
كانَوا يزدهرون،
لأَنَّ إلهَهم الذي يُبغِضُ الإثم كان معهم [١٧].

جاء الأصحاح ٢٨ من سفر التثنية يقدم الوعد بالخيرات من كل جانب لمن يسمع صوت الرب، ويسلك حسب وصاياه.

ط. سقوطهم في السبي

ولَمَّا حادوا عنِ الطَّريقِ الَّذي رَسَمَه لَهم،
أُبيدوا إلى حَدٍّ بَعيدٍ في معاركٍ عَديدةٍ،
وتَمَّ سبيهم إلى أَرضٍ غير أَرضِهم.
ولم يَبقَ مِن هَيكَلِ إلهِهم إلاَّ الأَساس،
وسَقَطَت مُدُنُهم في أَيدي خُصومِهِم [١٨].

لقد أرسل الله الكثير من الأنبياء ليحذر شعبه من السقوط في الخطية والانغماس في الشهوات، منذرين أنه سيسلمهم للسبي، وستخرب أورشليم ويُهدم الهيكل.

بسبب شرور إسرائيل سقطت تحت السبي الأشوري، وتمّ إجلاء الكثيرين من السامرة وإرسالهم إلى أشور، بينما بعثتْ بعض الغرباء إلى السامرة، حتى يفقد اليهود هويتهم ولغتهم وعبادتهم. بهذا كان السامريون، أي سكان السامرة عاصمة إسرائيل خليطًا بين اليهود والأمم الوثنيين، وهذا سبَّب عداوة مُرَّة بينهم وبين اليهود.

كانت مملكة يهوذا تفتخر بأن ملكها من نسل داود، وتحتفظ بأورشليم مدينة الله كعاصمة لها. وبها الهيكل. ووُجد بها ملوك صالحون وآخرون أشرار.

كان يليق بيهوذا أن يتَّعظ بما حدث مع مملكة إسرائيل، حيث سقطتْ تحت السبي الأشوري. لكن مملكة يهوذا سقطتْ في شرورٍ كثيرةٍ، مُعتمِدة على أن الله لن يسمحَ بدمار مدينته وهيكله، وأنه لن يذل ملوكها لأنهم من نسل داود.

كثيرًا ما حذَّر الأنبياء مملكة يهوذا كما حذَّروا مملكة إسرائيل، لكنهم لم يسمعوا لهم، بل اضطهدوهم.

عندما صار نبوخذنصر إمبراطورًا لبابل صمَّم أن يستولي على يهوذا ليُحَطِّم قومية اليهود تمامًا وكل عبادتهم وتراثهم. وبالفعل تم سبي يهوذا وترحيل الأشراف والنبلاء والمهرة في الأعمال إلى السبي.

ي. عودتهم من السبي

والآن فقَد رجعوا إلى إلهِهم،
وصَعِدوا مِنَ الشَّتَاتِ الَّذي تشتَّتوا فيه،
واستَعادوا أورشليم حَيثُ مَقدِسُهم،
وأقاموا في النَّاحيَةِ الجَبَليَّة،
فقَد كانَت غيرَ مأهولة [١٩].

لم يترك الله شعبه، بل أرسل لهم أنبياء في السبي، يقدمون لهم الرجاء في العودة حسب وعد الله. خلال السبي تاب البعض، واشتاقوا إلى العودة إلى أرض الموعد، والرجوع إلى عبادة الله الحيّ.

في عام ٥٣٨ ق.م. في أيام كورش الفارسي سُمِحَ لليهود بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل.

٣. نصيحة أحيور لأليفانا وجيشه

والآن، يا سيدي إن كانَت في هذا الشَّعبِ جَهالة،
وأخطَأوا إلى إلهِهم،
ورَأينا أنَّ عِندَهم سَبَبَ الضُّعفِ هذا،
نَصعَدُ ونهزمهم [٢٠].

أكدّ أحيور لأليفانا أنه ليس من طريق للنصرة على اليهود غير سقوطهم في الخطية أو في الضعف.

وإن لم يكُنْ إثْمٌ في أمَّتِهم،
فلْيَعدِلْ سيِّدي،
لئلاَّ يحميهم رَبّهُم ويُدافِعَ عَنهُم إلهُهم،
فنَكونَ عُرضَةً لِتَعْيِيرِ الأَرضِ كُلِّها [٢١].

ختم أحيور بالنتيجة التالية، أن الحرب ليست مع الشعب بل مع الله إلههم القدير، مادام لا يوجد فيهم إثم. وأن الدخول في معركة مع هذا الإله يؤدي إلى الخزي والعار لأليفانا وجيشه.

٤. محاولة عظماء أليفانا تمزيق أحيور

فلمَّا انتَهَى أحيورُ من هذا الكَلام،
تذَمَّرَ كُلُّ الشَّعبِ الواقف حَولَ الخَيمة،
وهَمَّ بِتَمزيقه عُظَمَاءُ أليفانا
وجَميعُ سُكَّانِ السَّاحِلِ وموآب [٢٢].

حسب أليفانا خطاب أحيور هذا إهانة مرّة لأليفانا وجيشه، كما حسبه إهانة لنبوخذنصر إله الأرض كلها. فإن كانت المعركة تمس الآلهة، ففي ذهنه ليس من إله يقف أمام نبوخذنصر.

كما أثار هذا الخطاب رجال أليفانا سواء الأشوريين أو ممن خضعوا له من الأمم، وحسبوا ذلك إهانة لهم لا تغتفر، فلن يسمحوا لأنفسهم أن يهددهم شعب أو جيش أو شخص أو إله ما.

لم يكن يتوقع الجنود المرتزقة دفاع أحيور عن إسرائيل مما أذهلهم، فأرادوا تمزيقه قطعًا قطعًا.

إذ قالوا: لأنَّنا لا نَخافُ مِن الإسرائيليين،
فهذا شَعبٌ لا قُوَّةَ لَه ولا قُدرَةَ على شنِّ قِتالٍ [٢٣].

بينما تحدث أحيور عن أن المعركة في حقيقتها ستكون ضد الله شخصيًا، تطلع جيش أليفانا وكل الذين انضموا إليه أن المعركة ضد شعب هزيل لا قدرة له على قتالٍ

عنيف.

سنَصعَدُ إذًا، وسيلتَهِمُهم جيشك كلهَ التِهامًا،

أيُّها السَّيِّدُ أليفانا" [٢٤].

جاءت الترجمة الحرفية: "سيفترسهم جيشك".

جاءت في الترجمة الفولجاتا ما يقابل هذه العبارة، هكذا: "لذلك فلكي يعلم أحيور أنه يخدعنا، دعنا نصعد على الجبال، وعندما يؤخذ رجالهم الأقوياء كمسجونين، ليُطعن معهم بالسيف، حتى تعرف كل أمةٍ أن نبوخذنصر هو إله الأرض، وليس آخر معه".

من وحي يهوديت ٥

أنت حصن حياتي!

❖ من أجل مدينة أورشليم الزمنية،
والهيكل المقدس القائم فيها،
لم يستسلم رئيس الكهنة وكل القادة،
بل وثقوا أنك تدافع عن مدينتك المقدسة،
وتغير على هيكل قدسك.

❖ اضطرب القائد العظيم أليفانا.
ارتبك أمام شعب ضعيف في إمكانياته.
وتساءل عن سبب عدم استسلامه كسائر الأمم.

❖ إلهي، بصليبك أقمت لك مسكنًا في قلبي.
أعلنت أن ملكوتك الإلهي في داخلي.
ووهبتني سلطانًا أن أدوس على الحيات والعقارب.
فلماذا أخشى إبليس وكل قواته؟

❖ وعودك صادقة وأمينة لنفسي!
قلت: أنا أكون سور نار لها،
ومجدًا في داخلها.

❖ معاملاتك معي عبر الزمن تكشف عن رعايتك لي.
بصليبك حررتني من عبودية إبليس.
فتحت لي طريقًا في مياه المعمودية،
ووهبتني البنوة للآب.
ومسحتني بروحك القدوس الناري!

❖ بك وبنعمتك أطرد قوات الظلمة،
فلا يكون لها موضع فيّ!
تهبني نصرات عجيبة،
وتعد لي شركة أمجاد سماوية.

❖ تغسلني من خطاياي، فأتمتع بروح القوة.
تمتلئ نفسي فرحًا وتهليلاً،
إذ تفتح عن بصيرتي، فأرى السماء ترحب بي.

❖ روحك القدوس يرتفع بي،
فأنطلق من مجدٍ إلى مجدٍ.
أحيا بك متهللاً،
وأنعم بعربون سماواتك.
لك المجد يا واهب النصرة!

❖ هب لي روح التواضع، فأتشبه بك.
ليس لي نصرة بإمكانياتي،
ولا بحكمتي البشرية.
أنت حصن حياتي،
حافظ نفسي.
لألتصق بك،
فأنعم بالشركة معك!

الأصحاح السادس

تسليم أحيور إلى بني إسرائيل

غضب أليفانا على أحيور فسلمه لبني إسرائيل حتى متى ضرب إسرائيل يقتله معهم. "لكي أريك أن لا إله إلا نبوخذنصر... فتعلم عن خبرة أن نبوخذنصر هو رب الأرض كلها" (٦:٢، ٤). ربطه رجال أليفانا في شجرة وتركوه وإذ حلّه بنو إسرائيل روى لهم أن أليفانا ورجاله غضبوا منه لأنه قال "إن إله السماء هو المدافع عنهم" (٦:١٣).

١. غضب أليفانا على أحيور ١-٩.

٢. تسليم أحيور لبني إسرائيل لكي يُقتل بعد قتلهم ١٠-١٣.

٣. أحيور يروي لبني إسرائيل حديثه مع أليفانا ١٤-١٧.

٤. الاستغاثة بالله ١٨-٢١.

١. غضب أليفانا على أحيور

ولَمّا هَدَأَ ضَجيجُ الرِّجالِ الذينَ حَولَ المَجلِس،
قالَ أليفانا (هولوفرنيس) رئيسُ قُوّادِ جَيْشِ أشور لأحيورَ،
أمامَ جُمْهورِ الغُرَباء،
ولِجَميعِ بَني موآب [١].

حديث أحيور عن معاملات الله مع شعبه سبب هياجًا وثورة لا في داخل أليفانا وحده، ولا القادة الذين جمعهم أليفانا كمجلس استشاري حربي لإيجاد سبب يدفع اليهود إلى هذا الموقف الشاذ في نظرهم، وإنما حتى الذين كانوا خارج المجلس ينصتون إلى هذا الخطاب، ثاروا في ضجيج. ربما علت أصواتهم وهم يهاجمون أحيور، قائلين: كيف يستخف هذا الرجل بأليفانا وقواته؟ إنه عميل لليهود!

انتظر أليفانا قليلاً حتى يهدأ هذا الضجيج، فيأخذ موقفًا حازمًا من أحيور الذي أهانه بطريقة لم يكن يتوقعها أحد قط.

مَن أنتَ، يا أحْيور،
ويا مُرتَزِقَةَ أفرايم،
حتَّى تَتَنبّأتَ لَنا كَما فَعلتَ اليَوم،

وردتنا عن مُحاربة شعب إسرائيل،
لأنَّ إلههم يُدافعُ عنهُم؟
مَن هو إلهٌ بجانب نبوخذنَصَّر؟
فهو الَّذي يُرسلُ قوَّته،
ويُبيدُهم منِ وَجهِ الأرض،
ولا يُنَجِّيهم إلهُهم. [٢]

مرتزقة أفرايم: هكذا يهين أليفانا أحيور فيحسبه مأجورًا من اليهود.

يتركم سخر أليفانا بأحيور، إذ حسبه يقوم بدور النبي، فيتنبأ له ألا يحارب، ولم يدرك أليفانا أن أحيور لم يقم بدور نبي، إنما يسرد حقائق تاريخية، ويسجل عمل الله مع شعبه الذي لا يقدر الزمن أن يمحوه.

لعل أليفانا كان يتطلع إلى نفسه كممثل للملك الأشوري أنه هو وحده النبي الذي يتنبأ عن نصرة الملك الأكيدة، بكونه الإله الوحيد الذي يلزم أن تتعبد له كل الأرض.

استخدم الله هذا القائد العموني للشهادة لله ولعمله مع شعبه، بالرغم من استفحال العداء بين اليهود والعمونيين (نح ١٣: ٢)، حيث يوصي نحميا اليهود بعدم قبول العموني والموآبي في جماعة الرب. وورد في ١ صم ١١: ٢ عن ناحاش العموني أنه أراد تقوير العين اليمنى لكل يهودي علامة عهد مهينه مخزية. وفي إر ٤٠: ١٤ أرسل بعليش ملك عمون إسماعيل بن نثنيا ليقتل جدليا بن أخيقام.

قام أحيور بدور مشابه لدور بلعام الرائي الذي رفض أن يلعن شعب إسرائيل، لذا يدعو البعض أحيور "بلعام العموني".

يستخف أليفانا بالله، قائلاً: "من هو إله إلاّ نبوخذنصر؟" في عصور الاضطهاد كان يُطلب من المسيحي أن يلقي حفنة من البخور يتلقاها من يد كاهن الوثن، أمام تمثال القيصر وهو يقول: "كيريوس سيزاروس"، أي الرب هو قيصر. فكان المسيحيون يصرون على القول: "كيريوس خرستوس"، أي المسيح هو الرب.

في عجرفة واعتداد بالذات قال هولوفرنيس: "ولا ينجيهم إلههم". بهذا أرسل سنحاريب إلى حزقيا الملك يقول: "من من كل آلهة الأراضي أنقذ أرضهم من يدي حتى ينقذ الرب أورشليم من يدي" (٢ مل ١٨: ٣٥). "لا يخدعك إلهك الذي أنت متكل عليه قائلاً: لا تُدفع أورشليم إلى يد ملك أشور" (٢ مل ١٩: ١٠).

❖ أبغض العظمة، لأنها الثمرة المملوءة موتًا.

لأن آدم أكل منها في عدن، وأعطته الموت.

وبها سقط الشيطان من البدء.

بها سقط بيت آدم من الفردوس.

ليس عند الله شيء بخس ومكروه كمثل العظمة، ومن يتشامخ بالكبرياء.

القديس مار يعقوب السروجي

بالحري نحنُ عبيدَ الملك نَضربُهم ضَربًا لِرَجُلٍ واحد،

ولا يقاومونَ قُوَّةَ خيولنا [٣].

في تواضع عجيب ومحبة يعلن الله بهاء مجده بجبه الفائق للإنسان، وترفقه به. إنه يود أن يحتضن الجميع ويدخل بهم إلى ملكوته. أما الإنسان إذ يؤله نفسه يُعلن أنه قادر أن يحطم ويدمر بقوته وقدرته العسكرية.

❖ يا للجنون؟ ألا يدرى هذا الإنسان المتكبر أن مجده يزول ويتبخر كالحلم، وأن العظمة والسلطان ليست هي إلا سراب خداع[1].

القديس باسيليوس الكبير

فإنّنا نطأهم بأقدامنا،

فتَسكَرُ تلالُهم مِن دِمائِهم

وتَمتَلِئ سُهولُهم من جثثهم.

لا تَثبُتُ أمامَنا خطواتُ أقدامِهم،

بل يَهلكونَ هَلاكًا،

يَقولُ نَبوخَذنَصَّر المَلك،

رَبُّ الأرضِ كُلِّها.

فإنَّه قال: كلماتُ أقوالِي لن تكونَ باطلة [٤].

هذه هي العظمة في أعين المتكبرين أن يطأوا الآخرين بأقدامهم، ويسفكوا الدماء البريئة، ويهلكون هلاكًا، ولا يستطيع أحد أن يقف أمام كلماتهم. وكما يقول **القديس يوحنا**

---

[1] راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٣٠٩. عظة ٢٠.

الذهبي الفم الرجل الظالم يصير أكثر وحشية من الحيوانات المفترسة. لهذا يقول المرتل: "أنقذني يا رب من أهل الشر؛ من رجل الظلم احفظني" (مز ١٤٠: ١).

❖ تأمل أيها المسيحي إنه لم يطلب من الله النجاة من الوحوش والسباع والأفاعي والعقارب، بل يسأله الخلاص من الإنسان الشرير. لأن هؤلاء السابق ذكرهم قد نشأوا حسب طبيعتهم، أما الإنسان فيظهر بخلاف طبيعته، فيصعب الاحتراس منه.

❖ إنهم يغتالون بفكرهم، ويتخيلون الشرور في قلوبهم. والنهار كله يستعدون للقتال، أي طول مدة عمرهم.

❖ كما أنك ظللت على الإسرائيليين أثناء عبورهم في البرية باهتمام كي لا تصيبهم حرارة الشمس، كذلك أنا أطلب منك المعونة، ليس فقط كي تحفظني من أذية الأشرار، بل وتسترني أيضًا لئلا تصيبني حرارة خبثهم وشرورهم.

الأب أنسيمُس الأورشليمي

أَمَّا أَنتَ، يا أَحْيور،
يا مُرتَزِقَ عَمُّون،
يا مَن تفوهتَ بِهذا الكَلام في يَومِ إِثمك،
لن تَرى وَجْهي بَعدَ اليَوم،
حَتَّى أَنتَقِمَ مِن هذا الشعب القادم مِن مصر [٥].

بعد أن دعاه مأجور اليهود، عاد فدعاه مأجور بني عمون (أصله)، ويحسب العادات القديمة كانت الدولة التي تغلب تقتل كل الجنود المرتزقة الذين حاربوا مع العدو المنهزم؛ حتى في تبادل الأسرى لا يُسلم الجندي المرتزق بل يُقتل.

"فاه بهذا الكلام في يوم إثمه": يقصد بيوم إثمه يوم اتهامه وإدانته، وكأنه قد حكم على نفسه بفمه، فيستحق الموت.

وحينَئِذٍ سَيفُ جَيشي ورُمْحُ خُدَّامي يَختَرِقانِ جَنبَيك،
فتَسقُطُ بَينَ جرحاهُم [٦].

نفاذ السيف أو الرمح في جنبي العدو عادة قديمة كانت تُستخدم في التعذيب والقتل. وقد اقتبسها اليهود عن الوثنيين فيما بعد. فقد قُتل ٢٤ رجلاً بهذه الطريقة حتى سمي الموضع

حلقت هصوريم *Hazzurim Hekath* (٢ صم ٢: ١٦)، ومعناها "حقل حدود السيف" أو "حقل أسنان الصوان". استخدمت هذه الوسيلة في المبارزة والتمثيل بالمجرمين أيام الرومان، ولعل هذا يفسر لنا لماذا طعن الجندي الروماني السيد المسيح بالحربة في جنبه.

"التسقط بين جرحاهُم": حسب أليفانا أحيور كمن تنبأ، لكنه نبي كاذب، لذا في استخفاف به لم يرد أن يقتله، بل يسلمه لمن تنبأ عن خلاصهم، فيرى بعينيه دمارهم، ويستلمه مع قادة جيوشهم فيقتله كواحدٍ منهم.

والآن سيَذهَبُ بِكَ خدامي إلى النَّاحِيَةِ الجَبَلِيَّةِ،
وَيجعَلونَكَ في إحدى مُدُنِ المُنحَدَرات [٧].

ولن تَموت قَبلَ أن تُستَأصَلَ معَهم [٨].

وبِما أنَّكَ بالحقيقَة تَرْجو في قَلبِكَ ألاَّ يُقبَضَ علَيهم،
فلا يَسقُطْ وَجهكَ.
تَكلَّمتُ، ولَن تَسقُطَ كلِمةٌ مِن كَلماتي" [٩].

في نوع من الكبرياء والاعتداد بالذات يقول أليفانا إنه لن يمد يده على أحيور، إنما يذهب به رجاله مقيدًا إلى إحدى المدن حتى يأتي اليهود الذين يدافع عنهم، فيحلوه ويضموه إليهم. فيبقى هكذا في حمايتهم وحماية إلههم الذي يشهد له، وسيرى بعينيه ما عجز هذا الإله عن أن يخلصهم ويخلصه معهم.

٢. تسليم أحيور لبني إسرائيل لكي يُقتل بعد قتلهم

وأمَرَ أليفانا (هولوفرنيس) خُدَّامَه القائمينَ في خَيمَتِه بِأن يُمسِكوا أحْيور،
ويَذهَبوا بِه إلى بَيتَ فَلْوى،
ويُسلِموه إلى أيدي بَني إسرَائيل [١٠].

فأمسكَه خُدَّامُه،

وقادوه خارِجَ المُعَسكَرِ إلى السَّهلِ،
وذَهَبوا مِن وَسَطِ السَّهلِ نَحوَ النَّاحِيَةِ الجَبَلِيَّة،
ووَصَلوا إلى اليَنابيعِ الَّتي كانَت إلى أسفَلِ بَيتَ فَلْوى [١١].

حاصر جيش الأشوريين بيت فلوى ليقطع عنهم الماء، وكان يفصل بين معسكر

الأشوريين وبيت فَلْوى وادي عريض، قطعه رسل أليفانا ومعهم أحيور مقيدًا لتسليمه أسيرًا لليهود.

العجيب أن أحيورلم يعتذر عما قاله، ولا حاول استرضاء أليفانا، إنما كان واثقًا في عمل الله مع شعبه ومعه.

ولَمَّا رآهُم رِجالُ المَدينةِ الواقِعةِ على قمة الجَبَل،
أخَذوا أسلِحَتَهم، وخَرَجوا منَ المَدينةِ إلى رأسِ الجَبَل،
وجَميعُ الرِّجالِ الَّذينَ مَعَهم مَقاليعُ كانوا يَرْمونَهم بالحِجارة،
لِمَنعِهم منَ الصُّعود [١٢].

إذ رأى اليهود رجال أليفانا قادمين نحوهم، ظنوا أنهم قادمون لمحاربتهم، فانطلقوا إلى رأس الجبل ليلقوهم بحجارة بواسطة مقاليع حتى يمنعوهم من الصعود إليهم.

فتَسَلَّلوا في أسفَلِ الجَبَلِ،
ورَبَطوا أحْيور وتَركوه طَريحًا عند سَفحِ الجبَل،
ورَجَعوا إلى سَيِّدِهم [١٣].

أضافت ترجمة الفولجاتا: "ربطوا... في شجرة بيديه ورجليه".

لم تكن مهمة جنود أليفانا الاشتباك معهم. لهذا انحرفوا إلى أسفل ليقيدوا أحيور في شجرة ويتركوه هناك، إذ خشوا أن يهرب أحيور. ولعلهم ظنوا أنه قد اقترب وقت المعركة فتركوه مقيدًا حتى متى بدأت يعرفون أين يجدوه، فيقبضون عليه كأحد الأسرى.

مرة أخرى صار أحيور داخل بيت فَلْوى في أمان روى لهم حواره مع أليفانا، وكانت يهوديت دون شك تسمع له، لعلها تنتفع شيئًا من المعلومات أو الحوار، عندما تبدأ خطتها لقتل أليفانا.

٣. أحيور يروي لبني إسرائيل حديثه مع أليفانا

عندما نَزَلَ بَنو إسرائيلَ مِن مَدينتِهم أتَوا وحَلُّوه،
وقادوه إلى بَيتَ فَلْوى،
وقَدَّموه إلى رُؤَساءَ مَدينَتِهم [١٤].

يبدو أن أحيور أوعز إليهم بأن لديه ما يود أن يخبرهم به، فأحضروه أمام شيوخ الشعب الذين يدبرون أمر المدينة.

وكانوا في تلكَ الأيَّام عُزيًّا *Uzziah* بنَ ميخا *Micah* مِن سبطِ شِمْعون

وكَبْري *Chabris* بنَ غتْنيئيل *Gothoniel*

وكَرْمي *Charmis* بنَ ملْكيئيل *Melchiel* [١٥].

كان عزيا من سبط شمعون كما كانت أيضًا يهوديت، وقد عُرِف شمعون أنه انتقم من المدينة كلها "شكيم" بسبب أخته دينة (تك ٣٤: ٢٥-٢٧).

يبدو أن عزيا كان متقدمًا على هؤلاء المسئولين وقادة الشعب. كان مسئولاً أمام يواقيم رئيس الكهنة، وهو الذي أخذ أحيور إلى بيته، وصنع له مأدبة احتفاءً به (٦: ٢١). وعلى عزيا اجتمع الشعب محتجين لأنه لم يستسلم لأليفانا (٧: ٣٠)، وهو الذي بارك يهوديت بعد النصرة (١٣: ١٨).

كان شمعون أحد الأسباط القاطنة في أقصى جنوب اليهودية، تحت حتى برية نجب (١ أي ٤: ٢٨). هذا في بداية استقرار إسرائيل في كنعان، لكن منذ أيام الملك آسا سمح للشمعونيين أن يقطنوا في الشمال حوالي القرن التاسع ق.م كما جاء في ٢ أي ١٥: ٩، كغرباء يعيشون وسط أفرايم ومنسَّى تعتمد دائرة المعارف اليهود على هذا في محاول وضع سفر يهوديت في فترة فارس.

فدَعَوا جَميعَ شُيوخِ المَدينة،

وأسرَعَ جَميعُ الشُّبَّانِ والنِّساءَ إلى المَجلِس.

وأَقاموا أَحيورَ في وَسَطِ كُلِّ الشَعب،

فسَأَلَه عُزيًّا عَمَّا جَرى [١٦].

يا لها من صورة رائعة، فإن الله أرسل من يذكر المدينة كلها بمعاملاته معهم عبر التاريخ، لا خلال رئيس الكهنة ولا عن طريق نبي من الأنبياء، إنما يحدثهم خلال أحيور رئيس بني عمون الذي استسلم هو وكل جيشه وشعبه لأليفانا، وقبل الكل أن يكونوا أشبه بعبيدٍ لا ليخدموه فحسب، بل ويتعبدوا لنبوخذنصر بكونه الإله الوحيد على الأرض كلها!

فأَجابَ وأَخبَرَهم بِما قيلَ في مَجلِسِ أليفانا،

وبِكُلِّ ما قالَه في رُؤَساءِ بَني أشور،

وبِمَا فاهَ بِه أليفانا (هولوفرنيس) مِن كَلامِ تَبَجُّحٍ في وسط الأشوريين على بَيتِ إسْرائيل [١٧].

قديمًا غار داود غيرة الرب ضد جليات أمام شاول الملك، أما هنا فالذي يغار هو أحيور العموني.

٤. الاستغاثة بالله

فارتمى الشَّعبُ وسَجَدَ لله، وصرَخَ، قائلاً: [١٨]

"أيُّها الربّ، إلهُ السَّماء،
أنظُرْ إلى كبريائهم،
وارحَمْ تَذلُّلَ شعبنا،
وانظُرْ في هذا اليَومِ إلى وَجهِ المقدَّسين لَك" [١٩].

عرف الشعب قانون النصرة والهزيمة، بالتواضع أمام الله ننال النصرة، وبالكبرياء تحل الهزيمة: **"انظر إلى كبريائهم، وارحم تذلل شعبنا"**.

ومع شعور الشعب بأنهم خطاة، يطلبون في تواضعٍ أن يقبل صلوات القديسين وشفاعتهم عنهم: **"وانظر في هذا اليوم إلى وجه المقدسين لك"**.

وشدَّدوا عَزيمةَ أحْيور،
وأثنَوا علَيه ثَناءً عَظيمًا [٢٠].

صار أحيور منذ ذلك الوقت صديقًا لليهود.

كان يمكن لأحيور أن يعتذر لأليفانا ويتملق الأشوريين، لكن حتمًا شعر أليفانا ومن معه أنه كان يتكلم بشهادة لله نابعة عن أعماقه. هذا ولم نسمع عن أحيور أنه خاف لئلا يبطش به الجنود دون انتظار القبض عليه فيما بعد. لقد حملت كلماته إيمانًا وشجاعة وشهادة عملية.

قدمت الفولجاتا نصًا مطولاً لهذه الآية: [أراحوا أحيور، قائلين: "إله آبائنا، الذي أبرزت أنت قوته، سيقدم لك عودة فترى خرابهم. وعندما يعطى الرب إلهنا هذه الحرية لخدامه، فليكن الله معك أيضًا، وأنت في وسطنا، وكما يُسرك، فإنك أنت وكل (أقوالك) ستناقشه معنا" (٦: ١٦-١٨).

هذه الإطالة ربما كانت تفسيرًا للقديس جيروم، ولم تكن في النص الأرامي.

وذَهَبَ بِه عُزيًّا مِنَ المَجلِسِ إلى بَيتِه،
وأقامَ مأدُبةً لِلشُّيوخ.

واستَغاثوا بإلهِ إسرائيلَ ذلكَ اللَّيلَ كُلَّه [٢١].

عمل مأدبة يأكل فيها أحيور مع شيوخ الشعب في بيت عزيا لا يقف عند الاحتفاء به، والتعبير عن الشكر له عن شهادته، وتخفيف ما حلّ به من أليفانا ورجاله، وإنما تحمل قبوله على مائدة الشركة اليهودية، وهي أول إشارة لقبوله كأممي في مجمعهم.

جاء في الترجمة اللاتينية أن الشعب الذي كان صائمًا أكل بفرحٍ في هذه الوليمة، وأنهم كانوا يجتمعون معًا طول اليوم ثم يعودون في المساء إلى بيوتهم. ولعل الكل قد شعر أن ما حدث بخصوص أحيور هو استجابة الله لصلواتهم وتذللهم، فتيقنوا من حلول النصرة، وإن كانوا لم يعرفوا بعد كيف تتحقق.

من وحي يهوديت ٦

هب لي أن أشهد لك!

❖ شهد لك رئيس بني عمون الأمميين.
شهد لك عن معاملاتك العجيبة مع شعبك.
هب لي يا رب أن أذكر أعمالك معي!
أنت هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد!
أعمالك في الماضي عجيبة للغاية،
رعايتك فائقة وقديرة،
حبك لي لا يُعبر عنه!
هب لي أن أتكل عليك.
وأثق أنك ترعاني حتى النفس الأخير!

❖ تُرى كيف كان أحيور يحمل في فكره كما في قلبه هذه الرعاية الإلهية؟
أدرك أنك إله السماء والأرض.
ما قدمته لشعبك تقدمه لكل من يلتصق بك!
هب لي هذا الإيمان الحي!

❖ لم يخشَ غضب أليفانا المرعب لكل الأمم.
ولا اضطرب حين أراد رجاله أن يفتكوا به.

هب لي يا رب روح القوة والثبات!

هب لي أن اتكئ على صدرك!

ماذا يستطيع عدو الخير بكل قواته أن يفعل بي؟

أنت حصن حياتي!

أنت سرّ خلاصي ومجدي وفرحي!

الأصحاح السابع

محاصرة بيتَ فَلْوى

ما أن تأكد أليفانا بأن أحيور صار في وسط الشعب اليهودي، حتى أصدر أمره للجيش بالتحرك السريع حتى يلّقن أحيور درسًا ثمنه حياته كلها. أشار بنو عمون وموآب على أليفانا ألا يحاربهم بالقتال، فإن بني إسرائيل رجال جبال وتلال، لكن يقيم حراسة على الينابيع حتى يستسلموا بسبب العطش. وبالفعل تمّ ذلك فارتجف الشعب، وثاروا على عزيا لأنه لم يستسلم لأليفانا، وها هم يموتون عطشًا. بكى عزيا وطلب منهم أن ينتظروا رحمة الله، سائلاً أن لا يستسلموا لمدة خمسة أيام، فإن لم يقدم الله لهم معونة يفعلون ما يريدون.

١. حملة على إسرائيل	١-٥.
٢. مشورة قُوّادِ بَني عيسو وموآب والسَّاحِلِ	٦-١٥.
٣. احتلال عُيونَ ماءِ بَني إسْرائيلَ وينابيعَهم	١٦-١٨.
٤. صَرَاخ بَني إسْرائيل إلى الرَّبِّ إلهِهم	١٩-٢٢.
٥. يأس الشعب	٢٣-٢٩.
٦. عزيا يطالبهم بأن يعطوا الرب مهلة ٥ أيام	٣٠-٣٢.

١. حملة على إسرائيل

وفي الغَدِ أَمَرَ أليفانا جَميعَ جيشه،
وكُلَّ حلفائه الَّذين انضمّواَ إليه،
بِالرَّحيلِ والزَّحْفِ على بَيتَ فَلْوى،
وباحتِلالِ مُنحَدَراتِ النَّاحيَةِ الجَبَلِيَّة،
ويشَنَّ المَعركَةِ على الإسْرائيليين [١].

شتان ما بين نظرة أحيور العموني الإيمانية وبين نظرة بني إسرائيل أنفسهم. الأول كان ينظر الى الله نفسه أنه هو سلاح شعبه الذي لا يُغلب، أما هم فكانوا يتطلعون إلى ضخامة العدد وإلى العدة الحربية والأسلحة.

وفي ذلك اليَومِ نَفسِه، رَحَلَ مِنهُم كُلُّ رَجُلِ حَرْب.
وكانَ جَيشُ رِجالِ الحَرْبِ مِائةً وسبعينَ أَلفًا مِنَ المُشاة،

واثْني عَشَرَ ألفًا مِنَ الفُرْسان،
ماعَدا الأمتِعةَ والرِّجالَ المُتَرَجِّلينَ المُنضمِّينَ إليهم،
فكانوا جَمْعًا غَفيرًا جِدًّا [٢].

خرج أليفانا للحملة ومعه ١٧٠ ألف جندي و١٢ ألف فارسًا، ويبدو أن عدة آلاف من المشاة انضمت إلى جيشه من الأمم التي طلبت منه العفو. بينما كان عدد الجنود لبيت فَلْوى لا يتعدى الألف، إن اعتبرنا أن تعداد سكان بيت فَلْوى كله لا يتعدى عشرات الألوف. فليس من تكافؤ بين الجيشين. فقد أراد الله تأكيد أنه "لا بالقدرة ولا بالقوة، بل بروحي قال رب الجنود. من أنت أيها الجبل العظيم، أمام زربابل، تصير سهلاً" (زك ٤: ٧).

يقصد بالرجال المترجلين، الرجال الذين كانوا جنودًا لا للدخول في المعارك مع زملائهم، وإنما كانوا متفرغين لقيادة الحيوانات الحاملة المئونة للجيش.

فعَسكَروا في الوَادي المُجاوِرِ لِبَيتَ فَلْوى عِندَ عَينِ الماء،
وانتَشَروا في العُمْقِ مِن دوثانَ *Dothan* إلى بَلْما *Belbaim* ،
وفي الطُّولِ مِن بَيتَ فَلْوى إلى قليمون *Cyanon* الَّتي قُبالةَ يِزْرَعيل *Esdraelon* [٣].

استعد المشاة والفرسان للحرب معًا ضد بني إسرائيل، وعسكروا في الوادي بالقرب من بيت فَلْوى بجوار الينبوع، وانتشروا في دوثان *Dothan* حتى بلبيم *Balbaim*، على امتداد من بيت فَلْوى إلى قليمون *Caymon* التي في مواجهة يزرعيل.

بلما أو بلبيم *Belmaim, Belbaim*: مدينة تقع بالقرب من تل دوثان (دوثائين) على طريق للقوافل وبالقرب من السامرة. ربما هي المدينة المذكورة في ٨: ٣، وتدعى بلمون، والتي كان يقع بالقرب منها الحقل الذي مات فيه منسى زوج يهوديت. وربما كانت هي أيضًا بيباي المذكورة في ١٥: ٤ من بين البلاد التي أرسل إليها عزيا لمطاردة الأعداء.

يظن البعض أنها أبل بيت معكة المذكورة في ٢ صم ٢٠: ١٤، تقع في شمال فلسطين التي طارد إليها يوآب شبع بن بكري. ويرى آخرون أنها كانت مملكة صغيرة ذُكرت في سجلات تحتمس الثالث للمدن التي غزاها[1].

قليمون *Cyamon*، الاسم اليوناني للكلمة *Okneam*، وردت في ١ مل ٤: ١٢؛ ١

---

[1] *Interpreter Dictionary of the Bible, Abel Maacha*

أي ٦: ٦٨، تحت يقمعام، وهي كلمة عبرية معناها "يقيم الشعب"، وتحت اسم قرتان (يش٢١: ٣٢). وقد أخذت هذا الاسم "قليمون" في العصر الهيليني، وتقع على مسافة ١٢ كم شمال غرب مجدو، أمام وادي يزرعيل، وبالقرب من سهل شارون في طرف مرج بن عامر على طريق عكا، ومكانها اليوم كفر كاما. وقد وردت قليمون في قائمة المدن التي استولى عليها تحتمس الثالث، حيث ترد في اللغة العبرية يقنعام، وتُسمى حاليًا تل قليمون أو يوكنيم بجانب عين كيمون.

فلَمَّا رَأَى بنو إسرائيل كَثرَتَهم،
ارتَعَدوا ارتِعادًا شَديدًا.
وقالَ كُلُّ واحدٍ لقَريبِهِ: "والآن سيَنهب هؤلاءَ الأَرضِ كُلَّها،
فلا الجِبالُ العالِيةَ ولا الوِديان ولا التلال تَقفُ أمامَ قُوَّتِهم" [٤].

يليق بنا في معركتنا الروحية ألا نخشى عدو الخير وكل حيله وكل قواته الشريرة، لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم (٢ مل ٦ : ١٦).

❖ صعد فرعون على خيله، وغرق في سُبات وهلك.

كان للمصريين خيلهم، لكنهم هلكوا.

هذا هو السبب الذي لأجله جاء في الناموس ألا يملك يهودي حصانًا (تث ١٧: ١٦). تذكرون أن سليمان لم يكن له خيل من أورشليم أو اليهودية، وإنما اشتراها من مصر (١ مل ١٠: ٢٨)؛ الخيل دائمًا معروضة للبيع في مصر.

"البعض أقوياء بالمركبات، والبعض بالخيل، أما نحن فأقوياء باسم الرب إلهنا" (مز ٢٠: ٧). هؤلاء بالحقيقة، الذين يمتطون الخيل ينامون ويهلكون.

للرب أيضًا خيل، كما له أيضا جبال مشرقة.

بينما جبال الشيطان مملوءة ظلامًا. الآن كما توجد جبال متلألئة وجبال مظلمة، هكذا توجد خيول صالحة وخيول رديئة.

لقد قدمنا ملاحظات قليلة عن الخيول الرديئة، فلنقل شيئًا عن الخيول الصالحة. عندما جاء الفرسان إلى اليشع للقبض عليه وخرج الخادم الصبي ورأى جيش الأشوريين حول المدينة، قال اليشع: "لا تخف، فإن الذين معنا أكثر من الذين معهم". بعد قليل قيل في الملوك: "افتح يا رب عينيْ الغلام ليرى". وإذ انفتحت عيناه رأى مركبات وخيول.

هذه جاءت للمعونة. لاحظوا إنه قيل: "مركبات وخيول". لم يوجد رجال على الخيل، بمعنى آخر كانوا جموع الملائكة. كانوا مركبات وكانوا خيلاً. قائد المركبة هو الرب. لهذا يتغنى حبقوق النبي: "مركباتك هي الخلاص" (حب ٣: ٨). هذا قيل لله. آه، لو كنا نحن أيضا خيول الله ويعيننا الله ليمتطينا![1]

القديس جيروم

ثُمَّ أَخَذَ كُلُّ واحدٍ عُدَّتَه الحَربِيَّةَ،
وأشعلوا النِّيرانَ على أَبْراجِهِم،
وظلُّوا يَحرِسونَ طَوالَ تلكَ اللَّيلةِ [٥].

إشعالهم النار فوق الأبراج يعني يقظتهم وسهرهم ومراقبتهم للموقف.

يليق بالمؤمن أن يكون ملتهبًا بنار الروح القدس، الذي ينير البصيرة الداخلية، ويجعل منه خادمًا لله ناريًا، لا يعرف الرخاوة. فقد قيل في المزامير: "خدامه لهيب نار" (مز ١٠٤: ٤). وأن يكون يقظًا حتى في نومه الجسدي: "أنا نائمة، وقلبي مستيقظ" (نش ٥: ٢).

❖ هذه هي النار التي اضطرمت في قلوب التلاميذ، فألزمتهم بالقول: "ألم يكن قلبنا ملتهبًا فينا، إذ كان يكلمنا في الطريق، ويوضح لنا الكتب!" (لو ٢٤: ٣٢)[2]

القديس جيروم

❖ هذه النار الإلهية أشعلتْ عظام الأنبياء، كما قال إرميا: "كان في قلبي كنارٍ محرقة محصورة في عظامي، فمللت من الإمساك، ولم أستطع" (إر ٢٠: ٩)[3].

القديس أمبروسيوس

❖ "الصانع ملائكته أروحًا، وخدامه لهيب نار" (مز ١٠٤: ٤). فبولس يُقَدِّم لكم المشهد عينه. فهو كالروح والنار، يطوف الأرض كلها ويُطَهِّرها، حين لم يكن بعد قد اقتنى السماء، وفي ذلك أعجب العجب، من كونه وهو لا يزال حيًا في هذا العالم ولابسًا جسدًا مائتًا، قد ماثل القوات المُجردَة عن الجسد[4].

القديس يوحنا الذهبي الفم

---

[1] *Homilies on Psalms 9.*
[2] *Epistle 52:3.*
[3] *In luke 12:49-50.*

[4] الأب الياس، ص ٢٦٨.

٢. مشورة قُوَّادِ بَني عيسو وموآب والسَّاحِلِ

وفي اليَوم الثَّاني أخرَجَ أليفانا جَميعِ فُرسانِه في وَجهِ بَني إسرائيلَ،
الَّذينَ كانوا في بَيت فَلْوى [٦].

لم تكن بيت فَلْوى تحتاج إلى خروج كل فرسان أليفانا، لكنه قام بهذا العمل كنوعٍ من الاستعراض، ولبث روح الرعب في الإسرائيليين[1].

وفَحَصَ المُنحدَرَاتِ المؤَدِّيةَ إلى مَدينَتِهم،
وتَفَقَّدَ كُلَّ عَينِ ماء واحتَلَّها، وجَعَلَ فيها مَواقِعَ مُقاتلين،
ورَجَعَ هو إلى جَيشِه [٧].

جاء في الفولجاتا: [الآن إذ سار أليفانا وجد ينبوعًا كان يمدهم بالماء، يجري خلال قناة خارج المدينة في الجانب الجنوبي، فأمر باغلاق القناة. إلا أنه كان يوجد ينابيع ليست بعيدة عن الأسوار، كانوا يسحبون منها الماء خفية، ويشربون منها القليل، لا تكفي لإروائهم تمامًا (٧: ٦-٧).]

تشير المياه إلى الروح القدس، لهذا وقف السيد المسيح في اليوم الأخير العظيم من العيد ونادى، قائلاً: "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي" (يو ٧: ٣٧-٣٨). ويعلق القديس يوحنا الإنجيلي: "قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجد بعد" (يو ٧ ٣٩).

كان دور الوثنيين عند موت إبراهيم أن يطمسوا الآبار بالتراب، وقام اسحق بإزالة التراب. هكذا عمل عدو الخير الأول أن يحرمنا من مياه الروح القدس الذي ننلناه في سرّ المسحة، وعمل الكنيسة الدائم أن تحثنا على قبول عمل الروح فينا.

❖ قبلما صار الكلمة إنسانًا منح القديسين الروح بكونه روحه، كما قال لتلاميذه: "اقبلوا الروح القدس" (يو ٢٠: ٢٢). أعطى الروح لموسى وللسبعين الآخرين، كما صلى داود خلال الكلمة طالبًا من الآب: "**روحك القدوس لا تنزعه مني**". و إذ صار إنسانًا قال: "أرسل لكم الباركليت، روح الحق"، وقد أرسله كلمة الله بكونه أمينًا (في وعده)[2].

---

[1] *Orthodox Bible Study, Judith 7: 6.*
[2] *Four Discourses against the Arians, 1: 12.*

القديس أثناسيوس الرسولي

❖ حينما تمتلئ النفس من ثمر الروح تتعرّى تمامًا من الكآبة والضيق والضجر، وتلبس الاتساع والسلام والفرح بالله، وتفتح في قلبها باب الحب لسائر الناس.

القديس مار اسحق السرياني

❖ يسمى (الروح القدس) المعزي، لأنه يعزي ويفرح الذين في الشدائد[1].

القديس مقاريوس الكبير

❖ يستحيل أن ينال أحد نعمة الله ما لم يكن له الروح القدس، الذي فيه كل عطايا الله[2].

القديس ديديموس الضرير

فدَنَا إِلَيه جَميعُ رُؤَساءِ بَني أدوم،
وجَميعُ قُوَّادِ شَعبِ موآب وقُوَّادُ السَّاحِلِ، وقالوا: [٨]

يبرز هنا رؤساء أدوم وموآب وقواد الساحل ليظهروا حقدهم على إسرائيل. كانوا أعداءً تقليديين لليهود استمرت عداوتهم لقرونٍ طويلة، يقول عنهم يوسيفوس: "إنهم يكرهوننا جدًا".

بقدر ما كان لبيت فَلْوى من امتيازات بسبب الجبال التي تحيط بها وتحميها، فإن نقطة الضعف هناك قلة المياه وصعوبة الحصول عليها داخل المدينة.

كثير من المدن سقطت بعد حصارها متى حُرمت من مصادر المياه، خاصة إن كانت لا تتمتع بسقوط أمطارٍ عليها. على سبيل المثال: سقطت السامرة سنة ٧٢٢ ق.م. عندما حاصرها الأشوريين، وكانت تعتمد على الينابيع وماء الأنهار. ظن الأراميون قديمًا أن إله اليهود إله الجبال، وأن آلهة المياه أقوى من آلهة الجبال.

"لِيَسمَعْ سَيِّدُنا كَلِمتَنا،
حتى لا تَقَعَ خَسائِرُ في جَيشِكَ [٩].

شتان ما بين مشورة أحيور السابقة ومشورة هؤلاء الرؤساء والقواد، فإن أحيور ركز على قدرة إلههم على إنقاذهم، أما هؤلاء فتحدثوا عن طبيعة جغرافية الموقع، وأنه يمكن

---

[1] عظة ١٧: ١.

[2] *De Spir. Sanc. 9.*

الانتصار عليهم دون فقدان جندي واحد. لهذا ثار على أحيور وأراد الانتقام منه حاسبًا مشورته استخفاف وإهانة له، أما هؤلاء ففي عينيه قدموا حكمة يقبلها العقل والمنطق ولا تخدش كبرياءه.

فإنَّ شَعبَ بَني إِسرائيلَ هذا لا يتَّكِلُ على رِماحِه،
بل على عُلُوِّ الجِبالِ الَّتي يُقيمُ فيها.
وليسَ مِنَ السَّهْلِ الصُّعودُ إِلى رُؤُوسِ جِبالِه [١٠].

جاء ملخص مشورة أحيور أن شعب بني إسرائيل يتكل على إلهه الذي لا يُغلب، أما مشورة هؤلاء القادة فتتلخص في اتكال إسرائيل على علو جبال بلادهم التي يقيمون فيها، وليس لأحد غيرهم الخبرة في تسلقها في أمان.

والآن، يا سيِّد، لا تُقاتِلْهم كما يُقاتَلُ في مَعركةٍ مُنَظَّمة،
فلا يَسقُطَ مِن جَيشِكَ رَجُلٌ واحِد [١١].

أَبْقَ في مُعَسكَرِكَ مُحافِظًا على جَميعِ رِجالِ جَيشِكَ،
ولْيَستَولِ خُدامُكَ على عَينِ الماءِ الخارِجِ مِن سَفْحِ الجَبَل [١٢].

هنا تدخل القادة المحليون من أدوم وموآب لينصحوا أليفانا أنه ليس من حاجة للمخاطرة بجندي واحد بينما يستطيع أن يخضع مقاوميه بقطع مئونة المياه عنهم.

يفهم من النص أن العين الرئيسية هي التي شُق لها مجرى إلى داخل المدينة، بينما لم تكن كمية الماء التي تدرها الينابيع الصغيرة بكافية لتوصلها إلى داخل المدينة. وكان الماء في المجرى يجري ليجتمع في جب بئر عميق يقوم السكان برفعه عن طريق الشادوف أو السواقي. وكانوا يخزنون الماء في أحواض معدة لذلك.

فمِن هُناكَ يَستَقي سُكَّانُ بَيتَ فَلْوى.
والعَطَشُ يُهلِكُهم، فيُسلِمون مَدينَتَهم.
عِندئذٍ نَحنُ وجَيشُنا نَصعَدُ إِلى رُؤُوسِ الجِبالِ القَريبة،
ونُعَسكِرُ فيها كما في مَوقِعٍ أَماميّ،
لِئَلاَّ يَخرُجَ أَيُّ رَجُلٍ مِنَ المَدينة. [١٣]

طلب قادة الجيوش الخاضعة لأليفانا أن يصعدوا هم إلى رؤوس الجبال القريبة ويعسكروا، ليقتنصوا كل من يخرج من المدينة لطلب الماء. وقد كانت عادة الملوك القدماء

استخدام جنود الحلفاء أو الخاضعين لهم من أمم أخرى ضد العدو، خاصة إن وجدت عداوة بينهم. وذلك كما استخدم بيلاطس بنطس فرقًا من الجنود السامريين في إخماد ثورات اليهود. من هنا فقد استعان أليفانا بجنود العمونيين وهم كثيرون (٧: ١٧-١٨) لحراسة عيون الماء، واشترك معهم الأدوميون، واحتلوا المنطقة جميعها فيما يشبه الحصار الكامل.

فيَذوبونَ جوعًا هُم ونِساؤُهم وأولادُهم،

وقَبْلَ أن يُدرِكَهُمُ السَّيفُ يُصرَعونَ في شَوارِعِ مدينَتِهم [١٤].

نجح هؤلاء القادة في كسب ودّ أليفانا، إذ لم يقللوا من قدراته، بل أكدوا أنه يمكنه بالسيف أن يبيدهم، لكن لماذا يستخدم السيف وهم أقل من أن يُمتد سيف جيش أليفانا لقتلهم، إنهم يموتون بالجوع والعطش، وهذا الموت أردأ من القتل بالسيف وفيه مهانة لهم.

فتُكافِئُهم شرَّ مُكافأةٍ على تمردهم،

وعلى عَدَمِ الذَّهابِ للقاءِ معكَ في سَلام" [١٥].

أظهر القادة استياءهم لعدم مجيء إسرائيل خاضعًا لأليفانا، وهذا يشبع غروره.

٣. احتلال عُيونَ ماءِ بَني إسْرائيلَ وينابيعَهم

فحَسُنَ كلامُهم عِندَ أليفانا، وعِندَ جَميعِ خدامه،

وأمَرَ بالعَمَلِ بحَسَبِ قَولِهم [١٦].

أدرك القائد أنه يصعب اقتحام المدينة بسبب العوامل الجغرافية، فعوض المغامرة باقتحام المدينة التجأ إلى محاصرتها، وقطع موارد الماء عنها، وذلك لتحقيق الأهداف التالية:

أولاً: تعرض الشعب للجوع والعطش يدفعهم إلى الضغط على قادتهم بتسليم المدينة.

ثانيًا: خلال الحصار وحرمان الشعب من الماء يتذمرون، فيفقدوا العون الإلهي.

رابعًا: نتيجة العطش الشديد والجوع يجد الشعب ضرورة استخدام العشور والبكور بدلاً من تقديمها للهيكل، فيحل عليهم غضب الله.

وقد حدث فعلاً أن نفذ الماء، وحلت المجاعة، وبعد خمسة أسابيع تذمر الشعب على قادتهم، قائلين بأنه كان أفضل لهم أن يستسلموا للعدو ويعيشوا عبيدًا عن أن يموتوا جوعًا.

فتَحَرَّكَ جَيشٌ مِن بَني عَمُّونَ،

ومَعَهم خَمسَةُ آلافٍ مِن بَني أشور،

وعَسكَروا في الوادي،

واحتلُّوا عُيونَ ماءِ الإسْرائيليين وينابيعَهم [١٧].

إذ حسُن في عيني أليفانا ورجاله مشورة قادة أدوم وموآب، أصدر أمره بالتنفيذ. فتحرك من جيش العمونيين ومعهم ٥٠٠٠ جندي من الأشوريين، وعسكروا في الوادي، ووضعوا أياديهم على مصدر المياه وينابيع الإسرائيليين.

يرى البعض أن خمسة آلاف جندي هو عدد كبير بالنسبة لمهمة بسيطة مثل هذه، لكن هذا العدد ليس بكثيرٍ بالنسبة لتعداد الأشوريين مع حلفائهم. وقد ورد في الترجمة اللاتينية أن أليفانا وضع على كل عين فرقة تتكون من مائة جندي.

وصَعِدَ بَنو أدوم وبَنو عَمُّون،
وعَسكَروا في النَّاحيةِ الجَبَليَّةِ قُبالةَ دوثان،
وأَرسَلوا أُناسًا مِنهُم نَحوَ الجَنوبِ والشَّرقِ،
قُبالةَ أَغرَبيلَ *Egrebeh* الَّتي بِالقُربِ مِن خُوس *Chusi* عِندَ وادي مُخْمور *Mochmur*.
وعَسكَرَت بَقيَّةُ قُوَّاتِ الأشوريينَ في السَّهل،
فغَطَّت وَجهَ الريفِ كلَّه،
وعَسكَرَت خِيامُهم وأَمتِعَتُهم في كُتلَةٍ ضَخْمة،
فقد كانوا جَمعًا غفيرًا جِدًّا [١٨].

صعد الأدوميون والعمونيون وعسكروا على المرتفعات التي في مقابل دوثان، وأرسلوا بعض رجالهم نحو الجنوب والشرق تجاه أغربيا *Egrebeh* بجوار *Chusi* بالقرب من وادي مخمور *Mochmur* . أما بقية الأشوريين فبقوا في السهل، وغطوا وجه الأرض.

أغربيل *Aqrabeh , Ekrebel, Egrebel*: موقع في جنوب شرقي دوثان بجوار خوس يصل بينهما جدول مخمور، وقد رفض أهلها وهم عمونيون وموآبيون أن يمدوا بني إسرائيل بالخبز والماء عند عبورهم من هناك، وتحالفت فيما بعد مع أشور ضد إسرائيل، وربما كانت هي *Akrabeh* الواقعة على بعد ٤٠ كم شمال أورشليم.

خوس *Chusi* أو *Chous*: تقع غرب أغربيل، وبالقرب من شكيم، جنوب نابلس الحديثة. يرى بعض الدارسين أنها قرية *Quezh* الحالية، تبعد حوالي ستة أميال من نابلس

.[1]Nablus

مخمور *Mochmur*: يرى البعض أنه وادٍ يقع جنوب شرقي دوثان، وربما هو وادي مخفولية *Makhfrlyeh* جنوب نابلس، تدعى باللاتينية *Machur*. يرى *Avi-yanoh* وأهارون *Aharon* أنه وادي كانا *Wadi Qana*[2]، يبعد حوالي ١٥ ميلاً من أغربيل.

٤. صَرَاخ بَنِي إِسْرائيل إلى الرَّبِّ إلهِهِم

وخارَت عَزِيمَةُ بَنِي إِسْرائيل،
فصَرَخوا إلى الرَّبِّ إلهِهِم،
لأنَّ جَميعَ أعدائِهِم طوَّقوهم،
ولم يكُن هُناكَ سَبيلٌ إلى الإفلاتِ مِن وَسَطِهِم [١٩].

يمكننا أن ندرك مدى تأثير الحصار على مدينة تُحرم من الطعام والشراب مما حدث أثناء حصار أورشليم عام ٧٠م، فقد روى يوسيفوس أن إحدى النساء ذبحت طفلها وأكلته. فلا نعجب من قول الكاتب: "**خارت عزيمة بني إسرائيل**"، فقد لاح الموت لسكان بني فلوى، وبدأ اليأس يتطرق إلى قلوبهم، خاصةً وهم يرون أطفالهم كادوا أن يموتوا بسبب العطش. لقد خارت عزيمتهم بسبب الضعف البشري.

وظَلَّ حَولَهم كُلُّ مُعَسكَرِ أشور،
مِن مُشاةٍ ومَركَباتٍ وفُرسان،
مُدَّةَ أربَعةٍ وثَلاثين يَومًا.
فنَفِدَت لدى جَميعِ سُكَّانِ بَيتَ فَلْوى آنيَةُ الماءَ جَميعُها [٢٠].

وجَفَّتِ الآبار ولم يكُنْ عندَهم مِنَ الماءِ ما يُرْويهم يَومًا واحِدًا،
لأنَّ ماءَ الشُّرْبِ كانَ يُقَنَّنُ علَيهم [٢١].

لا تزال توجد جباب على قمة جبل تابور حتى الآن.

وكانَ أطفالُهم خائِري القُوى،
وكانَ النِّساءُ والشُّبَّانُ مَنْهوكينَ مِنَ العَطَش،
وكانوا يَسقُطونَ في شَوارِعِ المَدينَة وفي مَمَرَّاتِ الأَبْواب،

---

[1] *Carey Moore, p.173.*
[2] *Macmillan Bible Atlas, Map 211.*

فلم تَعُدْ فيهِم أيَّةُ قوة [٢٢].

٥. يأس الشعب

فاجتَمَعَ كُلُّ الشَّعبِ، مِن شُبَّان ونِساءٍ وأولاد،
على عُزِيَّا وعلى رُؤَساءِ المَدينة،
وصَرَخوا بِصَوتٍ عَظيم،
فقالوا أمامَ جَميعِ الشُّيوخ [٢٣].

"لِيَحكُمِ اللهُ بَينَكم وبَينَنا!
فقد أَلحَقتُم بِنا ضَرَرًا جَسيمًا،
إذ لم تُكَلِّموا بَني أشور كَلامَ سَلام [٢٤].

طلبوا تسليم المدينة لأليفانا، إذ كانوا يعلمون أن العمل كعبيدٍ للأشوريين أفضل بكثيرٍ من مصيرهم إن اقتحم أليفانا المدينة واستولى عليها. فقد كان من عادة الغزاة التنكيل بسكان المدن المقاومة متى هزموها والانتقام منهم. فلا يكتفون بقتلهم، إنما يذيقونهم العذاب. على سبيل المثال عندما غزا الإسكندر الأكبر صور وغزة صلب منهم آلافًا على طول الطريق هناك، كما قام بتعذيب قائد غزة الفارسي عذابًا مروعًا.

صار عزيا في موقف شبيه بما حدث مع موسى النبي حين تذمر الشعب عليه بسبب العطش (عد ٢٠: ٢-١٣).

والآن، فإنَّه لَيسَ لَنا مِن مُعين،
بل باعَنا اللهُ إلى أيديهِم،
لِنُصرَعَ أمامَهم في عَطَشٍ وهَلاكٍ عَظيم [٢٥].

ورد هذا التعبير في أستير ٧:٤، وهو يفهم بالمعنى الوارد في إشعياء ٥٠: ١؛ ٥٢: ٣، حيث يؤكد الله أن إسرائيل لم يُبع بمالٍ، بل بالحري جاء تعبير "بيع" هنا مجازًا ليعبر عن دخولهم في العبودية أو سقوطهم في الأسر. وكما جاء في سفر اللاويين: "وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك، فلا تستعبده استعباد عبدٍ" (لا ٢٥: ٣٩). ويقول الرسول بولس: "وأما أنا فجسدي، مبيع تحت الخطية" (رو ٧: ١٤).

والآن فادعوهم،

وأسلِموا المَدينةَ كُلَّها للنَّهْبِ إلى جَيش أليفانا وكُلِّ قواته [٢٦].

فخَيرٌ لَنا أن نَكونَ غنيمتَهم،
لأنَّنا نَصيرُ عَبيدًا وتَحْيا نُفوسُنا،
ولا نَرى بأعيُننا أطفالَنا يَموتون،
ونِساءَنا وأولادَنا يَلفِظونَ أرْواحَهم [٢٧].

إن كنا نحيي هذا الشعب في جوانب كثيرة منها شعورهم بأن ما حلّ بهم هو بسبب خطاياهم وخطايا آبائهم [٢٨]، وأنهم لجأوا إلى الله بروح الجماعة ينوحون كرجلٍ واحدًا [٢٩]، وصرخوا إليه بصوت عظيم، غير أنهم تعجلوا في القرار، وأرادوا التدخل السريع، قائلين: "خير لنا أن نكون غنيمتهم لأننا نصير عبيدًا وتحيا نفوسنا، ولا نرى بأعيننا أطفالنا يموتون، ونساءنا وأولادنا يلفظون أرواحهم". وأنهم استحلفوا القادة أن يتحركوا فورًا لتسليم المدينة!

نَستَحلِفُكم بِالسَّماءِ والأرضِ وبِإلهِنا ورَبِّ آبائِنا،
الَّذي يُعاقِبُنا بِسَبَبِ خطايانا وخطايا آبائِنا،
أن تَعمَلوا بِهذا الكَلامِ في هذا اليَومِ نَفسِه" [٢٨].

كانت العقيدة الراسخة لدى اليهود بين الضيقات التي تحل بهم، سواء على مستوى الأشخاص أو الجماعة، علتها الخطية، خطية الشخص وخطايا آبائه. وكما جاء في سفر الخروج ٢٠: ٥ ومراثي ٥: ٧ أن الله يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء الذين يصرون على السلوك على منوال آبائهم في شرورهم.

وارتَفَعَ في وَسْطِ الجَماعَةِ كُلِّها نَحيبٌ شَديدٌ كنَحيبِ رَجُلٍ واحِدٍ،
وصَرَخوا إلى الرَّبِّ الإلهِ بِصوتٍ عَظيم [٢٩].

مع ما للشعب هنا من ضعفٍ، لكن التوبة الجماعية والالتجاء إلى الله بروحٍ واحد له تقديره الخاص عند الله.

٦. عزيا يطالبهم بأن يعطوا الرب مهلة خمسة أيام

فقالَ لَهم عُزِيًّا: "تَشَجَّعوا، يا إِخوَتي،
لِنَصمُدْ خَمسةَ أيَّامٍ أيضًا يُحَوِّلُ فيها الرَّبُّ إلهُنا رَحمَتَه إلَينا،
فإِنَّه لن يَترُكَنا حتَّى النِّهاية [٣٠].

أخطأ عزيا حيث حدد زمنًا معينًا (خمسة أيام) لعمل الله، وإلاً يستسلم للأعداء، وقد وبخته يهوديت على هذا القول، لأن فيه عدم إيمان وعدم تسليم حقيقي لله أن يعمل كيفما يشاء، وفي الوقت اللائق. غير أننا لا نتجاهل الجانب الإيماني وثقة عزيا الحتمية، إذ يقول: **"فإنه لن يتركنا حتى النهاية"**

لماذا حدد الموعد بخمسة أيام؟

أ. ربما لم تكن في نية عزيا تسليم المدينة نهائيًا، وإنما قال هذا لتهدئة مشاعر الشعب المضطربة. وقد حدد الزمن ربما لأن المئونة والماء الذين بالمدينة لم يكونا يكفيان إلاً لمدة خمسة أيام.

ب. لعله تحدث معهم في يوم الاثنين، فأقنعهم بالانتظار حتى ينتهي يوم السبت بكونه يوم الراحة الذي تقدم فيه ذبائح وتقدمات وعبادة بصورة خاصة.

وإن مَضَت تلكَ الأيَّامُ ولم تأتِنا الإغاثة،
عَمِلتُ بِقَولِكم" [٣١].

وصرف الشَّعبَ كُلَّ واحدٍ إلى مَركَزِه،
فذهبوا إلى أسوارِ مَدينَتِهم وأبراجِها،
وأرسَلوا النِّساءَ والأولادَ إلى بُيوتِهم.
وكانوا بالمَدينةِ في انهِيارٍ شديدٍ [٣٢].

يرى البعض أن هذا الوعد يكشف عن قيادة عُزيًّا الحكيمة، إذ لم يضطرب من اتهامهم له، أو يغضب عليهم، إنما شاركهم مشاعرهم وصلواتهم وصراخهم ودموعهم، وشعر بمسئوليته، فوقف يطمئنهم إلى وجود الله معهم. وأن القرار الذي اتخذه بالانتظار خمسة أيام في صلوات حتى يروا تدخل الله وإنقاذه لهم عوض تسليم المدينة في الحال كطلبهم هو قرار روحي. غير أن يهوديت رأت في تحديد زمن معين لله بعده يقوم عُزيًّا بتسليم المدينة فيه ضعف إيمان. فليس من حق البشر تحديد أزمنة لله. إنما يلزم التسليم الكامل والتأكيد بأن الله سيحل المشكلة بالطريقة التي يراها هو.

من وحي يهوديت ٧

بدد يا رب مشورة الأشرار

❖ استعرض أليفانا قدراته العسكرية الجبارة.
وأراد الزحف على المؤمنين ليرعبهم،
ويهز إيمانهم فيك.
وضع في قلبه أن يأسرهم ويذلهم.
وجاءت مشورة القادة الأشرار أن يقطع مصادر المياه عنهم.
هكذا يحارب العدو تارة علانية ليرعبنا،
وتارة خفية ليسلبنا الارتواء بمياه الروح القدس.
وثالثة يبث روح اليأس فينا، ليحطمنا!

❖ لتبدد يا رب كل حيلة الشريرة.
ولتحطم كل مشوراته الرديئة.
لتنزع عنا روح اليأس.
افتح لنا أبواب الرجاء،
فتطمئن قلوبنا.
نرى الذين معنا أكثر من الذين معهم.
نراك يا رب القوات تحرك السماء لحساب شعبك.
نراك تفيض بنعمتك الغنية فينا،
ويتسلم روحك القدوس قيادة حياتنا.

❖ لنثق فيك: تسمح بالضيقات،
فتنسكب مراحمك علينا.
وتفيض تعزياتك السماوية في قلوبنا!

❖ انزع عنا روح الاستسلام،
وهب لنا ثقة كاملة في عملك معنا.

❖ أعطنا روح التوبة الصادقة،

والاتجاه الجماعي إليك.

فنطلب مجدك، ونثق في وعودك الإلهية.

أنت هو المخلص العجيب!

أسماؤنا منقوشة على كفك!

خلاصنا هو موضع اهتمامك!

حياتنا هي عطية من لدنك!

لك المجد يا مخلص البشرية!

الباب الثالث

الله واهب النصرة

يهوديت ٨-١٤

الأصحاح الثامن

غيرة يهوديت على شعب الله

اتسمت يهوديت بالتقوى:

ا. كرّست غرفة سرية في أعلى البيت تقيم فيها مع جواريها، فقد آمنت بالحياة السرية مع الله.

ب. كانت ترتدي المسوح على حقويها.

ج. كانت تصوم كل أيام حياتها ماعدا أيام الأعياد الأسبوعية والشهرية والسنوية.

د. نالت شهرة عظيمة لا من أجل جمالها الباهر، وإنما من أجل تقواها.

ه. بالإيمان الحيّ رفضت تحديد زمان لعمل الله، وطالبت أنْ يقدموا توبة بروح التواضع.

و. دبّرت خطة لمقابلة أليفانا دون أن تخبر أحدًا، إنما طلبت مساعدتهم: "لا تصنعوا شيئًا غير الصلاة عني إلى الرب إلهنا" (٣٣:٨).

١. من هي يهوديت؟	١-٨.
٢. يهوديت توبخ القادة لعدم إيمانهم	٩-١٧.
٣. يهوديت والتسليم في يدي الله	١٨-٢٤.
٤. يهوديت تكشف عن غاية التجربة	٢٥-٢٧.
٥. عزيا يطلب صلوات يهوديت	٢٨-٣١.
٦. يهوديت تبدأ خطة العمل	٣٢- ٣٦.

١. من هي يهوديت

وفي تلكَ الأيَّام بَلَغ الخبَرُ يَهوديت،

وهي بِنتَ مَراريَ ***Merari*** بنِ أَخْسَ ***Ox*** بن يوسفَ ***Joseph*** بنِ عُزِّيئيلَ ***Oziel*** بنِ حِلْقِيًّا ***Elkiah*** بنِ حَنَنْيا ***Ananias*** بن جِدعَونَ ***Gideon*** بنِ رافائيمَ ***Raphaim*** بنِ أحيطوبَ ***Ahitub*** بنِ إيليًّا ***Elijah*** بنِ حِلْقِيًّا ***Hilkiah*** بنِ أليآبَ ***Eliab*** بنِ نَثَنائيلَ ***Nathanael*** بنِ شَلَوميئيلِ ***Salamiel*** بنِ صوريشَدَّايَ ***Sarasadai*** بنِ إسرائيل [١].

يقدم لنا السفر أنساب يهوديت إلى الجيل السادس عشر حيث يبلغ إلى رئيسين

مشهورين من سبط شمعون معاصرين لموسى النبي، وقد قام بتعيينهما، وهما شلوميئيل بن صوريشداي (عد ٢: ١٢). هكذا ترجع يهوديت إلى أصل نبيل.

ذكر التفاصيل الخاصة بنسب يهوديت يؤكد أنها ليس قصة خيالية أو رمرية بل واقع تاريخي لشخصية حقيقية وبذات الاسم وليس اسمًا رمزيًا. وكما جاء في دائرة المعارف الكاثوليكية[1] أن ذكر تفاصيل موت رجلها منسَّى (يهو ٨: ٢-٤) يجعل من الصعب أن تُحسب قصتها مجرد فن قصصي، إنما يؤكد أن يهوديت هي بطلة تاريخية حقيقية.

يهوديت أرملة يهودية تحرص على التعرف على الأنساب. وقد كان اليهود يلقنون أطفالهم سلسلة نسبهم، فما أن تسأل الطفل اليهودي حتى يسرد قائمة طويلة عن آبائه وأجداده؛ وهذه علامة اعتزازه بانتسابه الأصيل للأمة اليهودية كشعب الله.

يرى دميان ماكي أن يهوديت تمت بصلة قرابة لعزيا، بل ويراها أنه أخته الصغيرة من جهة الأب دون الأم. وقد كانت صغيرة حتى أن بوغا أو ربساريس الأشوري في حديثه عنها في المعسكر الأشوري قال "هذه الفتاة الجميلة this pretty girl" (١٢: ١٣).

وكان مَنَسَّى *Manasseh* زَوجُها مِن سِبْطِها وعَشيرتِها،
وقد ماتَ في أيَّامِ حِصادِ الشَّعير [٢].

كان زوجها منسى غنيًا جدًا كما يظهر من الثروة التي تركها لها (٨: ٧). مع غناه كان يدير موضوع حصاد الشعير وسط العمال، فأصابته ضربة شمس. كثيرًا ما يحدث هذا في منطقة الشرق الأوسط في الصيف أثناء الظهيرة.

فإنَّه كانَ يُراقِبُ رابِطي الحُزَمِ في الحقل،
فَوقَعَ الحَرُّ الحارِقُ على رأسه،
فلازَمَ الفِراشَ، وماتَ في بَيتَ فَلْوى مَدينتِه.
فدَفَنوه مع آبائِه في الحَقْلِ الَّذي بَينَ دوثانَ *Dothan* وبلَمون *Balamon* [٣].

وكانت يَهوديتُ مُتَرمِّلَةً في بَيتِها مُنذُ ثَلاثِ سَنَواتٍ وأَربَعةِ أَشهُر [٤].

كثيرًا ما ترتبط الأرامل بالأيتام والمساكين والغرباء والضيوف بكونهن يحتجن إلى اهتمام المؤمنين ورعايتهم، ويحسب الله كل خدمة تُقدم لهن كأنها مقدمة له شخصيًا. لكن بعض الأرامل استطعن أن يكرسن طاقاتهن للعبادة والعمل لحساب المجتمع، فانتقلن من فئة

[1] *TCE, article "Judith", VIII, (The Ency. Press, Inc., N.Y.), 555.*

محتاجة إلى من يخدمها ويرعاها إلى فئة مكرسة للرب تقوم بعمل قيادي في خدمة ملكوت الله. من بين هؤلاء الأرامل حنة النبية (لو ٢: ٣٦-٣٧).

يقول القديس **يوحنا الذهبي الفم**: [الكنيسة ككل هي أرملة واحدة، سواء كانوا رجالاً أو نساء، متزوجين ومتزوجات، الكنيسة ككل أرملة واحدة مهجورة في هذا العالم! إن شعرت بهذا، وعرفت حقيقة ترملها، عندئذ يكون العون بين يديها حاضرًا لديها[1].]

وفي حديث **القديس يوحنا الذهبي الفم** لأرملة شابة يقول: [عندما نظم (الرسول) موضوع الأساقفة لم يحدد لهم السن، أما هنا فحدد السن، لماذا؟ ليس لأن الترمل أعظم من الكهنوت، إنما لأن للأرامل أعمال خطيرة... فهن محاصرات بأعمال متنوعة، عامة وخاصة. وكما أن المدينة غير الحصينة تكون نهبًا لمن يريد أن يسلبها، "هكذا الشابة الأرملة، يترقبها كثيرون حولها، ليس فقط الذين يرغبون في نهب أموالها، وإنما الراغبون في إفساد عفتها أيضًا[2].]

- ❖ يلزم الأرملة أن تتمم كل عمل صالح، وإن لم تستطع فلتساهم فيه.
- ❖ هكذا يتطلب الرسول التدقيق في الأرامل أكثر مما يتطلبه في العذارى، يتطلب فيهن أن يكن أكثر دقة وأعظم فضيلة[3].
- ❖ بقوله هذا جعلنا نفهم أن اللواتي فقدن رجالهن هن عرائس المسيح بدلاً من رجالهن... هذا أنت ترين أن كرامة عظيمة تُمنح للأرامل! هذا في العهد الجديد حيث أضاء نور البتولية أيضًا بوضوح. وبالرغم من شدة بهاء هذه الفئة (البتوليين) إلاَّ أنها لا تطغي على أمجاد الأرامل، حيث تضيء للكل محتفظة بقيمتها[4].

القديس يوحنا الذهبي الفم

وكانَت قد هَيَّأَت لنَفسِها مسكنًا على سَطحِ بَيتِها،
وكانَت تَضَعُ مِسحًا على حقويها،
وتَرتَدي ثِيابَ تَرَمُّلِها [٥].

---

[1] *In Ps. 132.*

[2] للمؤلف: القديس يوحنا الذهبي الفم رسالة تعزية لأرملة شابة، ص ١١، ١٢.

[3] *In 1 Tim. hom 10.*

[4] للمؤلف: القديس يوحنا الذهبي الفم رسالة تعزية لأرملة شابة، ص ١٤.

اعتاد اليهود أن يخصصوا العلية للصلاة مثل سارة ابنة راكويل *Raquel* (طو ٣: ١٧)، ودانيال (دا ٦: ١٠)، وبطرس الرسول (أع ١٠: ٩).

لم يُذكر ليهوديت أن لها ابن أو ابنة، وكان من حقها الزواج من شقيق رجلها أو من الولّي لتقيم له نسلاً، لكنها أرادت أن تعيش حياة البتولية، فانقطعت للعبادة في علية بيتها، ترتدي ثياب الترمل التي تخلو من كل زينة، ثيابًا سوداء أو غامقة.

❖ واضح أن كل ما فيه احتشام يكون دائمًا نافعًا. فالقديسة يهوديت بالاحتشام لم تبالِ بسلامها، ووضعت نهاية لمخاطر الحصار، وبفضيلتها كسبت ما هو نافع للكل بصفة عامة[1].

القديس أمبروسيوس

كتب القدّيس جيروم إلى الأرملة فيوريا Furia، مقدّمًا لها حنَّة مثلاً حيًا، إذ يقول:

[أتريدين أن تعرفي ما يجب أن تكون عليه الأرامل؟ لنقرأ الإنجيل بحسب لوقا، فإنَّه يقول: "وكانت نبيّة حنَّة بنت فنوئيل من سبط أشير". فإنَّ كلمة "حنَّة" تعني "نعمة (حنان الله)"، وفنوئيل في لساننا يعني "وجه الله"، "وأشير" يمكن ترجمتها "غنى" أو "طوباويّة"، وكانت منذ صباها قد تحمّلت الترمّل لمدة ٨٤ عامًا لا تفارق الهيكل، عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهارًا لذلك نالت النعمة روحيًا وتقبّلت لقب "ابنة وجه الله" وتمتّعت بنصيب في "الطوباويّة والغنى" إذ تنسب له[2].]

وكانَت تَصومُ جَميعَ أَيَّامِ تَرَمُّلِها،
ماخَلا السُّبوتَ وعَشِيَّتَها ورُؤُوسَ الشهورِ وعَشِيَّتَها،
وأَعيادَ بَيتِ إِسرائيلَ وأَفْراحَهم [٦].

"ماعدا عشيات السبوت": لا توجد أية وصية بخصوص عدم الصوم في عشيات الأعياد، لكن يبدو أن هذا كان سائدًا باعتبار أن اليوم يبدأ من عشيته.

لم يكن الترمل يُلزم المرأة اليهودية بالصوم، أما يهوديت التي تطلب حياة الشركة مع الله فقضت كل أيام ترملها صائمة فيما عدا أيام الأعياد الأسبوعية (السبوت) والشهرية (رؤوس الشهور) والسنوية.

[1] *Duties of the Clergy, Book 3:14:88.*
[2] *Ep. 54:16.*

❖ إذ صام أهل نينوى ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ هربوا من تنفيذ الغضب عليهم، وبالصوم هربت أستير ومردخاي ويهوديت من الشريرين المُسلَّحين أليفانا وهامان[1].

قوانين الرسل

❖ لا تكن الأرامل متجولات ولا مغرمات بالأطاييب، ولا متسكعات من بيت إلى بيت؛ لكن ليتهن يكن مثل يهوديت التي كانت تهتم أن تكون جادة، ومثل حنة مكرمة من أجل تعقلها. لست أصدر أمرًا كرسولٍ، لأنه من أنا؟ وما هو بيت أبي؟ حتى أحسب نفسي مساويًا للرسل؟ لكنني كجنديٍ صالحٍ آخذ موقف من ينصحكن[2].

القديس أغناطيوس الأنطاكي

وكانَت جَميلةَ الطَّلعَةِ،
ظَريفَةَ الهَيئَةِ جِدًّا،
وقَد تَركَ لَها مَنَسَّى زَوجُها ذَهَبًا وفِضَّةً وخُدَّامًا وجَواريَ وقُطْعانًا وحُقولاً،
وكانَت تُقيمُ في أَملاكِها [٧].

لم تستطع هذه الثروة أن تدفع قلبها إلى التشامخ، بل تحلَّت بكثير من الفضائل في تواضعٍ حقيقيٍ، مع اتكال على عمل الله الفائق، فصارت موضع سرور الله، وتقدير أهالي المدينة كلها. كانت تحمل بركة الرب وتمجد الله بحياتها كما بلسانها.

ولم يكُنْ هُناكَ أَحَدٌ يَقولُ علَيها كلِمةَ سُوء،
لأَنَّها كانت تَتَّقي اللهَ كَثيرًا ومُكرسة له [٨].

بتقواها خدمت يهوديت شعبها أكثر من كثيرين من القادة وشيوخ بلدها. قدمت عبادتها الطاهرة ما لم يفعله هؤلاء بكل مجهوداتهم.

❖ كما أن يهوديت المشهورة جدًا بحكمتها، وذات سمعة طيبة من أجل ضبط نفسها، "صلَّت إلى الله نهارًا وليلاً لأجل إسرائيل"؛ هكذا أيضًا الأرملة التي تود أن تكون مثلها **تقدم شفاعة عن كنيسة الله بلا انقطاع**. فسيسمع الله لها، لأن فكرها ثابت على هذا الأمر وحده، ولا يميل نحو النهم أو الطمع أو طلب الأشياء الثمينة. عيناها طاهرتان، وسمعها نقي، ويداها غير دنستين، وقدماها هادئتان، وفمها ليس معدًا للنهم وللكلمات التافهة، إنما

---

[1] *Constitutions of the Holy Apostles, 5:1:20.*
[2] *To the Philadelphians, 4.*

تنطق بما هو لائق، وتشترك في الأمور الخاصة بحفظها وحده. وإذ هي جادة ولا تسبب قلقًا، يُسر بها الله. فحالما تسأل شيئًا تنال طلبتها كقوله: "تتكلم (تستغيث) فأقول: هأنذا" (إش ٥٨: ٩). لتكن مثل هذه متحررة من محبة المال، ومن التشامخ، لا تطلب الربح القبيح، ولا نهمه بل عفيفة. ووديعة ولا تسبب اضطرابًا لأحد، تقية، محتشمة، جالسة في بيتها، مسبحة، مصلية، تقرأ (الكتاب المقدس)، ساهرة، صائمة، تتحدث مع الله باستمرار في أغانٍ وتسابيح. لتغزل الصوف، تعين الآخرين أكثر منها أن تطلب منهم. لتفكر في الأرملة التي كرَّمها الإنجيل بشهادة الرب، هذه التي جاءت إلى الهيكل، وألقت فلسين قيمتهما ربع في الخزانة. رآها المسيح ربنا وسيدنا، فاحص القلوب، وقال: "الحق أقول لكم إن هذه الأرملة ألقت في الخزانة أكثر من الجميع، لأن الجميع من فضلتهم ألقوا، وأما هذه فمن أعوازها ألقت كل ما عندها، كل معيشتها" (مر ١٢: ٤٣-٤٤؛ لو ٢١: ٢)[1].

قوانين الرسل

٢. يهوديت توبخ القادة لعدم إيمانهم

وسَمِعَت كَلِماتِ الشَّعبِ السَّيِّئَةَ على الرؤساءِ،
لأنَّ عَزيمتَهم خارَت بِسَبَبِ قِلَّةِ المِياه.
وسَمِعَت أيضًا يَهوديتُ جَميعَ الكلامِ الَّذي كَلَّمَهم بِه عُزيًّا،
إذ أقسَمَ لَهم بِتَسليمِ المَدينةِ بَعدَ خَمسةِ أيَّامٍ إلى الأشوريِّين [٩].

إذ عاشت كما في قلاية في علية بيتها مع جواريها اللواتي كن يقتدين بها لم يكن يشغلها شيء من أمور العالم، لكن قلبها المرتفع إلى الله بغنى نعمته كان يتسع بحبها كسيدها. كانت تحمل بالحب شعبها، تصلي لحسابه، وتشتهي بنيانه روحيًا. فمع اعتزالها جسديًا شاركت شعبها بقلبها وفكرها وحواسها في الرب. حزنت لإساءة الشعب لرئيس البلدة، وتألمت لانهيارهم روحيًا ونفسيًا من أجل قلة المياه؛ وتمررت نفسها من أجل كلمات عُزيًّا الذي حدد موعدًا لعمل الله وألا استسلم للعدو!

❖ إنني أحدث النساء أن يجعلن هذا هو عملهن، وأن يقدمن المشورة اللائقة. فإنه إذ لهن قوة عظيمة للصلاح هكذا أيضًا للشر. امرأة حطمت أبشالوم، وامرأة حطمت أمنون، وامرأة كادت تحطم أيوب، وامرأة أنقذت نابال من القتل. نسوة حفظن الأمم مثل دبورة

[1] *Constitutions of the Holy Apostles, 3:1:7.*

ويهوديت، اللواتي أظهرن نجاحًا يليق بالرجال. هكذا ربوات من النسوة فعلن هكذا[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

فأرسَلَت وَصيفَتَها الأمينةَ القَيِّمةَ على جَميعِ أَموالِها،
ودَعَت شيخَيْ مَدينتِها
كَبرْي Chabris وكَرْمي Charmis (وجاء معهما عُزيًا) [١٠].

لم تكن يهوديت ذات مركز رسمي في المجتمع، ولم تكن تنشغل بإدارة بلدها مع الرئيس وشيوخ الشعب، لكنها إذ رأت انهيار الإيمان على مستوى الشعب والقادة أرسلت وصيفتها الخاصة التي تقوم بتدبير شئون ممتلكاتها وأمورها المادية، وطلبت القادة للحضور لمناقشة الموقف الخطير، إذ يمس الحق الإلهي.

لم ترد كلمة "عُزيًا" في بعض المخطوطات اليونانية. لذا يرى البعض أن يهوديت أرسلت وصيفتها للشيخين الآخرين فقط. لكن عُزيًا إذ سمع عن خبر استدعائهما، ذهب بروح التواضع بنفسه ليشترك في الحوار، ويستمع إلى مشورتها لثقته في حكمتها وتقواها مع شعوره بالمرارة والضيق الشديد الذي حلّ بالمدينة. إنه كرئيس للمدينة يود أن يسمع صوت الله بأية وسيلة لإنقاذ شعب الله.

فأَتَوا إِلَيها، فقالَت لَهم:
"اسمَعوا لي، يا رُؤَساءَ السُّكَّانِ في بَيتَ فَلوى،
لَيسَ صائبًا كَلامُكمُ الَّذي تَكَلَّمتُم بِه أَمامَ الشَّعبِ في هذا اليَوم،
فأَقسَمتُم ذلك اليَمينَ الَّذي أَدَّيتُموه بَينَ اللهِ وبَينَكم،
فوَعَدتُم بِتَسليمِ المَدينةِ إِلى أَعدائِنا،
إِن لم يُعِنَّا الرَّبُّ في هذه الأَيَّامِ المعينة [١١].

بكل تقدير لهذه الأرملة المملوءة حبًا وتقوى وغيرة جاء القادة دون تردد، وبروح المحبة مع الالتصاق بالحق الإلهي، ويختهم على ما صدر منهم بخصوص تحديد مدة معينة لعمل الله وتدخله. في هذا نوع من ممارسة الضغط على الله، فصاروا يجربونه، الأمر الذي لا يليق في التعامل مع الله.

❖ الأرملة الصالحة عادة لا تنقصها الشجاعة. فإنها شجاعة حقيقية تتعدى الطبيعة العادية

[1] *Homilies on St. John, Homily 61:4.*

وضعف الجلس بتكريس الذهن، كما هو الأمر في تلك التي تُدعى يهوديت. هذه التي بمفردها استطاعت أن تقوم من المذلة التامة وتحمى من العدو رجالاً سقطوا بالحصار، وضُربوا بالخوف، وانحلوا بواسطة الجوع... عندما كان الرجال المسلحون في خوف، بدأوا فعلاً الحوار في الاستسلام نهائيًا، خرجت خارج الأسوار تفوق الجيش الذي خلدته، في أكثر شجاعة من الذين دخلت معهم في معركة[1].

القديس أمبروسيوس

والآن فمَن أنتُم، حتَّى جَرَّبْتُمُ اللهَ في هذا اليَوم،
وأنتُم أنفُسكم كما لو كان الله مساويًا للبَشَر؟ [١٢]

والآن فإنَّكم تَمتَحِنونَ الرَّبَّ القَدير،
فلَن تَفهَموا شيئًا لِلأَبَد! [١٣]

يذكر لنا الكتاب المقدس كيف حاول اليهود عبر تاريخهم أن يجربوا الله، فيدخلوا تحت الغضب لا الرحمة (خر ١٧: ٢-٧؛ عد ١٤: ٢٢؛ تث ٦: ١٦؛ أي ٢٨: ٢؛ ٤٠: ٢٠؛ ٤٢: ٣؛ مز ٧٨: ١٨؛ ٩٥: ٩؛ ١٠٦: ١٤؛ إش ٧: ١٢؛ مت ٤: ٧؛ أع ١٥: ١٠؛ ١ كو ١٠: ٩).

ليس لنا أن نحدد لله موعد تدخله لرفع الضيقة، لأننا لا نعرف فكر الله ولا حكمته، إنما في يقينٍ من أبوته وحكمته وقدرته نعرض أمورنا عليه في صلواتنا، بتسليم كامل لعمله في الوقت الذي يراه مناسبًا، وبالطريقة التي يريدها. لندرك أنه يعمل لخيرنا، كأبٍ حكيم قدير.

❖ ليتنا لا نجرب الرب، كأن نقول: إن كنا منتمين لك، هب لنا أن نعمل معجزة[2].

القدِّيس أغسطينوس

❖ "لا تجرب الرب إلهك" (مت ٤: ٧). بهذا يعلمنا أن نغلب الشيطان لا بصنع المعجزات، بل بالاحتمال وطول الأناة، وألا نصنع شيئًا قط للاستعراض والمجد الباطل[3].

القديس يوحنا الذهبي الفم

---

[1] Concerning Widows, 7: 37.
[2] St. Augustine: On Ps. 91 (90).
[3] On Matthew, homily 13: 4.

لأَنَّكم لن تقدروا أن تَكتَشِفوا أعماقَ قَلبِ الإنسان،
ولن تُدركوا أفكارَ ذهنه،
فكَيفَ تَهتَدونَ إلى اللهِ الَّذي صنَعَ كُلَّ ذلك،
وتَفهَمونَ فِكرَه، وتُدركونَ تَدبيرَه؟
لا، يا إِخوَتي، لا تُثيروا غَضَبَ الرَّبِّ إِلهِنا [١٤].

إن كان الإنسان لا يستطيع إدراك أعماق إنسانٍ آخر، بل وأحيانًا لا يدرك أسراره هو الداخلية، فكيف يدرك خطة الله وحكمته، ويمارس نوعًا من الضغط عليه والمساومة كأنه أكثر حكمة من الله، وأكثر غيرة على الحق الإلهي.

شتان ما بين اللجاجة في الصلاة مع تسليمٍ كامل لمشيئته الإلهية وبين الإصرار على حلٍ معينٍ في تصلفٍ وعنادٍ.

إننا نحتاج إلى التجارب مع عمل روح الله القدوس، لكي نتعرف على فكر الرب بل ونقول: "لنا فكر المسيح" (١ قو ٢: ١٦).

❖ إننا نعرف الأمور التي في فكر المسيح، التي يريدها وقد أعلنها لنا. هذا لا يعني أننا نعرف كل شيءٍ يعرفه المسيح، بل بالحري ما نعرفه إنما يأتي من عنده وهو روحي[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ فحص بولس أمور الأسرار الإلهية الغامضة والخفية، وأعلن بعبارات مقترحة عن الاستنارة التي نالها من الله لإدراك ما لا يُدرك وما لا يُفحص[2].

القديس غريغوريوس النيسي

فإن لم يَشأْ أن يُعينَنا في الأَيَّامِ الخَمسَة،
فلَه سُلْطانٌ به يَحمِينا في الأَيَّامِ الَّتي يَشاء،
أو يُبيدُنا أمامَ أعدائنا [١٥].

أرادت يهوديت أن يحمل شعبها نفس روح الثلاثة فتية الذين كانوا في أرض السبي، عندما هددهم الملك قالوا بروح الإيمان والتسليم في يدي الله: "هوذا يوجد إلهنا الذي نعبده يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة، وأن ينقذنا من يدك أيها الملك، وإلا فليكن معلومًا

---

[1] *On Corinthians, homily 7: 12.*
[2] *On Perfection.*

لك أيها الملك أننا لا نعبد آلهتك، ولا نسجد لتمثال الذهب الذي نصبته" (دا ٣: ١٧-١٨).

في بابل (بعد أحداث يهوديت) تحدى الثلاثة فتية الموت حرقًا. لقد سلموا حياتهم في يدي الله، سواء أنقذهم أو سمح لهم بالاستشهاد!

❖ تطلعوا إلى إيمانهم! إنهم يقولون: إننا نؤمن أنه قادر أن يُخلصنا، ولكن إن منعته خطايانا فإننا نؤمن بالذي لا يُريد أن يسلمنا (للموت الأبدي). لسنا نؤمن بهذه الحياة بل بالحياة العتيدة. ولسنا نؤمن به لكي نهرب من الحرق هنا، وإنما لكي لا نهرب من عبور هذه النار فنسقط في نارٍ أخرى. إذن لتفعل ما تريد، أعدد أتونك، بحرارته هذه وبناره، فإنه لتنقيتنا[1].

القدّيس جيروم

أَمَّا أَنتُم فَلا تَرتَهِنوا تَدابيرَ الرَّبِّ إِلهِنا،
فإِنَّ اللهَ لَيسَ كالإِنْسانِ فيُهَدَّد،
ولا كابنِ الإِنسانِ فيُملق [١٦].

ولِذلك فَلْنَنتَظِرْ مِن لَدُنه الخَلاص، ولنطلب عونه،
فيُصغِيَ إِلى صَوتِنا، إِن حَسُنَ لَدَيه [١٧].

٣. يهوديت والتسليم في يدي الله

فإِنَّه لم يَقُمْ في أَجْيالِنا،
ولا في أَيَّامِنا سِبطٌ أَو عَشيرةٌ أَو أَرضٌ أَو مَدينةٌ مِن عِندِنا،
تَسجُدُ لآلِهَةٍ مِن صُنعَ الأَيدي،
كما جَرى في الأَيَّامِ القَديمة [١٨].

مع الحديث الصريح عن خطأ القادة والشعب لا تنكر يهوديت ما اتسموا به من مواقف روحية نبيلة، ولا تتجاهل أمرًا يُسرّ الله به، وهو عدم اشتراكهم في العبادة الوثنية التي كثيرًا ما سقط فيها آباؤهم.

هنا تظهر حكمة يهوديت العجيبة فمع خطورة الموقف وشجاعتها في الكشف عن الأخطاء لم يدفعها حماسها إلى إهمال الجانب الصالح في حياة من تحدثهم. تطالبهم بالتوبة،

---

[1] *On Ps. hom. 55*

وتسندهم بمديحهم في سلوكهم الورع من جهة عبادة الله الواحد.

تذكرت يهوديت ما حدث للشعب في أيام القضاة والملوك حين انحرفوا إلى العبادة الوثنية. فإن كان الشعب في أيام يهوديت لم يسقط في هذه الخطية الخطيرة، لكن ربما كان في طريقه للسقوط، فما سمح به الله من ضيق، ليس لهلاكهم، وإنما ليصرخوا إليه ويتجنبوا السقوط فيما سقط فيه آباؤهم.

فأُسلِمَ آباؤنا إلى السَّيفِ والنَّهب،
وسَقَطوا سُقوطًا عَظيمًا أَمامَ أَعدائِنا [١٩].

أَمَّا نحنُ فلم نَعرِفْ إِلهًا غيرَه.
ولذلك فإِنَّنا نَرجو أَنَّه لن يَزدَرِيَ بنا،
ولَن يُعرِضَ عن أُمتِنا [٢٠].

تحدثت يهوديت مع الشيوخ كمسئولين عن نفوس هذا الشعب، وتطلب منهم أن ينبهوه إلى غاية هذه الضيقة، وهي امتحانهم. فإن التصقوا بالله تزكوا أمامه، ونالوا بركات عظيمة. كأن الضيقة في حقيقتها فرصة يسمح بها الله لتزكية مؤمنيه الشاكرين له.

فإِن قُبِضَ علَينا قُبِضَ كذلك على اليَهودِيَّةِ كُلِّها،
ونُهِبَ مقْدَسنا،
وطالَبَ اللهُ دَمَنا بِتَدنيسِه [٢١].

وأَوقَعَ علىَ رُؤُوسِنا بَينَ الأُمَم،
(مسئولية) قَتْلَ إِخوَتِنا وسبي الأَرضِ ودَمارَ ميراثِنا،
فنخدم كعبيد.
ونصبِح مَعثَرةً وعارًا في أعين سادتنا [٢٢].

فإِنَّ عُبودِيَّتَنا لن تؤُولَ إِلى الحُظْوَة،
بل إِنَّ الرَّبَّ إِلهَنا يُحوِّلُها إِلى هَوان [٢٣].

والآن، يا إِخوَتي،
لِنُظهِرْ إِلى إِخوَتِنا أَنَّ نُفوسَهم معتمدةٌ علَينا،
وأَنَّ المكانَ المُقَدَّسَ والهيكل والمَذبَحَ مُعتَمِدَةٌ علَينا [٢٤].

كما سلكت يهوديت مع القادة بالحديث في صراحة كاملة عن خطأهم دون نسيان الجانب الطيب في حياتهم، طالبتهم بمساندة الشعب، ليدركوا أنهم كقادة سيحل بهم ما يحل بالشعب بل وأكثر، وأن الأمر يمس مدينة الله أورشليم والهيكل المقدس، فحتمًا ما يفعله أو يسمح به إنما بحكمة تمس شعبه وخدامه ومدينته وهيكله ومذبحه! هكذا يليق بالقادة أن يمتلئوا رجاءً وطمأنينة من جهة خطة الله، ليسكبوا هذا الرجاء في قلوب الشعب.

٤. يهوديت تكشف عن غاية التجربة

وبجانب ذلك كلّه،

فلْنَشكُرِ الرَّبَّ إلهَنا الَّذي يَمتَحِنُنا كَما امتَحَنَ آباءَنا [٢٥].

دفعت يهوديت التقية القادة ليحولوا تذمرهم ونوحهم إلى ذبائح شكر لله الصانع الخيرات، حتى حين يسمح لشعبه بتجربة تبدو مرة وقاسية. فالشكر لله هو مفتاح حلّ المشاكل واستدرار مراحم الله القديرة والفائقة للفكر البشري.

أُذكُروا كُلَّ ما صَنَعَه إلى إبْراهيم،

وكم امتحن إسحق.

وكُلَّ ما جَرى لِيَعْقوبَ في ما بَينَ النَّهرَين في سوريا،

حينَ كانَ يَرْعى خِرافَ لابانَ أخي أمّه [٢٦].

طلبت يهوديت من القادة أن يوجهوا أنظار الشعب إلى معاملات الله مع آبائهم، فقد سمح بتجربة إبراهيم لتزكيته ونموه الروحي.

ما قالته يهوديت كان نبوة تحققت حيث أنقذ الله شعبه في الوقت المناسب، وخلال هذه الأرملة التقية.

فإنه لم يمتحنا بالنّار

كَما امتَحَنَهم لِيَسبِرَ قُلوبَهم،

بلَ الرَّبُّ يُؤَدِّبُ الَّذينَ يَقتَرِبونَ مِنه إنْذارًا لَهم" [٢٧].

في هذه العبارات [٢٥-٢٧] تصحح يهوديت مفاهيم البعض الخاطئة والتي سقط فيها أصدقاء أيوب. فقد ظنوا أن كل تجربة هي ثمرة خطايا ظاهرة أو خفية، وإنها انتقام من قبل الله.

لقد أبرزت يهوديت أن المؤمنين يقتدون بإبراهيم، يقدمون الشكر وسط الضيق،

فيتزكون أمام الله. وإن كان الله يسمح بالضيق للمخطئين، فهو لا ينتقم بمفهومنا البشري، إنما يؤدب كإنذار لنا كي نرجع إليه. فالضيق يدفعنا إلى الشكر كما يحثنا على التوبة والرجوع إلى الله أبينا.

- ❖ لم تكن طبيعة بولس الرسول تختلف عن طبيعتنا؛ ولا نفسه مختلفة عن نفوسنا، ولا عاش في عالمٍ آخرٍ، بل سكن في نفس العالم والمدينة وخضع لنفس القوانين والعادات، لكنه فاق في الفضيلة كل البشر في الماضي والحاضر. الآن، أين هؤلاء المعترضين على صعوبة الفضيلة وسهولة الخطية؟ فهذا الرجل يدينهم بكلماته: "**لأن خفة ضيقاتنا الوقتية تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبديٍ**" (٢ كو ٤: ١٧). فإن كانت ضيقاته محتملة وخفيفة، فكم بالحري ضيقاتنا التي إن قارنتها بضيقاته صارت كلا شيء أو مجرد لذّات؟...

احتضن بولس الآلام بمحبة بلا مُقابل، وتحمّل بكل فرحٍ ما اعترضه من صعوبات وعوائق في طريق الفضيلة. فلم يتضايق من ضعف الجسد أو ضغوط المسئولية أو بطش العادات، ولا من أي شيءٍ آخر. علاوة على ذلك فاقت مسئولياته كل مهام القادة والملوك، لكنه كان يزداد في الفضيلة يوميًا. وصار **ازدياد المخاطر سببًا في التهاب غيرته بالأكثر، فقال: "أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام" (في ٣: ١٣).**

عندما اقترب منه الموت، دعا الجميع لمشاركته هذا الفرح، قائلاً: "وبهذا عينه كونوا أنتم مسرورين أيضًا، وافرحوا معي" (في ٢: ١٨). **فكان يتهلل فرحًا في الضيق والألم وفي كل مذلةٍ.** كتب إلى أهل كورنثوس: "لذلك أُسر بالضيقات والشتائم الضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح" (٢ كو ١٢: ١٠). ودَعا ذلك أذرع العدالة، موضّحًا أنها مصدر مثمر لفائدته، فصار لا يُهزَم أمام أعدائه. وبالرغم من الضرب والاضطهاد والشتم كان كمن في عرسٍ مبهجٍ، مُصحِحًا الكثير من مفاهيم النصرة، متهللاً فرحًا، شاكرًا الله بقوله: "ولكن شكرًا لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين" (٢ كو ٢: ١٤)[1].

- ❖ عندما يحل بنا أمر ما لم نكن نتوقعه، لا نتذمر ولا تخور قلوبنا، بل نتحمل الله الذي يعرف هذه الأمور بدقةٍ، حتى يمتحن قلوبنا بالنار كيفما يُسر، إذا يفعل هذا بهدفٍ لفائدة

---

[1] في مديح بولس: عظة ٢.

المجربين، لذلك يوصينا الحكيم قائلاً بأن نخضع لله في كل الأمور، لأنه يعرف تمامًا متى يخرجنا من فرن الشر. (حكمة يشوع ١ :١، ٢)

نخضع له على الدوام، ونشكره باستمرار، محتملين كل شيءٍ برضا، سواء عندما يمنحنا بركات أو يقدم لنا تأديبات. لأن هذه الأخيرة هي نوع من أنواع البركات[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تُذكِر الأحزان الإنسان العاقل بالله، أما إذا نسى الإنسان الله فإنه يغتم بسبب الأحزان.

❖ ليعلمك كل ضيق طارئ أن تتذكر الله، ولا تُحرم قط من وجود باعث لك على التوبة.

القديس مرقس الناسك

٥. عزيا يطلب صلوات يهوديت

فقالَ لَها عُزيًّا: كُلُّ ما قُلْتِه تَكلَّمتِ بِه بقَلْبٍ طَيِّب،
وما مِن أَحَدٍ يُعارِضُ كَلامَكِ [٢٨].

تجلى عمل الله في حياة يهوديت في كلماتها التي كان لها فاعليتها على الشيوخ، فامتلأوا سلامًا داخليًا وراحةً صادقة.

لأَنَّ حِكمَتَكِ لم تَظْهَرْ في هذا اليَوم فَقَط،
بل مُنذُ أَوَّلِ أَيَّامِكِ عَرَفَ الشَّعبُ كُلُّه ذَكاءَكِ
وحُسنَ ما يَتَصَوَّرُه قَلبُكِ [٢٩].

شعر عُزيًّا رئيس المدينة بالمهابة التي للأرملة يهوديت، وتأثر بكلماتها وحكمتها وتقوها، وأن ما تفعله الآن إنما هو امتداد لحياة تقوية عاشتها منذ صباها وربما منذ طفولتها، من أيامها الأولى.

لكِنَّ الشَّعبَ عَطِشَ عَطَشًا شَديدًا،
وأَرغَمَنا على العَمَلِ بِمَا وَعَدْنا به،
وعلى إِلْزامِ أَنْفُسِنا بِقَسَمٍ لن نَنقُضَه [٣٠].
والآن فصَلِّي لأَجلِنا،

[1] يسوع والمفلوجان: للقديس يوحنا الذهبي الفم، ترجمة القمص تادرس يعقوب ملطي، ١٩٦٦، ص ٣٥ الخ.

فإنّكِ امرأةٌ تقيّة،
فيُرسِلَ الرَّبُّ مطرًا يَملأُ آبارَنا،
فلا تَخورَ عَزائمُنا من العطشِ بَعدَ اليَوم" [٣١].

شعروا أنها مرسلة من الله، فعرضوا عليها موقفهم الحرج، لا ليبرروا خطأهم، وإنما لكي تصلي لأجلهم.

كانوا يظنون أن الحلّ هو في نزول أمطار تملأ الآبار التي في داخل المدينة، فلا يخور الشعب، ولم يكن أمامهم بديل آخر.

٦. يهوديت تبدأ خطة العمل

فقالَت لَهم يَهوديت: اِسمَعوا لي،
سأصنعُ عَمَلاً يَبلغُ ذِكرُه بَني نَسلِنا مِن جيلٍ إلى جيل [٣٢].

التزمت يهوديت بالعمل مع الصلاة والتقوى، وقد تدربت على الحياة السرية في علاقتها مع الله، لذلك لم تكشف للشيوخ أسرار خطتها، إنما اكتفت بالحديث بالقدر الذي فيه يمكنها الخروج من المدينة ودخولها دون مساءلة من حراس الأبواب. كما طلبت السرية التامة، فلا يفصحوا لأحدٍ عن دورها.

أكدت لهم هذه الأرملة التقية أنها لم تستدعهم لتنتقدهم، وإنما وهي تتكلم بالحق الإلهي ستقوم بعملٍ هام يذكره التاريخ مع تأكدها بالإيمان أن الخلاص قادم قبل حلول الموعد الذي حددوه لله.

❖ يا لعظمة قوة فضيلتها، أنها امرأة يلزمها أن تقدم مشورة في أخطر الأمور وتتركها في أيدي قادة الشعب! مرة أخرى يا لعظمة قوة فضيلتها أن تثق في الله أن يعينها! يا لعظمة النعمة أن تجد معونة الله[1]!

القديس أمبروسيوس

في هذه اللَّيلَة، أنتُم تَقِفونَ على الباب،
وأنا أخرُجُ مع وَصيفَتي،
وقَبلَ الأيَّامِ الَّتي وَعَدتُم فيها بِتَسليمِ المَدينةِ إلى أعدائِنا،
يَفتَقِدُ الرَّبُّ إسرائيلَ عن يَدي [٣٣].

---

[1] *Duties of the Clergy, Book 3: 13: 85.*

لا تَسألوني أنتُم عن تصرُّفي،

لأنّي لن أقولَ لكم شيئًا قَبلَ أن يتمّ ما أنا سافعله" [٣٤].

لقد طلبت يهوديت التزامهم بالسلوك اللائق بالإيمان الحيّ، كما طلبت صلواتهم وبركتهم لها، دون أن يفحصوا ما ستفعله.

إنها تعمل عملاً لم يقم به أحد غيرها، لكنها تعمل خلال الكنيسة وتحت مظلتها.

فقالَ لَها عُزيّا والشُّيخان:

"اذهَبي بِسَلام، والرَّبُّ الإلهُ يتقدمك في الانتِقام مِن أعدائنا" [٣٥].

ثُمَّ غادَروا المسكن،

وانصَرَفوا إلى مَراكِزِهم [٣٦].

ذُهل الشيوخ من حكمة يهوديت وتقواها وشجاعتها وإيمانها وأيضًا من تواضعها. انصرفوا إل مراكزهم وهم في يقين أن الله هو الذي يقودها لتعمل حسب إرادته الصالحة. وربما انطلقوا ليصلوا أيضًا من أجلها كطلبها.

من وحي يهوديت ٨

لقاء في مخافة الرب!

❖ سجلٍ التاريخ بل وكلمة الله والسماء هذا اللقاء العجيب.

لقاء قادة مملوءين غيرة متقدة.

شعارهم العمل بروح الجماعة في تواضع أمام الله!

❖ لم يكن لقاءً لمجادلات باطلة،

ولا ليلقي كل منهم باللوم على الآخرين.

إنه لقاء الحب الأخوي الباذل والعامل.

لقاء دستوره الإيمان بعمل الله وطلب مشورته.

❖ لقاء ساده روح الصراحة دون مجاملات كاذبة.

لقاء ساده روح مخافة الرب الحقيقية.

❖ تحدثت يهوديت التقية بروح القوة،

لكن بوقارٍ وتقدير لهم في غير عجرفة ولا مداهنة.
دستورها الإيمان بالله، وتذكّر معاملاته والتمسك بوعوده.
غاية حديثها لا الهروب من المسئولية،
بل الرغبة في العمل خلال روح الجماعة.

❖ حوّلت الضيقة إلى دعوة للشكر لله محب البشر.
ودفعت القادة للحث على التوبة على مستوى كل الجماعة.
لم تتجاهل مَرارة الضيق والألم،
لكنها كشفت عن غاية التجربة،
أنها دعوة للالتصاق بالله!
دعوة للشكر لمحب البشر!
دعوة للتوبة عن الخطايا!
دعوة للعمل الجماعي،
لكل مؤمنٍ دوره الإيماني العملي!
دعوة للصلوات المتبادلة،
كل يسند الآخرين برفع قلبه إلى إله الجميع!

الأصحاح التاسع

صلاة يهوديت الأولى

صرخت يهوديت إلى إلهها لكي يعينها على إنقاذ شعبها من أليفانا الذي عيَّر الله الحيّ، وأراد أن ينجس ابنة صهيون ويذلها، كما فعل شكيم بدينة (تك ٣٤: ٣٠). كما تذكرت أباها شمعون الذي – في نظرها – قد غار مع أخيه لاوي على أختهما دينة.

لقد تطلَّعت إلى شعبها بكونه العذراء الروحية التي خطبها الرب له عروسًا روحية، وأراد أليفانا أن ينتزعها من عبادة الله الحيّ، ويلزمها بالعبادة الوثنية ورجاساتها.

كما تطلعت إلى نفسها بكونها الأرملة التي ترمَّلت منذ صباها ولم تكن قد أنجبت أطفالاً، وأصرَّت على تكريس حياتها للرب، فصارت أشبه بدينة ابنة يعقوب العذراء. وقد جاءت النسخة العبرية المختصرة تدعو يهوديت عذراء وليس أرملة[1]. هذا وبلدها بيت فَلْوى *Betulia* تتشابه مع الكلمة العبرية التي تترجم بتولاً.

١. صراخ وانسحاق	١.
٢. الله ضابط الكل	٢-٦.
٣. أشور يتكبر على الله	٧-١٠.
٤. يَهوديتُ تطلب قوة من معين المظلومين	١١-١٤.

١. صراخ وانسحاق

عندئذٍ انطرحت يَهوديتُ على وجهِها،
ووضعت رَمادًا على رأسِها،
وكشفت عن المسْحَ الَّذي كانَت تَرتَديه،
وكان وقت تَقدمة بَخورِ المساءِ في بَيتِ اللهِ في أورَشليم.
وصرَخَت يَهوديتُ صُراخًا عَظيمًا إلى الرَّبِّ وصلَّت: [١]

[1] *TCE, 555. On the other hand any thinking person can `empathise' with someone in need of some kind of help. There is really no advantage of being a virgin other than being more independent while at the same time lacking normal human company. Men and women were created for each other, not to remain celibate. One cannot worship God better by remaining celibate, for the other celibate person next to you becomes your unnatural `partner' and you still are not alone.*

في وقت تقديم البخور في الهيكل (خر ٣٠: ٨؛ مز ١٤١: ٢)، ألقت بنفسها على الأرض في تذللٍ شديدٍ وصراخٍ عظيمٍ، وكأنها طلبت أن تأخذ من الله إشارة للبدء في العمل لحساب شعبه.

يرى البعض أن يهوديت لم ترتدِ المُسح أثناء لقائها مع شيوخ المدينة، لكي لا تحمل مظهر الحزن، فقد أرادت أن ترفع من روحهم المعنوية، بأنها تثق في خلاص الله لشعبه. ارتدت المُسح بعد خروجهم مباشرة للتذلل أمام الله، وإذ حلّ وقت بخور المساء حيث تُرفع الصلوات وتقدم ذبيحة باسم الشعب كشفت عن المسح، وانطرحت تصرخ إلى الله بنفسٍ مرة.

يا لحكمتها العجيبة! أمام الله تتذلل لينظر إلى مذلتها وانسحاقها، وأمام قادة الشعب تبرز رجاءها في خلاص الله حتى لا تتحطم نفسياتهم، وبالتالي لا تتحطمَ نفسية الشعب.

الرجاء المفرح يكمل بروح التواضع والانسحاق أمام الله، والتواضع الحقيقي يتزين بالفرح بالرب والثقة في عمله معنا وبنا.

❖ لا النسك ولا الأسهار ولا أي نوع من الألم يمكن أن يخلص. التواضع الحقيقي هو وحده يقدر!

أحد آباء البرية

❖ عندما تبتهج بإنسان في الله، تتمتع بالله لا بالإنسان. تتمتع بالله الذي به تصير سعيدًا، وتُسرّ أن تأتي إليه، الذي تضع رجاءك في حضرته فرحًا[1].

القديس أغسطينوس

❖ لا تضجر، بل افرح وابتهج بالرجاء الموضوع لك[2].

القدِّيس يوحنا التبايسي

❖ لأن المتمرد، خصمنا، يحارب بالكبرياء، ويريد أن ينتصر بالتعالي بغيًا، قدم لنا ملكنا المنتصر سلاح التواضع.

بدون قوة التواضع التي لا تُقهر لا ينتصر أحد.

بالتواضع ينحني كبرياء المخادع، ويجعله مداسَ أرجل الودعاء المسالمين.

أنظر كيف شق آباؤنا الجبابرة لنا الطريق، فلبسوا التواضع، حلة المسيح، وكيـف

---

[1] *On Christian Doctrine 33.*

[2] دير السيدة العذراء - السريان: الأباء الحاذقون في العبادة، ج ٢، ١٩٥٢م، ص ١٨٥.

أنهم غلبوا الثلاّب (إبليس)، وربطوه بقيود الظلمة[1].

الشيخ الروحاني (يوحنا الدّيلتي)

٢. الله ضابط الكل

"أيُها الرّبُ، إلهُ شمعونَ أبي،
يا مَن سلّمتَه سيفًا لينتقمَ مِن غُرباءَ حلّوا إزارَ العذراءَ لتدنيسها،
وعرّوا فخذَها لخزيها،
ودنّسوا جسمها لهوانها.
لأنّكَ قلتَ: لا يكونُ كذلك،
ولكنّهم فعلوا [٢].

في صلاتها تدعو يهوديت الله: "إله شمعون أبي"، وكما يقول العلامة أوريجينوس إن كان الله هو إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، فهو إله أبيها شمعون أيضًا[2].

يريد الله أن يدخل في علاقة شخصية مع كل إنسانٍ ومع كل أسرةٍ ومع كل كنيسة، فيصرخ المؤمن: "يا الله إله آبائي"، أو "إله أبي"، الذي عمل مع الأجيال السابقة، ويبقى يعمل مع كل مؤمنٍ اليوم إن التصق به وطلب نعمته ومعونته.

لقد اشترك شمعون مع لاوي في الانتقام من بني شكيم بسبب إهانتهم دينة أختهما، بالاعتداء عليها، مما تسبب عنه غضب أبيهما يعقوب عليهما (تك ٣٤: ٣٠؛ ٤٩: ٥-٧). غير أن يهوديت تمتدح أبيها، لا على أعمال القتل والغدر التي قام بها، وإنما على غيرته على أخته البتول، فأرادت أن تحمل ذات الغيرة، لكن ليس بدون مشورة كما فعل شمعون، وإنما بمشورة أبيها السماوي، الله نفسه، ومباركة شيوخ الشعب.

لذلكَ أسلمتَ رؤساءَهم إلى القتْل،
ومَضجَعُهمُ المَخزيُ بخداعِهِم تلطخ بالدَّم،
وضرَبتَ العَبيدَ إلى جانبِ سادتهم،
والسادةَ على عروشهم [٣].

اعتدى شكيم على دينة، وظن حمور والده أن الزواج صفقة تجارية، يستطيع

---

[1] رسالة ٥١ (ملحق ٤).

[2] *On St. John, AN Frs, Volume 10, p.336.*

بأرضه وماله أن يقتني دينة زوجة لابنه. طلب شمعون ولاوي من حمور أن يختتن هو وابنه وكل رجال المدينة، حتى يحق لهم الدخول معهم في مصاهرات، ويصير الكل عائلة واحدة. وإذ اختتنوا استل شمعون ولاوي سيفيهما وقتلا كل المختونين في اليوم الثالث، وأخذا دينة أختهما من بيت شكيم وخرجا. هكذا تلطخت المدينة بالدم.

وأسلَمتَ نِساءَهم فريسةً،
وبَنَاتِهم إلى السَّبْيِ،
وجَميع غنائمهم إلى اَقتِسامِ البَنينَ المَحْبوبينَ إليك،
الَّذينَ غارُوا غَيرتَكَ،
ومَقَتوا نَجاسةَ دَمِهم واَستَغاثوا بِكَ.
اللَّهُمَّ، يا إلهي استَمِع لي أيضًا أنا الأَرْمَلة [٤].

إن كان أبوها شمعون قد غار على أخته دينة التي أذلها شكيم بن حمور، فإنها تتطلع إلى شعبها بكونها دينة الطاهرة المقدسة للرب، وهوذا أشور يريد أن يفسد إيمانها، ويلزمها بعبادة الملك الذي يحسب نفسه إله الأرض كلها؛ ويسمح للأشوريين أن يعتدوا على النساء والأرامل ويفسدوا طهارتهن.

أيا كان تقييم تصرف شمعون ولاوي، فإن الله سمح بقتل شكيم ورجاله لأنه اغتصب عذراء مقدسة، وظن والده أن يعالج هذا الأمر بتعويضٍ مادي.

ما يشغل قلب الله القدوس أن يلتزم الكل بالحياة المقدسة.

رأت يهوديت المملوءة غيرة على قداسة شعب الله أن ما يفعله أليفانا بشعب الله إنما على نمط ما فعله شكيم بدينة، الأمر الذي لا يُعالج بمشاورات وعهود مادية.

قداسة شعب الله والمدينة المقدسة وهيكل الرب والعبادة لله لا يمكن تقديرها بأية مفاوضات مع أليفانا!

فأنت صنَعتَ أحْداثَ الماضي هذه، والحاضِرِ، والمُستَقبَل،
وعيَّنتَ الحاضِرَ والمُستَقبَل [٥].

إذ تطلب التدخل الإلهي لا تنسى يهوديت أن تشكر الله على معاملاته مع شعبه في الماضي، وأنه لا زال يعمل في الحاضر، وتؤمن أنه سيعمل في المستقبل، فهو إله كل الدهور الدائم العمل لحساب مؤمنيه. تقدم ذبيحة شكر وتسبيح من أجل أعماله السابقة

والحاضرة والتي يفعلها في المستقبل.

كأنها تمجده بكونه العامل بلا انقطاع، وتطلب منه أن يهبها أن تعمل هي لا بقدرتها وحكمتها البشرية، بل بنعمته وتحت قيادته.

عندما جاء السيد المسيح كلمة الله المتجسد ليتمم الخلاص قال: "أبي يعمل حتى الآن، وأنا أعمل" (يو ٥: ١٧). الله العامل يدفعنا أن نعمل على الدوام، وكما يقول يعقوب الرسول: "فمن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل، فذلك خطية له" (يع ٤: ١٧). ويقول الرسول بولس: "الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل مسرته" (في ٢: ١٣). كما يقول: "يسوع المسيح هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد" (عب ١٣: ٨). إنه رئيس الكهنة السماوي الذي عمل في آبائنا، ولا يزال يعمل لحسابنا، ويبقى عاملاً إلى الأبد حتى يدخل بالكنيسة كلها إلى مجده الأبدي.

وما عينتَه تحقق،
وما أرَدتَه كانَ،
فقال: هأنذا".
فإنَّ طُرُقَكَ جَميعَها مُهَيَّأة مقدمًا،
وحُكْمكَ حُكم سبق فعرفته [٦].

ترى يهوديت أن ما يحدث مع شعبها ليس بالأمر الغريب، فكثيرًا ما تعَّرض الشعب للضيقات، خاصة للهجمات العسكرية من الوثنيين عبر التاريخ. وقد سمح الله بذلك لكي يلجأوا إليه، ويدركوا الإمكانيات الإلهية القادرة على الخلاص بالرغم من ضعفهم (مز ٣٣: ١٦).

ما حدث قبلاً كان بسماحٍ منه، وعندما تتحقق النصرة تقف النصرة ذاتها لتقول لله "هأنذا". ما كنت تريده قد تحقق بالفعل.

إن كل ما يحث في التاريخ ليس جزافًا أو نتيجة ظروف طارئة، فكل شيء معروف لدى الله، ويحول كل الأمور لتخدم إرادته المقدسة وصلاحه.

هذا يعطي المؤمن كما الكنيسة طمأنينة وسلامًا وسط الضيق.

هذا ما أكده السيد المسيح عند حديثه عن الأحداث المؤلمة التي تسبق مجيئه الثاني، إذ يقول: "لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة، ويعطون آيات عظيمة وعجائب، حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضًا. ها أنا قد سبقت وأخبرتكم" ،مت ٢٤: ٢٤-٢٥).

٣- أشور يتكبر على الله

ها إنَّ الأشوريين قد تَباهَوا بِجَيشِهم،

وافتخروا بخيولهم وفُرْسانِهم،

وتَكبروا بِذراعِ مُشاتِهم،

ووضعوا رجاءهم في التُرسِ والرُمْحِ والقَوسِ والمِقْلاع،

ولم يَعرفوا أنَّكَ أنتَ الرَّبُّ المُحَطِّمُ الحُروب [٧].

تعود يهوديت بذاكرتها إلى فرعون الذي كان معتزا بجيشه؛ ومفتخرًا بفرسانه ومركباته، ومتكلاً على أسلحته، فقاوم الله نفسه قائلاً: "من هو الرب حتى أسمع لقوله؟!" (خر ٥: ٢).

❖ لنتواضع كي نرتفع. فإن التشامخ يذل الإنسان تمامًا. هذا أذل فرعون. إنه يقول: "لا أعرف الرب"، فصار أدنى من الحشرات والجراد، وبعد ذلك غرق بجيشه ذاته وخيله في البحر. وعلى العكس إبراهيم يقول: "أنا تراب ورماد، فانتصر على برابرة لا حصر لهم؛ وعندما سقط بين المصريين عاد يحمل نصرة أكثر مجدًا عما كان عليه، وإذ التصق بهذه الفضيلة نما أكثر فأكثر إلى الأعالي[١].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يرى القديس جيروم في فرعون المتشامخ بجيشه ومركباته رمزًا لإبليس وقواته إذ يقول: [نحن الذين تركنا فرعون، فلنطلب عون الرب، حتى يغرق الملك المصري في معمودية المؤمنين. لتهلك خيوله وفرسانه هناك. ليتحطم الجيش الثائر الذي للعدو. ليتنا لا نتذمر على الرب لئلا يحطمنا[٢]].

❖ فرعون وجيشه وكل قادة مصر "المركبات وركّابها" غرقوا في البحر الأحمر، وهلكوا لا لسبب سوى أن قلوبهم الغبية صارت قاسية، بعد صُنع الآيات والعجائب في أرض مصر بواسطة خادم الله موسى[٣].

القديس يوحنا الذهبي الفم

الرَّبُّ هو اسمكَ أنتَ،

---

[1] *On Matthew, homily 65: 6.*

[2] *Homily 90 (Fathers of the Church, vol. 57. p.234).*

[3] *Letter to the Corinthians, 51.*

إسحقْ عُنفَهم بقُدرَتكَ،
وحطِّمْ قُوَّتَهم بغَضَبكَ،
لأنَّهم أرادوا أن يُنَجِّسوا مَقْدِسكَ،
ويُنَجِّسوا خَيمةَ راحةِ اسمكَ المَجيد،
ويَهدِموا بالسيفِ قَرنَ مَذبَحِكَ [٨].

تطلب يهوديت من القدوس أن يتدخل لا من أجل برّها، ولا لأن الشعب لم ينحرف إلى العبادة الوثنية، وإنما لأجل اسمه القدوس ومدينته المقدسة وهيكله ومذبحه. لقد عرفت يهوديت أن قوة شعبها في التصاقه باسم الله القدوس، وتمتعهم بالمدينة المقدسة والهيكل المقدس ومذبح الله المقدس. هكذا يليق بنا أن نصرخ في كل يوم: "ليتقدس اسمك"، طالبين أن يقدس هيكله القدوس فينا.

أُنظُرْ إلى تشامخهم،
وأرسِل غَضَبَكَ على رُؤُوسِهِم،
وامنَحْ يَدَ الأَرمَلَةَ أن تتمم ما أدبره [٩].

أما الجانب السلبي الذي تعرضه يهوديت أمام القدوس القدير فهو كبرياء العدو وتشامخه على الله نفسه، فهي تطلب ليديها القوة الإلهية، لكي يغير الله على العدو المتشامخ، بإعلان قدرته ومجده في يدي أرملة تنتسب إليه.

اِضرِبْ بخداعِ شَفَتَيَّ العَبدَ بجانِبِ الحاكم،
والحاكم بجانِبِ خادِمه.
واسحَق كبرياءهما بيَدِ امرَأة [١٠].

تعترف يهوديت أنها تنطلق للعمل بشفتين ماكرتين لقتل العدو الماكر، ولعله ما كان يمكنها النطق بهذا وطلب معونة لمساندتها لو لم تكن قد تمتعت بإعلانٍ إلهي بطريق أو آخر لكي تتحرك نحو هذا العمل، بالرغم من ضعفها. إنها لا تقف عند نوالها إمكانية إلهية للبدء في العمل فحسب، وإنما تطلب أن يرافقها كل الطريق وحتى نهايته.

٤. يَهوديتُ تطلب قوة من معين المظلومين

لأنَّ قُوَّتَكَ لَيسَت بالكَثرَة،
ولا قُدرَتَكَ بالناس الأقوياء،

بل أَنْت إِلهُ المتواضعين،

ومُعِينُ المظلومين، ونَصِيرُ الضُعَفاء،

وحامي المنسيين،

ومُخلِّصُ الذين بلا رجاء [١١].

تصلي يهوديت لله كي يسندها لا كمقاتلة، وإنما كأرملة ضعيفة فهو حليف الضعفاء.

في صلاتها مجدت يهوديت إلهها الذي لا يعتمد على القوة البشرية والسلطان الزمني، فهو لا يهتم بالعدد ولا القدرة الزمنية. إنه إله المتواضعين، وسند المتضايقين، ونصير الضعفاء، والمدافع عن المتروكين، ومخلص الذين لا رجاء لهم. هذا ما يؤكده الكتاب المقدس:

"الرب مجري العدل والقضاء لجميع المظلومين" (مز ١٠٣: ٦).

"المجري حكما للمظلومين، المعطي خبزا للجياع، الرب يطلق الأسرى" (مز ١٤٦: ٧).

"ثم رجعت ورأيت كل المظالم التي تجرى تحت الشمس، فهوذا دموع المظلومين، ولا معزٍ لهم، ومن يد ظالميهم قهر، أما هم فلا معزٍ لهم" (جا ٤: ١).

"أنقذ المظلوم من يد الظالم، ولا تكن صغير النفس في القضاء" (سيراخ ٤: ٩).

"لا يحابي الوجوه في حكم الفقير، بل يستجيب صلاة المظلوم" (سيراخ ٣٥: ١٦).

"لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين، إذ لا معين له" (مز ٧٢: ١٢).

"يشفق على المسكين والبائس، ويخلّص أنفس الفقراء" (مز ٧٢: ١٣).

❖ هذا هو دوره، هذا هو طبعه، هذه هي سمة الله الخاصة، أنه لا يتجاهل المتضررين، ولا يترك المحزونين، يرفع يده لصالح الذين هم ضحايا المتآمرين، ويفعل هذا على الدوام[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ذاك الذي يغلب القتّال (إبليس) ويدخل إلى بيت القوي يربطه ويسلب آنيته (مت ١٢: ٢٩)، يخلص الفقير والمسكين. لأنه ليس بفضيلة أحد يتحقق هذا ولا بواسطة أي إنسان بار ولا بأي ملاك. فإنه حيث لا يوجد معين، يخلصهم هو بمجيئه.

القديس أغسطينوس

---

[1] *On Ps. 146.*

نعم، يا إلهَ أبي،

وإلهَ ميراثِ إسْرائيل، ربَّ السماء والأرض.

وخالِقَ المياه،

وملكَ خليقتكَ كلِّها،

استَجِبْ لِصَلاتي [١٢].

لم تستعرض يهوديت في صلاتها برّها وتقواها، بل أبوة الله وحبه ورعايته لأبيها شمعون ولكل الشعب، وتدعوه رب السماوات والأرض وخالق المياه. وكأنها تشهد أنها وإن طلبت من أجل شعبها، فهو منتسب لله، وإن سألت عن ما حلّ بالشعب من ظمأ، فهو وحده خالق المياه. إنه الملك القدير على الخليقة كلها، في يديه شعبه، ينجيه من سلطان العدو الذي يسخر بالله.

وهَبْ لِكلامي المخادِع أن يَجرَحَ ويُؤلِمَ

أولئكَ الَّذينَ دبَروا المُؤامرات القاسِيةَ على عَهدِكَ وبَيتكَ المُقدَّس

وجبل صِهيُون والبَيتِ الَّذي يَملكُه أبناؤكَ [١٣].

أرادت يهوديت أن يستخدمها الله للشهادة له أمام الأمم الذين يتآمرون على عهد الله وبيته المقدس وشعبه. تطلب أن يسند كلماتها بقوته، فليس من إمكانية لتحقيق الخلاص إلاّ به.

تعترف التقية يهوديت أنها قد وضعت في قلبها وفي خطتها أن تخدع أليفانا، وقد طلبت من الله أن يستخدم كلماتها لجرح المقاومين لشعبه، والعاملين على تحطيم العهد الذي بين الله وشعبه، وتحطيم البيت المقدس وجبل صهيون.

وهَبْ لكُلِّ أُمَّةٍ وكُلِّ عَشيرةٍ أن تَعرِفَ أنَّكَ أنتَ الإله،

إلهُ كُلِّ قُدرَةٍ وكُلِّ قُوَّةٍ،

وأن لَيسَ لِنَسْلِ إسرائيلَ مِن حامٍ سِواكَ وحدكَ" [١٤].

ما يشغلها هو مجد الله حتى وسط الأمم الوثنية، ليدرك البشر أنه الله القدير مخلص شعبه ومؤمنيه.

من وحي يهوديت ٩

من يرعاني سواك؟

❖ عجيب أنت في رعايتك يا محب كل البشرية.
لا تكف عن أن توصينا بكل الفئات المتألمة!
لا، بل وتحسب نفسك إله كل نفس منكسرة!
أنت أب اليتيم، الذي لا يجد أبًا يحتضنه.
أنت قاضي الأرملة، التي لا تجد من يعولها ويسمع لها.
أنت نصير المظلوم الذي يتخلى الكل عنه.

❖ أنت عين الأعمى، تفتح بصيرته، فيراك تقوده.
أنت أذن الأصم، الذي لا يسمع كلمة عذبة من إنسان!
أنت ملجأ من لا مأوى له.
أنت سلاح النفوس المنهارة.
أنت كل شيء لمن يلجأ إليك!

❖ لك المجد، يا راعي المنسيين، ورافع المنحدرين!
لك التسبيح، يا واهب الرجاء لليائسين.
لك الشكر، يا مفرح كل قلبٍ حزينٍ.

❖ احملني على منكبيك،
فأنت تعرف كل ضعفاتي!
أرني وجهك، فأشبع وارتوي من حبك!
اجذبني إليك، فاحتضن كل إخوتي ونسرع معًا إليك!
تبقى كل أحشائي تئن حتى تراك وجهًا لوجهٍ!

الأصحاح العاشر

تحرك يهوديت للعمل

يصعب أن نحدد بدء نقطة العمل في حياة يهوديت لإنقاذ شعبها، فإنه كان يحتل قلبها بكونها تشتاق إلى خلاصهم الأبدي. لا تنفصل حياتها التقوية بكل صورها عن خدمتها القلبية لشعبها، فهم موضوع صلواتها ونسكها وكل وسائل عبادتها.

تحرك قلبها عندما سمعت بما يود أن يفعله أليفانا (هولوفرنيس) بالشعب والمدينة والهيكل. وتابعت صرخات رئيس الكهنة وكل القادة، وشعرت بالمُر الذي عانى منه كل الشعب بسبب نقص الماء. تابعت ثورتهم وموقف عُزيًّا، وفي صراحة وبروح الإيمان تحدثت مع القيادة بضرورة الالتجاء إلى الله، وطلبت صلواتهم عنها. ومع الغروب قامت بالصلاة، وربما امتدت إلى نصف الليل. والآن وضعت في قلبها أن تتحرك نحو قتل أليفانا الذي يقوم بدور ضد المسيح، والذي يدفع العالم كله للعبادة لآسرحدون أو نبوخذنصر بكونه إله الأرض كلها.

وضعت في قلبها أن تلتقي به بأية وسيلة، هذا الذي أُعجب بجمالها الفائق (الأصحاحان ١٠ و١١). لقد وهبها الله نعمة أمام كل من رآها من رجال جيشه، حتى تتمم ما وضعته في قلبها من جهة خلاص شعبه.

تظاهرت أنها هربت من وسط شعبها لتخبر القائد عن أسرار العبرانيين، فلا يهلك أحد من جيشه. وأن ساعة غضب الله على شعبه قد اقتربت جدًا. طلبت منه أن يبقيها عنده ثلاثة أيام تخرج وتدخل لتصلي، حتى يخبرها الرب عن لحظات انهيار العبرانيين دون الدخول معهم في حرب.

١. يَهوديتُ تلَبس ثِيابَ فَرَحِها ١-٨.

٢. يهوديت تخرج إلى طَلائعُ الأشوريين ٩-١١.

٣. يهوديت أمام خيمة أليفانا ١٢-١٩.

٤. يهوديت تسجد أمام أليفانا ٢٠-٢٣.

١. يَهوديتُ تلَبس ثِيابَ فَرَحِها

وكانَ، لَمَّا كفَّت مِن صُراخِها إلى إلهِ إسرائيل،

وانتهت من هذا الكلام كلّه [١]

التحفت يهوديت بروح القوة خلال الصلاة وتسليم الأمر بين يدي الله، والآن قد حانت الساعة لتترك بيتها وعلّيتها وتنطلق مع وصيفتها للعمل. فإن كانت قد أغلقت أبواب حجرتها لتتعم بالعشرة الحيّة مع الله، فإن أبواب قلبها مفتوحة على إله السماء وعلى شعبها.

أنّها قامت من انطراحها،

ودعت وصيفتها،

ونزلت إلى البيت الّذي كانت تقضي فيه السبوت وأعيادها [٢].

وقفت أمام الله بروح الانسحاق والتواضع لتتزين به، خاصة وأنها قادمة على عملٍ خطير لا يمكن تحقيقه إلا بتدخل الله.

قام جسدها من السجود حتى الأرض، وبقيت روحها ساجدة أمام الله، تصرخ بكلمات لا يستطيع أن يسمعها أحد سوى "سامع الصلوات"، الساكن في السماء، والذي يميل ليسمع تنهدات أولاده.

"دعت وصيفتها": لا نعرف عن وصيفتها شيئًا، ولا حتى اسمها، لكنها كانت تحمل روح يهوديت التقية، تشاركها مشاعرها وتجد سعادتها في العمل معها.

لم تكن يهوديت تعيش في بيتها سوى أيام السبوت والأحاد، أما بقية أيام ترملها فكانت تعيشها في العلية تتعبد لله.

يقول الكتاب **"أعيادها"**، ناسبًا الأعياد إليها، فمع نسكها الشديد وحزمها في حياتها، لكنها كانت متهللة في داخلها، فتمارس الأعياد كأنها قد وُضعت خصيصًا لها، لتمارس فرحها بالرب، وتختبر عربون الفرح السماوي.

وألقت عنها المسحَ الّذي كانت ترتديه،

وخلَعَت ثيابَ ترمّلِها،

واستحمَّت بالماء، ودَّهَنَت نفسها بِطيبٍ ثمين،

وسرَّحَت شَعرَها،

وجَعَلَت عَليه عصابةً،

ولَبِسَت ثِيابَ فَرَحِها الّتي كانَت تتَزَيَّنُ بِها في حياة منَسَّى زَوجِها [٣].

ألقت يهوديت عنها المسوح التي كانت ترتديها وثياب ترملها وتطيبت ولبست ثياب

فرحها. وكأنها قد انطلقت في عملها لتمارس عمل المسيح خلال الرمز والظل. أو كأنها قد انطلقت لتحمل في قلبها عريسها السماوي. لقد قبلت من الروح القدس ثياب برّ المسيح، خرجت لتنعم بحفل عرسها على المستوى السماوي.

إن كانت قد غيّرت ثياب ترملها، ونزعت المسوح، لكنها احتفظت بحياتها الداخلية المقدسة المملوءة احتشامًا.

❖ صممت على الصوم كل يومٍ ماعدا السبت ويوم الرب وأزمنة الأيام المقدسة (الأعياد)، ليس رغبة في الانتعاش (بالطعام)، وإنما من أجل التقوى. فقد قيل: "فإن كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئًا، فافعلوا كل شيء لمجد الله" (١ كو ١٠: ٣١). فحتى إنعاش الجسم ليكن من أجل العبادة بتقوى مقدسة. هكذا إذن تقوّت يهوديت بالحزن لمدة طويلة والصوم اليومي؛ إذ لا تطلب ملذات العالم لا تبالي بالخطر، كانت قوية في استخفافها بالموت.

لكي تحقق الخدعة الحربية ارتدت ثوب المرح الذي اعتادت أن ترتديه في أيام زوجها، كمن أرادت أن تُسر رجلها متى حررت مدينتها. لكنها رأت رجلاً آخر كانت تطلب أن تُسره، هذا الذي مثُل عنه: "يأتي بعدي رجل صار قدامي" (يو ١: ٣٠). فعلت حسنًا إذ استعادت حلي زواجها وهي تتقدم للمعركة، فإن الذي يذكرها بزفافها هو سلاح الطهارة، فإنه ليس بطريقٍ آخر يمكن لأرملة أن تبتهج وتقتني النصرة[1].

القديس أمبروسيوس

وأَخَذَت حذاءً لرجلَيها،
ولَبِسَت القَلائدَ والأساورَ والخَواتمَ والحَلَقَ وكُلَّ زينَتِها،
وتَجَمَّلَت جِدًّا لإغراءِ عَيونِ كل الرِّجالِ الَّذينَ يَنظرونَ إلَيها [٤].

ما هي مشاعر أرملة ألقت كل غناها وزّينتها واهتمامها بجمال الجسدي، وانشغلت نهارًا وليلاً بالعبادة في حياة نسكية حازمة، وهي تفعل هذا كله؟

يقف القديس أمبروسيوس في دهشة وإعجاب من هذه الأرملة العجيبة. فإن ضميرها لم يتشكك من أن تترك كل مظاهر الترمل وتبدو كمن تتهيأ للعُرس، فإن عبادتها لم تقف عن المظهر الخارجي، لكن هدفها كان واضحًا وصريحًا أمام عينيها وفي قلبها.

---

[1] *Concerning Widows, 7: 38.*

لم يكن يشغلها أنها تعيش في علية بسيطة، ولا أنها ترتدي ثياب الترمل وتتخلى عن حليها وكل زينتها، إنما ما كان يشغلها نقاوة قلبها وطهارة فكرها والتصاقها بالله تحت أي ظرف كان.

لا يشغلها أن ترتدي المسوح أو ترتدي ثياب عرسها، إنما ما يشغلها أن ترتدي البرّ وتكتسي بالتقوى.

لو أنها تمسكت بارتداء ثياب الترمل ولم تتزين لاستسلمت المدينة لأليفانا وجيشه، واغتصبها أليفانا أو أحد قواده، وبالتالي تفقد طهارتها.

❖ تزينت يهوديت لكي ما تُسر زانيًا، لكنها فعلت هذا من أجل التقوى لا الحب (الشهوة)، فلم يحسبها أحد زانية. إن كانت هذه التي كرست نفسها للتقوى لحفظ طهارتها وبلدها. ليتني أنا أيضًا بحفظ تقواي أحفظ طهارتي. لكن لو أن يهوديت قد فضلت (مظهر) طهارتها عن تدينها لانهارت مدينتها وفقدت أيضًا طهارتها[1].

القديس أمبروسيوس

وأعطَت وَصيفَتَها زِقَّ خَمْرٍ وإِبريقَ زَيت،
ومَلأَت خُرْجًا مِن فَطائِرِ الدَّقيقِ والفَواكِهِ الجافَّة والأَرغِفَةِ الطَّاهِرَة،
وصَرَّت كُلَّ زادِها،
وسَلَّمَته إلى وَصيفَتِها [٥].

سلمت زادها لوصيفتها وهو فطائر دقيق الشعير، وهو طعام الفقراء، فهي تأكل لا لتتنعم، بل لكي تحول الجسد فتحيا لمجد الله.

والعجيب أنه مع فطائر الشعير أخذت أيضًا خمرًا، فقد كان الخمر القليل هو شراب الكثيرين دون أن يبالغوا فيسقطوا في السكر. ومن الجانب الرمزي فإنها حملت كلمة الله ووعوده الإلهية كطعام للنفس، وأيضًا خمر الفرح، فإنها وإن كانت منطلقة لممارسة عمل خطير، فليس من يسندها سوى الله الذي يهبها الوعود الإلهية، ويقدم لها الفرح السماوي يهبها رجاءً حيًا.

وأيضًا أخذت إبريق زيت إشارة إلى عمل الروح القدس الذي يقيم منا مسحاء للرب، نُمسح بروحه القدوس لنتمتع بالشركة مع مسيحنا، ونتمتع بسماته عاملة فينا. والفواكه

[1] *Concerning Virgins, Book 2: 4: 24.*

اليابسة تشير إلى ثمر الروح من محبة وفرح وسلام الخ (غل ٥: ٢٣).

هذا هو قوت كل نفسٍ مجاهدةٍ وعاملةٍ لحساب ملكوت الله: التمسك بالوعود الإلهية كخبزها اليومي، والتمتع بالفرح الداخلي واهب الرجاء، والتقديس بعمل الروح القدس واهب القداسة، وثمر الروح الفاكهة التي تفرح بها السماء.

وخَرَجَتا إلى بابِ مَدينةِ بَيتَ فَلْوى،

فوجَدَتا علَيه عُزِّيًا واقفًا مع شَيخَيِ المدينةِ كَرْبي وكَرْمي [٦].

كانت أبواب كل مدن اليهودية لا تُفتح من غروب الشمس إلى شروقها، وذلك في الأيام العادية. أما أثناء حالة الحرب فلا تفتح نهارًا وليلاً إلاَّ بإذنٍ خاص من رئيس البلد أو قائد الجيش، وكان يُقام فوق الباب برج للمراقبة.

لقد وقف عزيا والشيخان عند الباب ليأمروا بفتح الباب ليهوديت ووصيفتها، وإن كانوا لم يعرفوا ما هي خطتها، إلى أين تذهب.

فلَمَّا رَأَوها ورَأَوا وَجهَها وقد تَبَدَّلَ، وثَوبَها وقد تَغَيَّر،

أُعجِبوا جِدًّا بِجَمالِها، وقالوا لها: [٧]

إذ رأوا ملامحها أعجبوا بها جدًا، ليس من أجل جمالها الجسدي، إنما جمال أعماقها التي انعكست على ملامحها، وقد غطت نعمة الله على وجهها جمالاً مع وقارٍ وهيبةٍ وجاذبية، لأن إله السماء يعكس بهاءه عليها.

كما كان وجه موسى يلمع فلم يستطع الشعب التطلع إليه، فكانوا يلزمونه أن يضع برقعًا عليه، هكذا يعمل الله في حياة مؤمنيه الجادين فيهبهم بهاءً داخليًا، كثيرًا ما ينعكس على ملامحهم حتى أثناء الضيق والعذابات، ليشهد الله لهم كأبناءٍ له، ويحقق بهم رسالة سماوية.

إلهُ آبائنا يَهَبُ لَكِ أن تَنالي حُظوَةً،

وأن تُحقِّقي مَساعيكِ،

لافتِخارِ بَني إسرائيل،

ومجد أُورَشَليم" [٨].

بعد انقضاء يوم عصيب للغاية وصراع بين الشعب وقادتهم، نام الشعب بسبب الإرهاق الجسماني والتعب النفسي، بينما سهر عُزِّيًا والشيخان عند باب المدينة خشية أي

تحرك لجيش أليفانا للتسلل إلى المدينة أو هجومها، وسارت يهوديت ووصيفتها وسط الظلام الحالك لتنطلقا إلى خارج المدينة.

بُهر القادة لجمال يهوديت والنعمة التي سكبها الله عليها، ولشجاعتها وسهرها من أجل مجد الله.

لم يسألوها إلي أين هي ذاهبة مع وصيفتها، ولم يعرفوا ماذا يقدمون لها سوى أن يطلبوا لها بركة الرب أن ترافقها وتُنجح طريقها، وفي نفس الوقت يرفعون من معنوياتها، بأنهم يدركون أن ما تفعله ليس لمصلحة شخصية أو كرامة زمنية، إنما لعز شعبها ورفع شأن مدينة الله.

❖ اتبعت يهوديت دعوة الفضيلة، وحاولت اقتناء منافع كثيرة. إنه لأمر فاضل أن تمنع شعب الرب من الاستسلام للوثنيين؛ تمنعهم عن خيانة طقوسهم الوطنية وأسرارهم، أو من تسليم العذارى اللواتي لهم وأراملهم الوقورات والعقيلات المحتشمات لبرابرة دنسين، أو أن ينتهي الحصار بالخضوع. إنه لأمر فاضل بالنسبة لها أن تتحدى الخطر من أجل الكل، لكي تخلص الكل من الخطر[1].

القديس أمبروسيوس

٢. يهوديت تخرج إلى طَلائعُ الأشوريين

فسَجَدَت يهوديت لله، وقالَت لَهم:
"مُروا أن يُفتَحَ لي بابُ المَدينة،
فأَخرُجَ لِلقِيامِ بِما قُلتُموه لي".
فأَمَروا الشُبَّانَ أن يَفتَحوا لَها كَما طلبت [٩].

لم تدخل يهوديت مع القادة في أحاديث ومناقشات، فهي تشعر أنها تتحرك بخطة إلهية وعون إلهي، لهذا وهي أمام القادة "سجدت لله". هذا ما فعله أيضًا فيما بعد نحميا حين كانت نفسه مُرة من جهة خراب أورشليم، إذ وهو في حضرة ملك وثني يسأله: "ماذا طالب أنت؟" (نح ٢: ٤) وقبل أن يجيب يقول: "فصليت إلى إله السماء".

هكذا أناس الله لا يفارقهم الشعور بالحضرة الإلهية. إنهم في حالة صلاة دائمة أينما وجدوا، حتى وإن صمتت ألسنتهم.

---

[1] *Duties of the Clergy, Book 3: 13: 84.*

❖ إننا بالقلب نسأل، بالقلب نطلب، ولصوت القلب ينفتح الباب[1].

❖ الصلاة هي بلوغ العقل المملوء حبًا إلى الله، إنها تشغل الذهن والقلب، الفكر والرغبة، المعرفة والحب. الحياة الكاملة للمسيحي الصالح هي رغبة مقدسة[2].

❖ من يصلي برغبة يسبح في قلبه، حتى إن كان لسانه صامتًا. أما إذا صلى (الإنسان) بغير شوقٍ فهو أبكم أمام الله حتى إن بلغ صوته آذان البشر[3].

القديس أغسطينوس

ففَعَلوا. وخَرَجَت يَهوديتُ مع وَصيفَتِها.
ونَظَرَ إلَيها رِجالُ المَدينةِ تَنزِلُ مِنَ الجَبَلِ وتَجتازُ الوَادي،
حتَّى تَوارَت عن بَصَرِهم [١٠].

فتح لهما الشبان وخرجتا. نزلتا وسط الظلام من الجبال بينما يحاول رجال المدينة يتطلعون إليهما في دهشةٍ لعلهم يستطيعون أن يروهما وسط الظلمة، ولكن إلى أين هما ذاهبتان. وكانت قلوب القادة الثلاثة ترتفع نحو السماء لكي تحفظهما الملائكة، وتسندهما يد الله، وينالا نعمة لدى كل من يلتقي بهما.

الله الذي قاد شعبه في البرية مظللاً إياهم كسحابة في النهار تحفظهم من حرارة الشمس، وكعمود نور يقودهم بالليل كان يحفظ يهوديت ووصيفتها طول الطريق.

وكانَتا تَسيرانِ تَوًّا في الوَادي،
فلَقِيَتها طَلائعُ الأشوريين [١١]

إذ اختفت يهوديت ووصيفتها عن أعين شعبها، ما جاء بعد ذلك هو من وصف يهوديت نفسها أو وصيفتها أو أحد الأشوريين كشاهد عيان.

يرى كوندر *C. Conder* أن بيت فلوى هي ميثيليا *Mithilia* أو ميسيليا[4] *Mesilieh*، وفي رأيه أنها قرية صغيرة يُلحق بها قسم نحو الشمال، قائمة على تلٍ منحدرٍ

---

[1] *Sermon, 91:3.*
[2] *Tr. on 1 John 4:6.*
[3] *On Ps. 102:8.*
[4] *Conder, C., The Survey of Western Palestine, Vol. II (Committee Of Palestine Exploration Fund, London, 1882), pp. 156-157.*
"And when the men of the city saw them, they took up their weapons, and went out of the city to the top of the hill: and every man that used a sling kept them from coming up by casting of stones against them." Judith 6:12.

نحو الجنوب، لكن ليس على قمة التل، ومحاطة بحدائق رائعة من أشجار الزيتون، مع وادٍ مفتوح يُدعى "وادي الملك" من جهة الشمال. تعتمد هذه القرية على مياه الآبار التي لا يزال بعضها يحمل مظهر القِدَم، كما تعتمد أيضًا بصورة رئيسية على مياه الأمطار.

تقع القرية في منطقة التل، ولكن ليست بعيدًا عن السهل، وهي قريبة من دوثان *Dothan* (يهو ٤: ٦)، لذلك كان سكان القرية يرون معسكر أليفانا الأشوري.

يروي دميان ملكي أنه في زيارته قرية ميثيليا في الطريق إلى شكيم وجد آثارًا لقرية خربة على منحدر التل. تحتها توجد آبار قديمة وفوقها قمة تل يحيط بها. من هناك يمكن بسهولة رؤية الجانب الشمالي من سهل فسيح وجلبوع *Gilboa* وتابور *Tabor* ووادي بلمايم *Belmaim* أو Belameh، وفي أقصى الغرب يظهر الكرمل *Carmel* خلف الشيخ إسكندر[١] *Sheikh Iskander*، وجزء من سهل العربة *Arrabeh* الملاصق لدوثان. توجد حقول قمح متسعة في وادي الملك تمتد شمال غرب ميسيليا نحو دوثان، حيث تبلغ المسافة ٣ أميال فقط بجوارها منطقة مملوءة بحقول الزيتون ويوجد ينبوع ماء، حيث عسكر هناك جيش أشور كما تروي القصص اليهودية القديمة. خلال هذا التصور يمكن أن نتخيل يهوديت نزلت لتسير بين حقول القمح وحقول الزيتون، وقد وقف الرجال على التل يراقبونها حتى اختفت عن أعينهم في الوادي ولم يعودوا ينظرونها (يهو ١٠:١٠)[٢].

٣. يهوديت أمام خيمة أليفانا

فَأَمْسَكُوها قائلين: مِن أَيَّةِ جِهَةٍ أَنتِ؟
ومِن أَينَ جِئتِ؟
وإِلى أَينَ تَذهَبين"؟
قالَت: إِنِّي بِنتٌ لِلعِبرانِيِّينَ،
وقَد هَرَبتُ مِن وَجهِهم،
لأَنَّهم أَوشَكوا أَن يُسلِمُوا إِلَيكم غَنيمةً [١٢].

دعت يهوديت نفسها "بنت العبرانيين" ولم تقل "إسرائيلية"، وكأنها وهي في وسط العسكر الأشوري عادت بذاكرتها إلى آبائها العبرانيين الذين كانوا مُستعبدين بواسطة فرعون

---

[1] *For this place name of 'Hills of Sheikh Iskander' and of Zebdah and Bûrkîn see also PSBA, May, 1887, p. 163.*
[2] *C.R.C. Quarterly Statement, July 1881.*

في مصر.

"بنت للعبرانيين": عُرف اليهود بالعبرانيين منذ إبراهيم، ربما لأنه من نسل عابر، أو بسبب ارتحال اليهود كثيرًا وعبورهم من مكانٍ إلى آخر (تك١٠: ٢١-٢٤). عندما عثرت الجارية المصرية على السفط الذي كان فيه موسى، قالت: "هذا من أولاد العبرانيين" (خر ٢: ٦). بقي هذا الاسم هو الشائع بالنسبة لهم حتى السبي، فصار الاسم الشائع بالنسبة لهم هو بني إسرائيل، ودعوا بالأكثر يهودًا بالنسبة لمملكة الجنوب حيث احتفظت المملكة بأن يكون الملك من سبط يهوذا.

لَمَّا أنا فإنِّي ذاهبةٌ إلى أمام أليفانا رئيسِ قُوَّادِ جَيشِكم،
لأُخبِرَه بالتدقيقِ الطَّريقَ الَّذي يَسلُكُه للاستيلاءِ على النَّاحيةِ الجَبَليَّةِ كلِّها،
فلا يَفقِدَ أحَدًا مِن رِجالِه
ولا نَفْسًا حَيَّةً" [١٣].

ولَمَّا سَمِعَ الرِّجالُ كَلامَها،
وتأمَّلوا وَجهَها، وقد بَدا لَهم رائعَ الجَمَال، قالوا لَها: [١٤]

لقَد خلَّصتِ نَفسَكِ بالإسراعِ في النُّزولِ إلى سَيِّدِنا.
والآن فتَعالَي معنا إلى خَيمتِه،
وسيُرافِقُكِ أُناسٌ مِنَّا إلى أن يُسلِّموكِ بَينَ يَدَيه [١٥].

أعطى الله يهوديت نعمة في أعين جنود الأعداء، الذين بدلاً من الاستخفاف بها كسيدة من الأعداء المقاومين، والإساءة إليها بوسيلة أو بأخرى، فإن رجال الدورية العسكرية فرحوا بها واستمعوا إليها باهتمامٍ شديد، وأعجبوا بها جدًا، وحثوها على الإسراع باللقاء مع أليفانا القائد، وقدموا لها العون لتحقيق ذلك.

كان من العادات القديمة في الحروب أنه متى اشتدت الضيقة جدًا يتسلل البعض إلى عسكر المحاصرين، إما لتسليم أنفسهم، وغالبًا ما يُعاملون معاملة العبيد، وإما بتقديم أسرار عن المدينة المحاصرة لينجوا هم من القتل على حساب وطنهم، وإما أن يتجسسوا على الأعداء ليعودوا إلى بلدهم يقدمون تقريرًا عن معسكر الأعداء.

وإذا وَقَفتِ بِحَضرَتِه، فلا يَضطَرِبْ قَلبُكِ،
بل أعيدي كَلامَكِ كما قُلتِ،

فيُحسنَ إليكِ" [١٦].

فاختاروا من بَينهم مائةَ رَجُلٍ،
انضَمُّوا إليها وإلى وَصيفتها،
وذَهبوا بِهِما إلى خَيمةِ أليفانا [١٧].

اختاروا لها مائة جندي يذهبون بها مع وصيفتها إلى أليفانا، ولعل اختيار هذا الرقم الكبير كان ضروريًا للإسراع بهما إلى خيمة القائد. فلو أنهم اختاروا جنديًا واحدًا أو قلة قليلة من الجند، لتشكك كل من يقابلهما في الطريق إلى خيمة القائد من جند حراسة، بأنهما قد قدمتا رشوة لمن معهما. أما وجود فرقة من مئة عسكري فيكون شهادة أن السيدتين في مهمة هامة، وأن أمرهما قد فُحص تمامًا من الدورية، فلا حاجة لاستجوابهما خلال عبورهما. هكذا استخدم الله حتى الجند المقاومين لمساندتهما لتحقيق خطة يهوديت. وكما يقول المرتل: "هيأت لي مائدة تجاه مضايقي" (مز ١٢).

وحَدَثَ تَجَمهُرٌ في المُعَسكَرِ كلِّه على أثَرِ إذاعةِ خَبَرِ حُضورِها في جَميعِ الخِيامِ،
وكانوا يأتونَ ويُحيطونَ بها،
وهي واقفةٌ خارجَ خَيمةِ أليفانا،
إلى أن يُخبِروه بأمرِها [١٨].

وكانوا يُعجَبونَ بِجَمالِها،
ويُعجَبونَ بِبَني إسرائيلَ من أجلِها،
فيَقولُ كلُّ واحدٍ لقَريبِه:
مَن يَحتَقِرُ هذا الشَّعبَ الَّذي فيه مِثلُ هؤلاءِ النِّساء؟
لا يَحسُنُ الإبقاءُ على أيِّ رَجُلٍ منهُم،
فبإمكانِ الباقينَ أن يَخدَعوا الأرضَ كُلَّها" [١٩].

نزول هاتين السيدتين العبرانيتين إلى المعسكر الأشوري بلاشك دوى بين هؤلاء الآلاف من الجند، فقد صار موضوع حديث الكل. ماذا وراء سيدتين تلقيان بنفسيهما وسط جيش عدوٍ هذا مقداره، وهذه إمكانياته.

٤. يهوديت تسجد أمام أليفانا

وخَرَجَ النَّائمونَ عِندَ أليفانا وجَميعُ ضُبَّاطِه،
وأدخَلوا يَهوديتَ إلى الخَيمة [٢٠].

إذ يعلم المحيطون بأليفانا أنه رجل شهواني، ما يشغله في المعركة أن ينتصر ليجد من بين المسبيين نساءً أو فتيات جميلات يسبيهن لإشباع شهوته، وأيضًا ينتظر التمتع بالغنائم الأخرى، لهذا حسب الكل أن مجيء يهوديت الجميلة أول إشارة للقائد أنه نجح في مهمته لتحقيق رغباته الشخصية.

وكانَ أليفانا يَستَريحُ على سَريرِه،
تَحتَ ناموسيَّةٍ مِن أُرجُوانٍ وذَهَبٍ وزُمُرّدٍ وحِجارَةٍ كَريمة [٢١].

كانت خيمته ليس فقط مسكنًا للنوم وسط المعسكر، وإنما كانت أشبه بقاعة ضخمة تحتوي على سريرٍ فاخرٍ جدًا، ليس للنوم فحسب، وإنما للجلوس عليه لعرشٍ ليدير شئون الجيش، وقد دُعي "سرير القائد".

عندما أخبَروه بِأمرِها،
خَرَجَ إلى مَدخَلِ الخَيمة تتَقَدَّمُه مَشاعِلُ فِضَّة [٢٢].

فلَمَّا وَصَلَت يَهوديتُ أمامَه وأمامَ ضُبَّاطِه،
أُعجِبوا جَميعًا بِجَمالِ وَجهِها.
فارتَمَت أمامَه، وسَجَدَت لَه،
فأنهَضَها خُدَّامُه [٢٣].

ارتماؤها أمامه وسجودها لإبراز الوقار والتكريم والخضوع له.

من وحي يهوديت ١٠

العروس الجميلة في معسكر الجبابرة!

❖ عاشت الأرملة الشابة تترقب عُرسها السماوي.
سجدت في تواضعٍ أمام خالق السماء والأرض.
وبالصلاة والصراخ لبست الحلة العسكرية القديرة.

❖ نزلت من العلية موضع نسكها،

ودخلت قصرها الذي تحتفل فيه بالأعياد.
ألقت عنها مسوح الحزن والترمل،
فقد حان وقت عرسها.
تزينت من الخارج،
وكان روح الله يجمِّلها من الداخل.
لبست ثياب فرحها،
وقدمت لها نعمة الله لباس العرس السماوي.
أخذت حذاء لرجليها،
واستعدت للسير في الطريق نحو الأحضان الإلهية.
تجمل جسدها جدًا،
فانجذبت إليها عيون الرجال.
وتجمَّلت نفسها جدًا،
فانجذبت إليها عيون السمائيين.

❖ أعطت وصيفتها طعامًا بسيطًا لإعالة جسدها،
وانطلق قلبها للتمتع بالوليمة السماوية.
حملت وصيفتها الزاد الزمني،
وتقبلت من يدّي الله زادًا سماويًا لروحها!

❖ خرجت مع وصيفتها إلى باب مدينة بيت فَلْوى (بيتثليا).
وانطلقت نفسها مع جسدها إلى كنيسة الأبكار البتوليين!
التقت برئيس البلد وشيخيّ المدينة،
وارتفع قلبها إلى ملك الملوك ورجال العهدين القديم والجديد.

❖ أُعجب عظماء بلدها بجمال وجهها وثيابها،
وطلبوا لها عونًا من السماء يحقق خلاص بلدهم ومدينتهم!
وسُرّ الله بجمالها الداخلي الذي هو من عمل يديه.
وذُهش السمائيون الذين رأوا التراب يتحرك لحساب مجد الله!

❖ يا للعجب لم يجسر القائد العظيم بكل جيشه،

أن يخترق مدينة بيت فلوى ليحطم أورشليم ويهدم الهيكل المقدس!
وهوذا شابة أرملة تخترق معسكره،
لتبلغ إلى عرين الأسد فتقتله في عرينه!
الجبار المعتز بإمكانياته خشي الدخول من مضيق المدينة.
والشابة المقدّسة اخترقت جيشه بجرأة وبسالة!
عبرت ومعها وصيفتها إلى ذاك العاجز عن التحرك بكل جيشه!

الأصحاح الحادي عشر

لقاء يهوديت مع أليفانا

١. أليفانا يطمئن يَهوديت

فقالَ لَها أليفانا: تشَجَّعي، يا امرَأةُ،
ولا يَضطَرِبْ قَلبُكِ،
لأنِّي لم أسِئْ قطّ إلى إنْسان اختارَ أن يَعمَلَ لِنَبوخَذنَصَّر،
مَلِكِ الأرضِ كُلِّها [١].

كانت خيمة أليفانا أشبه بحجرة عمليات عسكرية مع مسكن خاص لأليفانا كقائد عام لجيش أشور المتحرك للاستيلاء على الأمم والمناداة بملك أشور إله الأرض كلها.

في هذه الخيمة تم اللقاء الأول بين أليفانا ويهوديت، وذلك في حضرة ضباطه الواقفين بين يديه، وهو جالس على سريره أو عرشه.

إذ تطلع أليفانا إلى يهوديت بُهر بجمالها، وصار أسير شهوته، يود أن يكسب ودها بكل وسيلة.

بدأ حديثه معها يطمئنها، فقد ظن أنها في حالة رعبٍ شديد، لأنها أمام أقوى رجال العالم في ذلك الحين، يقطن في خيمته الواسعة مملوءة بالأثاث الثمينة ويحوط به قواده، فأراد أن يوحي إليها بأنه رجل مُسالم خاضع للملك، لا يُسر بالحرب والتدمير، إنما يعمل كل جهده لكي لا يظلم أحدًا.

أعلن أليفانا ليهوديت محبته لها، وتقديره لشخصيتها وحكمتها، واعتزازه بها لأنها لجأت إليه ليحميها من الهلاك.

كثيرون في دراستهم لموقف أليفانا هنا بما ورد في القصة العالمية عن "الطفلة الصغيرة صاحبة القبة الحمراء". فقد رآها ذئبًا مفترسًا وأراد التهامها، فارتدى زي جدتها، وقدم لها كلمات معسولة ليفترسها. هكذا إذ ثارت الشهوة في القائد الجبار الذي وقع رعبه على جميع سكان الأرض، لم يرد اغتصابها بالعنف، وإنما بكلمات معسولة أراد أسرها! دخل

معها في حوارٍ رقيقٍ ذاك الذي لا يعرف اللطف والحنو. الذي دمرّ مدنًا كثيرة وحطم وقتل يحاور أرملة شابة ويعدها أنها تكون لا بين نساء الملك العظيم، بل وتصير مشهورة على مستوى الأرض كلها!

هوذا الذئب يحاور حملاً صغيرًا، حاسبًا نفسه أنه في مركز القوة وصاحب سلطان، وهو عاجز عن أن يضبط شهوته، ويسيطر على إرادته الضعيفة التي أذلته!

ذاك الذي كان يعتز بحملته العسكرية التي هزت الأمم، فقبلوا هدم هياكل آلهتهم ومذابحهم ليعبدوا ملك أشور، بكونه الإله الوحيد، صار عبدًا لشهوته، وانهزم أمام جمالها الجسدي، وسلم رقبته للذبح! أراد أن يخدعها بكلماته المعسولة، ولم يدرك أنه بشهوته الشريرة يُعد نفسه للدمار التام.

يُدعى إبليس "المخادع" (رؤ ١٢: ٩ ؛ ٢٠: ٣)، في كل الأزمنة يحاول الخلط بين الكذب والحقيقة، وبين الشر والخير. ويكمن سرّ نجاحه المؤقت في خداعه في الآتي:

ا. جهل بعض المؤمنين حيله (أف ٦: ١١).

ب. رتبته الأولي كشاروب، له قدراته التي يسيء استخدامها.

ج. له خبرة طويلة ومعرفة عبر الأجيال.

د. قدرته أن يتشكل حتى يظهر كملاك نور.

هـ. استخدامه كل وسيلةٍ ممكنةٍ، وكل شخصٍ ينضم إلى حزبه، فهو الروح الذي يعمل في أبناء المعصية (أف ٢: ٢).

❖ لا يستغرب أحد للهرطقات الموجودة اليوم، إذ أنها كانت منذ البدء، وذلك لأن الشيطان يحاول بمهارة الخلط بين الكذب والحقيقية. وكما أن الله منذ البدء وعد الإنسان بخيرات كثيرة، كذلك الشيطان يُغري دائمًا بوعوده المخادعة. الله زرع لهم جنة عدن، وجاء الشيطان وقال لهم: "ستكونون مثل آلهة" وفي الواقع لم يقدر أن يعطيهم شيئًا، كل ما في الأمر أنه بهرهم بوعوده فقط. وهذا ما يفعله المخادعون[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

وأَمَّا شَعبُكَ المُقيمُ في النَّاحيةِ الجَبَليَّةِ،

فلَو لم يَستَهِنْ بي،

---

[1] *In 2 Tim. hom. 8.*

لَما رَفَعتُ رُمْحي عليهِم.

ولكنَّه هو بالحري الَّذي فَعَلَ ذلك بِنَفسِه [٢].

حاول أن يبرر أليفانا موقفه أمام يهوديت، أنه من جانبه لم يكن يود أن يحاصر شعبها ويحرمهم من ينابيع المياه. إنما الخطأ منهم لا منه، لأنهم استخفوا به واستهانوا بقدرته العسكرية.

أشد ما كان يضايق أليفانا أن اليهود قد استهانوا به، فلم يستسلموا ككثيرٍ من الأمم المحيطة بهم والتي طلبت السلام.

في قوله هذا كان أليفانا يكذب، فقد أساء إلى الأمم التي طلبت السلام وأعلنت خضوعها لأشور، إذ دمَّر مدنهم ومعابدهم.

لم يكن سهم أليفانا (آسرحدون) الذي ارتفع في غضب ضد الإسرائيليين أقل من رمح إلهه *Assur*: [ثُرت مثل أسدٍ، التحفت بدرعي، وخوذتي، وضعتها على رأسي علامة النصرة. لقد التقطت في يدي السيف... مثل نسر عنيف بسطت جناحي... أما فرق جيشي، تقدمت مثل فيضان اكتسح أمامي، فإن رمح أشور *Assur* انطلق بلا توقف وبعنف وسرعة... كان الإلهان *Shar-ur* و*Shar-gaz* في صفي بجانبي[١].]

والآن قولي لي: لِمَاذا هَرَبتِ مِن عِندِهم وأتَيتِ إلَينا؟

فلَقَد أتَيتِ إلى مكانٍ آمنٍ.

تشَجَّعي!

ففي هذه اللَّيلةَ ستَحيَينَ،

وكذلك في ما بَعد [٣].

بعد أن مدح يهوديت، ولبس ثوب الحمل الوديع الذي لم يكن يشتهي الدخول في معركة مع شعبها، أراد أن يتحقق بنفسه ما هو حال شعبها، وماذا يتوقعون.

بقوله: "في هذه الليلة تحيين"، نتلمس أنه كان في نيته أن يبدأ الحرب، وفي مخيلته أنه سيهلك بني إسرائيل تمامًا، ولن ينجو أحد منهم.

كان يتوقع أليفانا من يهوديت أن تبلغه رسالة خاصة من رؤساء شعبها، أو أنها هاربة لتنجو من الموت المترقب عندما يقتحم جيشه المدينة، فسلمت نفسها في لجوءٍ سياسي!

---

[1] *Luckenbill, p. 561*

لن يُؤذيك أحد،
بل يُحسِنونَ إليك،
شأنَ كل عَبيدِ سيِّدي نَبوخَذنَصَّر الملكِ" [٤].

وعدها ألاَّ يسلمها لأحد من ضباطه وجنوده، بل يضمها إلى سراريه وجواريه، فيُحسن إليها الجند.

ظن أنه قد ضمها إلى مملكته، وصارت تحت حمايته، ولم يعلم أنه سيكون غنيمتها. هكذا يطمع عدو الخير إبليس في الإنسان واعدًا إياه أنه يضمه إلى مملكته، ويفيض عليه بالعطايا، ويشبع شهواته، ولن يصيبه سوء.

٢. يَهوديت تقدم مشورة لأليفانا

عندئذ قالَت لَه يَهوديت: تَقبَلْ كَلامَ أمَتِكَ،
ولتَتَكلَّمْ خادِمَتُكَ في حَضرَتِكَ،
ولا أُخبِرُ سيِّدي بِالكَذِبِ في هذه اللَّيلة [٥].

ظن القائد في يهوديت أنها مضطربة القلب، وأنها تخشاه كقائدٍ جبارٍ عنيفٍ يسيء إليها، لذلك حاول أن يطمئنها أنه لن يسيء إلى من يختار العمل لحساب الملك آسرحدون بكونه ملك الأرض كلها.

جاء خطاب يهوديت مقاربًا لخطاب أبيجايل في لقائها مع داود لتهدئة ثورة غضبه ضد زوجها نابال الكرملي (١ صم ٢٥). اتسمت أبيجايل ويهوديت بالحكمة مع الشجاعة، وكانت كل منهما تطلب الخلاص، لا لشخصيهما، بل لجماعة كبيرة. فأنقذت أبيجايل رجلها وكل أهل بيته حتى عبيده والأجرى العاملين عنده، وأنقذت يهوديت الشعب كله.

بدأت حديثها الطويل مع أليفانا في تواضع، فكانت تكرر تعبيري: "أمتك"، و"خادمتك".

وإن اتَّبَعتَ كَلامَ خادِمتِكَ،
يُتمِمُ اللهُ عَمَلَه مَعَكَ،
ولا يُخفِقُ سيِّدي في مَساعيه [٦].

تحدثت معه بحكمة، فأبرزت له وإن كانت تحمل إعلانات إلهية، فإنها تساعده في تحقيق أهدافه كقائدٍ عظيمٍ دون أية خسائر، لا في المعدات ولا في الرجال.

لِيَحْيَا نَبوخَذنَصَّر، مَلِكُ الأَرضِ كُلِّها،
ولتدمْ قُدرتُه، فهُو الَّذي أرسَلَكَ لتُوَجه كُلَّ نَفْس،
لأنَّه لَيسَ النَّاسُ وَحدَهم يَعملونَ لَه عن يَدِكَ،
بل وُحوشُ البَرِّ والقُطْعانُ وطُيورُ السَّماءِ تَحْيا لِنَبوخَذنَصَّر ولِكُلِّ بَيتِه [٧].

حديث يهوديت يكشف عما كان في فكر الملك الأشوري وقائده، أن نبوخذنصر ملك الأرض كلها، عظيم في إمكانيته وقدراته، أرسل القائد القوي القادر أن يوَّجه الأمم المقاومة إلى الخضوع له. كما كان الملك وقائده يظنان أن وحوش البرية والغنم وطيور السماء تحيا بقدرته المتجلية في القائد العسكري أليفانا لحساب الملك وبيته.

كانت كلمات يهوديت في مديح أليفانا وملكه تنزل على أذنيه كالموسيقى، حاسبًا ما قالته حقيقة لا تحتاج إلى تأكيد أو برهان: [كنت أسير منتصرًا... من قوتي لا تُنافس، ولم يوجد بين الرؤساء من يسبقني، لا لن يوجد...[1]]

من الحكمة أنها مدحت سيده نبوخذنصر، ودعت له بالحياة، وهذا ما يتمناه كل عظيمٍ أن يبقى في عظمته. وأعلنت سلطانه على الأرض لاستيلائه على كثير من مدن العالم المحيط به. استراح أليفانا لكلماتها، لأنها تبرزه كقائدٍ أمينٍ لسيده يطلب له العظمة والسلطان قبل أن يطلبه لنفسه.

في نفس الوقت مدحت أليفانا نفسه كمندوبٍ عسكريٍ يوجه كل الأمم لتخضع للملك الأشوري.

فلَقَد سَمِعْنا بِحِكمَتِكَ وبِانجازات حياتك،
ويُخْبَرُ في الأَرضِ كُلِّها بأَنَّكَ وَحدَكَ صالِحٌ في المَملَكَةِ كُلِّها،
ومُقْتَدِرٌ في العِلْم،
وعَجيبٌ في قِيادة الحَرْب [٨].

امتدحت يهوديت أليفانا بالحكمة البشرية والذكاء والقيادة الناجحة للجيش، وهذه صفات حقيقية في أليفانا، أفسدتها حياته الشريرة، وفساد قلبه، وتشامخه، وانحراف إرادته، ومقاومته لله الحقيقي.

وقَد سَمِعْنا كَلِمات الخِطابُ الَّذي فاهَ بِه أَحْيورُ في مَجلِسِكَ،

[1] *Luckenbill, p 507, 521.*

لأنَّ رجالَ بَيتَ فَلْوى قد أبقَوا علَيه،
فأخبَرَهم بكُلِّ ما تكلَّمَ به لَدَيكَ [٩].

بحكمة عجيبة تحدثت بعد ذلك عن حديث أحيور رئيس بني عمون معه، وما رواه عند مجيئه إلى اليهود:

أ. لم تتحدث عنه في البداية حتى لا تثيره، لأنه كان يحسب أحيور قد أهانه بكلماته عن إله اليهود المحارب عنهم. إنما تركت الحديث عنه بعد أن مدَّحت ملك أشور وأليفانا، وبعد أن أظهرت أن شعبها في حالة رعبٍ شديدٍ، فاستراحت نفس أليفانا لكلماتها.

ب. بحديثها عن أحيور شعر أليفانا أن يهوديت لم تخفِ عنه شيئًا فاطمأن لمشورتها وأحاديثها.

ج. أدرك أليفانا أن حديث يهوديت يحقق بالأكثر ما كان يشتهيه، وهو موت أهل المدينة ومعهم أحيور.

د. لم يقدم أحيور الوسيلة العملية لكي يرتكب اليهود إثمًا ضد إلههم، أما يهوديت فأبرزت - بالصدق - أمورًا كانت مخفية عنه في هذا الشأن فقد بدأوا بالفعل في كسر الشريعة، مثل عجزهم عن تقديم العشور والبكور التي كانوا يقدسونها لله، وذلك بسبب شدة العطش والجوع وحلول مجاعة قاسية [١٣]. ومن جانب آخر طلبوا السماح لهم أن يذبحوا البهائم لشرب دمائها بسبب نقص المياه مع العطش الشديد، وهذا يخالف الشريعة [١٢].

فيا أيُّها السيِّد، لا تُهمِلْ خِطابَه،
بل احفَظْه في قَلبِكَ، لأنَّه حقّ.
فلا تُعاقَبُ أمتنا، ولا يَقْوى سَيفٌ علَيها،
إن لم تَخطَئْ إلى إلهِها [١٠].

بحكمة مع شجاعة أكدت يهوديت ما قاله أحيور القائد العموني أنه حق، وأنه يستحق الدراسة. لكن شتان ما بين أسلوب أحيور وأسلوب يهوديت. كلاهما قالا الحق، غير أن حديث أحيور أثار أليفانا للانتقام منه، أما حديث يهوديت بحكمة، فجعله يقبل مشورتها بتأجيل التحرك للمعركة، في رضا وارتياح.

والآن، فلِئَلاَّ يَكونَ سَيِّدي مَنْبوذًا أو فاشِلاً،
فالمَوتُ يَنقَضُّ علَيهِم،

وقد استولت عليهم الخطيئة،
تلك الخطيئةُ الّتي يُثيرونَ بها غَضَبَ اللهِ كلّما ارتكبوا مُخالَفة [١١].
لم تكذب يهوديت فإن شعبها يعاني من الجوع والعطش حتى اقترب الموت إليهم.
استطاعت يهوديت أن تنفذ الوصية: "الجواب اللين يصرف الغضب" (أم ١٥: ١).

وبما أنّ الطّعامَ قد أعوَزَهم،
وأنّ كُلّ ماءٍ قد شحّ،
فقد عزَموا على تَعويضِ أنفُسِهم مِنها بقُطعانِهم،
وقرَّروا استِعمالَ كُلّ ما نَهاهمُ اللهُ في شَرائِعِه عن أكلِه [١٢].
أوضحت يهوديت أن سقوط الشعب اليهودي صار على الأبواب، فقد صارت الضرورة ملّحة أن يشربوا دم الحيوانات لإروائهم من العطش بسبب نقص الماء.

وأمّا بكور الحِنطَة وعُشورُ الخَمرِ والزَّيتِ الّتي حافَظوا علَيها،
لأنّهم كرَّسوها لِلكَهَنَةِ القائمينَ في أُورَشَليمَ أمامَ وَجهِ إلهِنا،
فقد حكَموا بتَناوُلِها،
مع أنّه لا يَحِلُّ لأي شخصٍ أن يَلمُسَها بِيَدَيه [١٣].
صورت يهوديت ما حلّ بشعبها حقيقة كأنه خطية قد سقطوا فيها، ألا وهي أن الشعب قد أصرّ أن يسمح له رئيس الكهنة أن يأكل البكور والذبائح والتقدمات التي من حق الهيكل، وذلك بسبب المجاعة التي حلت بهم. هذا وقد جاء في الترجمة اللاتينية أن الشعب طلب أن يشرب دم المواشي بسبب العطش الشديد. هذا قد حرّمته الشريعة، وطالبت أن يُسفك على الأرض (تث ١٥: ٢٣). الآن قد سلبوا حق الله، وكسروا الشريعة، فصار هلاكهم قريب للغاية، متى سمح لهم رئيس الكهنة بطلبتهم.

وأرسلوا أناسًا إلى أورَشليم،
لأنّ السكّانَ هُناكَ أيضًا قد فَعَلوا مِثلَ ذلك،
أُناسًا يَنقُلونَ إليهِم الإعفاءَ مِن قِبَلِ مَجلِسِ الشُّيوخ [١٤].
قدمت يهوديت خبرًا مفرحًا لأليفانا، وهو يمثل جزءًا من الحقيقة، لا الحقيقة الكاملة. فقد طلب الشعب من مجلس الشيوخ التوسط لإعفائهم من تقديم البكور، مما يسبب غضب الله عليهم لعدله، وأخفت أن الله رحوم لا يطلب من شعبه ما هو فوق إمكانياتهم.

ويكونُ، إذا ما بَلَغَهم هذا الإعْلامُ وعَمِلوا بِه،
أنَّهم في ذلك اليومِ يُسلَمونَ إليكَ لِهَلاكِهِم [١٥].

إذ اقترب وقت هلاك شعبها يليق به أن ينتظر قليلاً، لقد دفعته إلى تأجيل الهجوم حتى يحقق الله على يديها قتله وخلاص شعبها منه ومن جيشه.

وكذلك أنا أمَتَكَ، لمَّا علِمتُ بِكُلِّ ذلك،
هَرَبتُ مِن هؤلاءِ الناسِ،
وأرسَلَني اللهُ لأعمَلَ مَعَكَ أعْمَالاً تَدهَشُ لَها الأرضُ كلُّها،
إذا سَمِعَت بِها [١٦].

ما تقوله حق، إذ شعرت وتيقنت أن ما تفعله هو من قِبل الله، وأنه هو الذي أرسلها إلى أليفانا، وأن ما ستفعله من أعمال تدهش لها الأرض كلها. لم يكن يدرك أن ما تفعله معه هو قطع رأسه.

كان الملوك والقادة العسكريون قديمًا يجلون كهنة الأوثان والأنبياء، فلا يتحركون خاصة للهجوم في معركة إلاَّ بعد استشارتهم. وقد ظن أليفانا في يهوديت كأحد هؤلاء الكاهنات أو النبيات الوثنيات. لذلك وافق على تأجيل الهجوم، كما سمح لها بالخروج والدخول من وإلى المعسكر مع وصيفتها لتمارس العبادة، وتستشير الله عن موعد هجومه. حسبها أنها ستعمل لحسابه وحساب أشور.

فإنَّ أمَتَكَ تَخافُ اللهَ، تَخدُمُ لَيلَ نهارَ إلهَ السَّماءِ.
والآن سأُقيمُ عِندَكَ، يا سَيِّدي،
وستَخرُجُ أمتُكَ لَيلاً إلى الوادي،
وأُصلِّي إلى اللهِ،
فيَقولُ لي متى يَرتَكِبونَ خَطاياهم، [١٧]

في تواضع، تكرر مرة ومرات تعبير "أمتك"، وتدعوه: "يا سيدي".

كم كانت مسرته وهي تكشف له رغبتها "سأقيم عندك"، فإن هذا قمة ما يشتهيه في قلبه حتى يمكنه أن يداهنها ويغتصبها برضاها. أما عن السماح لها بالعبادة "ليلاً في الوادي فمن أجل منفعته، إذ يخبرها الله متى يرتكبون خطاياهم، فيكون ذلك مؤشرًا للتحرك لا للدخول في معركة بين فريقين أحدهما أقوى من الآخر، إنما يدخل بجيشه ولا يجد أحدًا يقف

أمامه.

فأجيءُ في تلك الساعة وأخبِرُكَ،

فتَخرُجُ بِجَيشِكَ كُلّه،

وما مِن أحَدٍ مِنهم يَقدر أن يقاومكَ [١٨].

لم تكن في نية يهوديت أن تفعل هذا، لأنها كانت تثق أنه وإن كان الشعب يرتكب خطايا، غير أن الله غافر الخطية ينظر إلى انسحاق نفوسهم أمامه، وأنه سيهلك أليفانا قبل أن يتحرك بجيشه ليستلم المدينة دون أن يقف أحد أمامه.

ربما رأت يهوديت أنها وأن قدمت نوعًا من الخداع لكن بالحق إن تحرك أليفانا لا يقدر أحد من أهل المدينة أن يقف أمام أليفانا وجيشه، إنما يقف الله نفسه وقوات السماء ضده، فيتحقق قول إليشع النبي لتلميذه جيحزي: "الذين معنا أكثر من الذين معهم".

لن يوجد أحد من البشر يقف أمام أليفانا، لكن رب القوات نفسه يحطمه!

لقد آمنت يهوديت أن الحرب القادمة لا تقوم على معركة بشرية، بل يتدخل الله نفسه كطرفٍ فيها. هذه هي خبرة أولاد الله عبر العصور، فإن شعبه لم يتحرر من عبودية فرعون بذراع بشري ولا بسيف مادي، وإنما بدم الحمل واهب الخلاص. قال موسى للشعب: "لا تخافوا؛ قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم... الرب يُقاتل عنكم وأنتم تصمتون" (خر ١٤: ١٣، ١٤). وقد رنم الكل قائلين: "الفرس وراكبه طرحهما في البحر؛ الرب قوّتي ونشيدي؛ وقد صار خلاصي... الرب رجل حرب" (خر ١٥: ١-٣).

لم يغلب موسى عماليق بالسيف وإنما ببسط يديه كما على مثال الصليب.

وعند دخول يشوع أرض الموعد حطم أسوار أريحا لا بالسيف بل بأبواق الهتاف وتابوت العهد (يش ٦: ٤).

وقال داود الصبي لجليات الجبار: "أنت تأتي إليّ بسيف وبرُمح وبترس؛ وأنا آتي إليك باسم رب الجنود" (١ صم ١٧: ٤٥).

سنا نرث أرض الموعد، أورشليم العليا، بسيفنا وإنما بسيف الرب الخارج من فمه (رؤ ١: ٦٬ ١٩: ١٥) القادر أن يفصل الحق عن الباطل، يبتر فينا ما هو دنس.

قيل عن فرعون: "هأنذا على فرعون ملك مصر فأكسر ذراعيه القوية والمكسورة، وأسقط السيف من يده... وأشدد ذراعيّ ملك بابل وأجعل سيفي في يده، وأكسر ذراعي فرعون فيئن قدامه أنين الجريح..." (حز ٣٠: ٢٢-٢٤). إذ يمسك الشرير أسلحته يحطم الله

ذراعيه، فتنهار قوته ويخسر سلاحه، ويبقى الله نفسه سندًا لأبراره، يحملونه فيهم كذراعين للعمل المستمر لحساب مملكته:

"قم يا رب تقدمه، اصرعه، نج نفسي من الشرير بسيفك" (مز ١٧: ١٣).

"أنقذ من السيف نفسي، من يد الكلب وحيدتي" (مز ٢٢: ٢٠).

"الأشرار قد سلوا السيف، ومدوا قوسهم لرمي المسكين والفقير، لقتل المستقيم طريقهم" (مز ٣٧: ١٤).

"سيفهم يدخل في قلبهم وقسيهم تتكسر" (مز ٣٧: ١٥).

"لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلصتهم، لكن يمينك وذراعك ونور وجهك، لأنك رضيت عنهم" (مز ٤٤: ٣).

"لأني على قوسي لا أتكل، وسيفي لا يخلصني" (مز ٤٤: ٦).

"تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك" (مز ٤٥: ٣).

"المعطي خلاصًا للملوك المنقذ داود عبده من السيف السوء" (مز ١٤٤: ١٠).

❖ بك نذرّي أعداءنا. فسيأتي وقت فيه يُذرّى أعداء المسيحيين كالقش، يُنفخون كالتراب، ويُطردون من الأرض (الجديدة أي الأبدية)... هذا بخصوص المستقبل.

إنني لا أثق في قوسي، كما لم يثق آباؤنا في سيفهم؛ وسيفي لن يخلصني.

❖ إنك تخلصنا من أعدائنا، إذ تعطينا ملكوتًا أبديًا، وفينا تتحقق الكلمات: "طوبى للذين يسكنون في بيتك، أبدًا يسبحونك".

❖ هل يؤذيك شر فاعل الإثم ويبقى هو بلا ضرر؟ أما يحدث أن حقده الذي ينفجر من حمو غضبه وكراهيته ليهدف إلى العصف بك أن يدمره هو أولاً، ويهلك أعماق نفسه قبلما يهاجمك علانية؟!

سيفَهُمْ يدخل في قلبهم؛ من السهل أن يمس سلاحه أي سيفه جسدك كما بلغ سيف المضطهدين أجساد الشهداء فاخترقها، لكن بقيت قلوبهم سليمة بلا ضرر؛ لكن من الواضح أن الذي أنتزع السيف ليضرب به جسد البار لا يسلم هو من الضرر. لقد وضع في قلبه أن يقتل جسد إنسان؛ دعه يجتاز موت النفس!

❖ المملكة هي للرب، لا للإنسان المتكبر، وهو يتسلط على الأمم.

القديس أغسطينوس

وأقودُكَ في وَسَطِ اليَهوديَّة،
إلى أن تَصِلَ أمامَ أورشَليم،
وأجعَلُ مركبتكَ في وَسَطِها،
فتَسوقُهم كَخِرافٍ لا راعِيَ لَها،
ولا يَنبحُ أمامَكَ كَلْبٌ.
قيلَ لي كُلُّ ذلك بِحَسَبِ سابِقِ عِلْمي
وأُرسِلتُ لأُخبِرَكَ بِه" [١٩].

"كخرافٍ لا راعي لها" تعبير شائع يشير إلى انهيار الحاكم وانفلات زمام الأمور. ليتحول الشعب إلى برية بها خراف لا تجد من يقودها (عد ٢٧: ١٧؛ ١ مل ٢٢: ١٧؛ مت ٩: ٣٦).

"لا ينبح أمامك كلب" عبارة سامية تدل على عدم وجود أية مقاومة ولا معارضة، كأنه يعمل في هدوءٍ شديدٍ وبنجاحٍ، فلا يشعر به كلب حارس للموقع ينبح عليه.

٣. إعجاب أليفانا بحكمة يَهوديت

وحَسُنَ هذا الكَلامُ لَدى أليفانا، ولَدى جَميعِ خدامه،
وأُعجِبوا بحِكمَتِها وقالوا: [٢٠]

"لا مَثيلَ لِهذه المرأةِ مِن أَقْصى الأَرضِ إلى أقْصاها،
في جمالِها وحِكمةِ الكَلام" [٢١].

إنها نعمة الله التي يفيض بها على أولاده، فيجعل أهل العالم يمجدونهم ويخضعون لهم. لأن القوة الحقيقية في الإنسان كامنة في داخله، أي قوة الله الساكن فيه، والعامل فيه وبه، وليست قوة المظاهر الخارجية. هذه القوة الحقيقية هي التي تخضع الكل له[1].

"جمالها وحكمةَ الكلام"، ذات الوصف الذي قيل عن أبيجايل: "جيدة الفهم، وجميلة الصورة" (١ صم ٢٥: ٣). هكذا أعطاها الله نعمة في أعين أليفانا وضباطه.

وقالَ لَها أليفانا: "أحسَنَ اللهُ في إرسالِكِ أمامَ الشَّعب،
لِتكونَ القُدرَةُ في أيدينا،

---

[1] القس يوحنا باقي: دراسات في سفر يهوديت، ١٩٩٧، ص ٦٥.

ويكون الهلاكُ في الّذين استهانوا بسيِّدي" [٢٢].

يا للعجب! تحول أليفانا عن طلبه الدائم من كل الأمم أن يعبدوا ملك أشور حملك الأرض كلها، وليس إله آخر غيره، إلى مدح الله إله يهوديت الذي أحسن بإرسالها أمام الشعب لكي تخطط لأليفانا للنصرة وللمقاومين له للهلاك.

سرّ إعجابه بإلهها أنه يحقق له منافع شخصية.

❖ انظروا! تقدم يهوديت نفسها إليكم كمن هي مستحقة للإعجاب. لقد اقتربت من هولوفرنيس *Holophernes*، إنسان يخافه الجمهور، يحيط به فرق من الأ... منتصرة. في البداية أثرت عليه بنعمة شكلها وجمال ملامحها. بعد ذلك اصط... حديثها. أول نصرة لها أنها عادت من خيمة العدو وطهارتها لم تُمس. والثانية أنها نال... نصرة على رجل، وأعطت للشعب أن يهرب بمشورتها[1].

القديس أمبروسيوس

والآن فأنتِ لستِ جميلة في طَلعتِك فحسب، بل وحكيمةٌ في كَلامِك.
فإن عَمِلتِ بِما قُلتِ، يكونُ إلهُكِ إلهي،
وأمَّا أنتِ فتُقيمينَ في بَيتِ نَبوخَذنَصَّر المَلك،
وتكونينَ مَشهورةً في كل الأَرضِ" [٢٣].

لم يقف الأمر عند إعجابه بيهوديت ومديحه لإلهها، وإنما وعدها أنه سيشاركها العبادة: "إلهك إلهي".

لا يُفهم من قوله "إلهك إلهي" أنه سيقبل العبادة لله الحيّ، لكنه حسبها كاهنة أوثان يشاركها عبادة صنمها الذي تتعبد له. شتان ما بين اعتراف أحيور لإله هذا الشعب واعتراف أليفانا. ما يشغل الأول هو عمل الله العجيب عبر الأجيال، أما الثاني فتشغله الشهوات والمجد الباطل.

ظن أليفانا أنه يبهج قلب يهوديت، بقوله: "وأما أنت فتقيمين في بيت نبوخذنصر الملك، وتكونين مشهورة في أنحاء الأرض كلها". ولعله قصد أن العالم كله سيشهد للخدمة التي ستقدمها لمملكة أشور.

---

[1] *Duties of the Clergy, Book 3: 13: 82.*

مر. وحي يهوديت ١١

هب لي روح الحكمة يا رب القوات

❖ لقاء خطير بين أرملة ضعيفة البنية وأعظم قائد!
التقت به دون أن تفارق الحضرة الإلهية عينيها.
كانت في خيمة خطيرة،
يخشى القواد الدخول إليها.
يرتعب الكل إن استدعاهم أليفانا، حتى للتشاور معهم.

❖ تقدمت يهوديت، وقد تسلحت بالله إلهها!
ظنها أليفانا أنها ترتعب أمامه وحوله كبار القادة.
حاول أن يطمئنها أنه رجل سلام لا يعرف الظلم.
حاول أن يتحدث معها في حوارٍ طويل.
أخذ موقف الحية في حديثها مع حواء.
لكن بنت حواء هذه كانت صورة لحواء الجديدة.
حواء الأولى اشتهت أن تصير مع رجلها مثل الله.
بنت حواء اشتهت أن تختفي في الله.
تكلمت بروح التواضع وفي حكمة.

❖ حاول أليفانا أن يخدعها ليغتصبها.
أما هي فتسلّحت بالقدوس القدير الذي لا يُخدع.

❖ ألقت بالصنارة أمامه، فهو ابن إبليس المتعجرف،
استراح لمديحها وُأعجب لحكمتها.
وحسب الله إلهها قد أحسن بإرسالها له.

❖ امتدح رسالتها، وظن أنه يغريها،
أكد لها أنها ستقيم في بيت الملك،
وتكون مشهورة في أنحاء الأرض.
أما هي فكانت تقيم في حضن الله،

وتُسر بها قوات السماء!

❖ هب لي يا رب روح التواضع مع الشجاعة.

أعطني روح الحكمة مع الشركة المقدسة.

اكشف لي عن الرسالة التي تخططها لي.

أنت سرّ نجاحي ونصرتي وفرحي مجدي!

الأصحاح الثاني عشر

ليلة فريدة حاسمة

يصور لنا هذا الأصحاح ليلة عجيبة، لم تكن في خطة يهوديت في تفاصيلها على ما أظن، إنما كانت ثمرة حياتها المقدسة وصلواتها المستمرة وتكريس كل قلبها للعمل لحساب خلاص شعبها.

لقد آمنت أنه قبل مرور المهلة التي قدَّمها عُزيًّا لشعبه لابد ليد الله أن تتدخل وتحسم الموقف لصالح شعبه، أما كيف فإن يهوديت لم تطلب اللقاء مع أليفانا لتدبر أمر الخلاص منه، إنما أليفانا هو الذي طلب اللقاء معها، حاسبًا أنه عار عليه أن تمر هذه الأيام الثلاثة ولا يقترب منها.

١. يَهوديت لم تتدنس بأطايب أليفانا ١-٤.

٢. يَهوديت في خيمة أليفانا ٥-٦.

٣. يَهوديت تطلب إذنًا للخروج للصلاة ٧-٩.

٤. يهوديت في مأدبة أليفانا ١٠-٢٠.

١. يَهوديت لم تتدنس بأطاييب أليفانا

ثُمَّ أَمَرَ بِإِدخالِها إِلى حَيثُ وُضِعَت آنِيَتُه الفِضيةِ،

وأَوصى بِأَن تُطعَمَ مِن مأكولاتِه،

وتَشرَبَ مِن خَمرِه [١].

اطمأن أليفانا من نية يهوديت، وأعجب بشخصيتها وحكمتها، وأراد تكريمها علانية أمام ضباطه المحيطين به، والذين حضروا اللقاء الأول بينه وبينها. حاول أليفانا أن يظهر لها اهتمامه بها، وإعجابه مع محبته وسخائه ووداعته.

منح أليفانا امتيازات خاصة ليهوديت، وإن كانت تحت حراسة مشددة، وأمر أن يُقدم لها من طعامه الخاص، وعلى مائدته الرسمية.

"آنيته الفضية": يُعتبر هذا امتياز كبير يُقدم لها أن تأكل بذات أدواته الذهبية والفضية.

فقالَت يهوديت: "لا آكُلُ شيئًا مِنها،

لِئَلاَّ يكونَ في ذلك سَبَبُ عَثْرَةٍ،
بل يَكفيني ما أَحضرته" [٢].

في جرأة وشجاعة وبأدبٍ رفضت أن تتنجس بأطايب القائد الوثني، متمسكة بصومها وطقوس الشريعة. حقًا لقد استخدمت الحيلة لأجل إنقاذ شعبها، لأنه لم يكن أمامها بديل، لكنها لم تتهاون في طهارتها وقداستها وتنفيذها للشريعة مادامت تستطيع ذلك.

بإيمان قوي وثقة في عمل الله صممت على تنفيذ الوصية، فترفض الطعام والشراب وكل أطايب هذا القائد. تعلمت أنه ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس، ووثقت أن الله يعطيها نعمة أمام أليفانا، فلا يمنعها من تنفيذ الوصية.

قالَ لَها أليفانا: "إذا فَرَغَ الَّذي مَعك،
مِن أينَ نأتيك بمِثلِ ذلك لِنُقَدِّمَه لَك؟
فلَيسَ عِندَنا أَحَدٌ مِن شعبك" [٣].

لم يعترض أليفانا على طلب يهوديت، لكن ما جعله مرتكبًا، أنه متى فرغ طعامها الذي جاءت به مع وصيفتها من أين له ما يقدمه لها حتى يرضيها.

قالَت لَه يهوديت: "تحيا نَفْسُكَ، سَيِّدي،
إِنَّ أَمتَكَ لا تَستَنفِدُ ما معي
حَتَّى يَصنَعَ الرَّبُّ بِيَدي ما أَرادَه" [٤].

"تحيا نفسك، سيدي": استخدمت يهوديت هذا التعبير ليس على سبيل التحية والدعاء، وإنما على سبيل القسم، مثل القول: "حية هي نفسك" (٢ مل ٢: ٢). لقد أقسمت بأن الله يحقق لها ما خرجت من أجله قبل أن تنفذ خبزاتها الطقسية القليلة.

ظن أليفانا أن يهوديت تفكر في تسليم المدينة له، وعندئذ ستجد طعامًا يناسبها هناك، ولم يخطر على فكره أنها كانت تثق في الله الذي يخلصها ويخلص مدينتها وشعبها من أليفانا نفسه.

وثقت يهوديت أنه ليس من معوقات تقف أمام إلهها الذي أرسلها لإنقاذ شعبه من هذا الشرير وجيشه.

٢. يَهوديت في خيمة أليفانا

وقادَها خدامُ أليفانا إلى الخَيمة،

فنامَت حتَّى نِصفِ اللَّيل.

ثُمَّ نهضَت عِندَ هَجيعِ الفَجْر، [٥]

في مثل هذه المواقف يصعب على الإنسان أن ينام، إذ يشغل الأمر فكره، ويجعله في حالة ارتباك شديد، لكن يهوديت نامت وهي مطمئنة وواثقة في عمل الله معها وخلالها. إنها كبطرس الرسول الذي نام في السجن في طمأنينة.

وأرسلَت إلى أليفانا تَقول:

"لِيأمُرْ سَيِّدي بِأَن يُؤذَنَ إلى أَمَتِه بالخروجِ لِلصَّلاة" [٦].

إذ جاءت اللحظة الحاسمة وقفت يهوديت أمام السرير تصلي بدموعٍ وفي صمتٍ (١٣: ٦).

شعرت أن الموضع مناسب للصلاة والإقامة المؤقتة فيه بعيدًا عن الأنظار، وإن كان قريبًا من خيمة أليفانا. إنما ينقصها عيون الماء التي تحتاجها للاغتسال قبل القيام بالصلوات حسب الشريعة، فأرسلت إلى أليفانا تطلب تصريحًا لها ولوصيفتها للخروج في أية لحظة إلى وادي بيت فلوي لتغتسل في عين الماء، وذلك أسفل الجبل الذي تقع عليها مدينتها. طلبت هذا التصريح لمدة ثلاثة أيام.

٣. يَهوديت تطلب إذنًا للخروج للصلاة

فأوصى أليفانا حُرَّاسَه بعَدَمِ التَّصدِّي لَها.

وبقِيَت في المُعَسكَرِ ثَلاثَةَ أَيَّام.

وكانَت تَخرُجُ لَيلاً إلى وادي بَيتَ فَلْوي،

وتَغتَسِلُ في عَينِ الماءِ في المُعَسكَرِ [٧].

بسبب إعجابه الشديد بيهوديت ورغبته في ارضائها بكل وسيلة، ليزداد تعلقها به كما ظن، ولكي تطمئن إليه ولا تخشاه كقائدٍ عنيفٍ، وافق على طلبها، دون التفكير أنها تقترب جدًا من مدينتها عند الاغتسال.

يهوديت تسأله الدخول والخروج ثلاثة أيام لتتعبد لله (رمز القيامة) ولقاؤها معه وإعجابه الشديد بها. حملت قوة القيامة الغالبة (١٢). في اليوم الرابع وافقت أن تجلس مع القائد وتأكل وتشرب، لكنها أكلت مما هيأته لها جاريتها، وطلب القائد من بوغا خصيه أن ينطلق ويتركهما. شرب القائد كثيرًا جدًا أكثر مما شرب في جميع حياته.

غالبًا ما أعطيت علامة "كلمة سر" تنطق بها فتعبر وسط المعسكر وتخرج وتدخل في أمان.

كانت يهوديت تبدأ يومها بالصلاة عند الفجر، تقدم باكورة اليوم لله.

كانت يهوديت تحرص على طهارة الجسد كما على طهارة النفس، فكانت تبدأ يومها بالاغتسال والتطهر بعيدًا عن معسكر الوثنيين الذين اضطرت أن تسكن إلى حينٍ في وسطهم. واختارت أن تغتسل بمياه يهودية، عند سفح الجبل المقامة مدينتها عليه.

وبَعدَ صُعودِها من الماء كانَت تتَضرَّعُ إلى الرَّبِّ إلهِ إسْرائيلَ،
أن يُرشِدَ طَريقَها لِنصرةِ شَعبِها [٨].

كانت يهوديت تصعد كل ليلة لتغتسل وترفع قلبها للصلاة حتى شروق الشمس. لم تتوقف عن هذا العمل طوال الثلاثة أيام. وكانت ترجع إلى خيمتها لتقضي وقتًا طويلاً في الصلاة، وتصوم حتى المساء.

لم تشعر يهوديت أنها كانت في وسط معسكر الأعداء الوثنيين، إنما كأنها لا تزال في عليتها تكرس حياتها للعمل الروحي، ويلتهب قلبها للخدمة.

وإذا عادَت طاهِرة،
كانَت تُقيمُ في الخَيمة،
إلى أن يُقَدَّمَ لَها طَعامُها عِندَ المَساء [٩].

بجانب الاغتسال والتطهر بمياه يهودية، وتقديم ذبيحة الصلاة والشكر مع بداية النهار، كانت تعود لتقضي يومها في خيمتها التي حولتها إلى مكانٍ للعبادة، وتمارس الصوم، فلا تأكل إلاَّ في المساء. هكذا اقترن سهرها بالصلاة والتأمل والصوم (مز ٦٣: ٧؛ ١١٩: ٦٢؛ مز ١٤٧؛ مز ١٤٨؛ حك ١٦: ٢٨).

لقد حولت خيمة الوثنيين التي يحيط بها خيام الوثنيين الأشرار إلى مكان مقدس للعبادة.

٤. يهوديت في مأدبة أليفانا

وكانَ في اليَومَ الرَّابِعَ أنَّ أليفانا أقامَ مأدُبةً للعاملين معه شخصيًا،
ولم يَدْعُ إليها أحدًا من ضُبَّاطه [١٠].

بعد انقضاء الثلاثة أيام في صلوات وأصوام وتنهدات وهي تنتظر أن يعلن الله لها

خطته الإلهية ومشيئته فوجئت بأن أليفانا يدعوها إلى وليمة عشاء، كما يدعو إليها المقربين إليه من ضباطه الخصوصيين، ولم يدعُ إليها أحدًا من ضباطه غير المقربين.

لم تكن مأدبة لمحادثات عسكرية أو للتشاور في اقتحام بيت فَلْوي أو غيرها، إنما كانت أقرب إلى وليمة عائلية غايتها الاقتراب من يهوديت ليقضي معها ليلة يستولى فيها على قلبها، لأنها استولت على قلبه.

وقَالَ لِبوغا *Bagoas* الخَصيِ القائمِ على جَميعِ أعْماله الشخصية:
"اِذهَبْ وأقنِعِ المرأةَ العِبرانيَّةَ الَّتي عِندَكَ بِالمَجيءَ إلينا،
والأكلِ والشُّربِ معَنا [١١].

مع ما لأليفانا من قوة وجبروت غير أنه أمام هذه الأرملة صار في صراعٍ داخلي رهيب.

أولاً: شعر بعدم الرغبة في اغتصابها بالعنف بالرغم من عدم وجود مانع يعوقه عن ذلك، إذ هي جاءت إليه بنفسها، لا يرافقها سوى وصيفتها، ويمكنه أن ينفرد بها في مخدعه بسهولة.

ثانيًا: أحبها جدًا، واشتهى أن يلتصق بها.

ثالثًا: ربما شعر بنوعٍ من المهابة من ناحية صلاحها وقداستها، فلم يجرؤ أن يصارحها بما في قلبه علانية وبطريقة واضحة.

هذا كل دفعه أن يطلب من حارسه الخاص أو رئيس حرسه الخاص أن يفاتحها في الأمر، ويقنعها بذلك. وغالبًا ما وعد بوغا بمكافأة عظيمة إن نجح في هذه المهمة.

فإنَّه عارٌ عِندنا أن نُخليَ سَبيلَ مِثلِ هذِهِ المرأةِ دُونَ أن نُعاشِرَها.
وإن لم نَستَمِلْها تَسخَرَ بِنا" [١٢].

يا للعجب، فإن الأشرار لا يسقطون في الخطية فحسب، ولا يستعبدون أنفسهم لها فقط، وإنما يحسبون عدم ممارستها عارًا وخزيًا. هكذا يشوّه عدو الخير المفاهيم، فيجعل من السلوك باستقامة وطهارة أمرًا مشينًا يخجل منه الإنسان.

فخَرَجَ بوغا مِن وَجهِ أليفانا، ودَخَلَ إلَيها، فقال:
"لا تتردَّدْ هذه الخادمةُ الحَسْناءُ في المَجيءَ إلى سَيِّدي،
لِتُكرَّمَ أمامَ وَجهِه، وتَشْرَبَ مَعَنا خَمرًا بِفَرَحٍ،

فتصبحَ في هذا اليَوم كابنَةٍ من بَنَاتِ بَني أشور،
اللَّواتي يخدمنَ في بَيتِ نَبوخَذنَصرٌ" [١٣].

ظن أليفانا ورجاله أن دعوة يهوديت للمأدبة وضمها إلى الجواري في بيت الملك أمر يشرفها ويبهج قلبها، ولم يدركوا أنها قدمت قلبها وحياتها مكرسة للعريس السماوي.

قالَت لَه يَهوديت: "ومَن أنا حتَّى أُخالِفَ سيِّدي؟
كُلُّ ما حَسُنَ في عَينَيه أصنَعُه للحال،
ويكونُ ذلك فرَحًا لي حتَّى يَومَ مَوتي" [١٤].

أدركت يهوديت أن الله قد أنجح طريقها، فمع تمسكها بطهارتها، وافقت بل ورحبت بعرض أليفانا، وقد أدركت أنه قد حان الوقت من قبل الله للخلاص من هذا المُفسد الذي يعيِّر رب القوات.

لقد وثقت أنها وإن التزمت أن تتزين وتدخل مخدع أليفانا، فإن الله يحفظها في الطهارة والقداسة، ويقوم بضرب هذا العدو الذي يود أن يحطم المقادس الإلهية.

ثُمَّ قامَت وتَزَيَّنَت بِمَلابِسِها وبِجَميعِ زينَتِها النِّسائيَّة،
ودَخَلَت وَصيفَتُها،
وفَرَشَت لَها على الأَرضِ تُجاهَ أليفانا
الجُزَزَ الَّتي حَصَلَت علَيها مِن بوغا لاستعمالها اليَوميِّ في الأَكلِ،
وهي مُتَّكِئةٌ علَيها [١٥].

بعد موافقة يهوديت لبوغا على طلب أليفانا استأذنته، ودخلت خيمتها، ولبست ثيابًا جميلة برّاقة، وتزينت بكامل زينتها، كما سبق ففعلت قبل ذلك بثلاثة أيام في لقائها الأول مع أليفانا.

أعدت مع وصيفتها طعام العشاء لهما، وذهبتا مع بوغا إلى خيمة أليفانا العظيمة، فدخل بوغا وأخبر أليفانا بنجاحه في أداء مهمته. ابتهج أليفانا جدًا ثم أُدخلت إليه في مخدعه، وبقيت وصيفتها مع بعض الحراس في حجرة الاستقبال الخارجية. وعندما رآها أليفانا انبهر بجمالها وتحركت شهوته بعنف، فأخذ يشرب خمرًا بلا ضابط. أما هي فأعطاها الله طمأنينة وقوة وثباتًا حتى لا يتشكك أليفانا في أمرها[١].

[١] القس يوحنا باقي.

ثُمَّ دَخَلَت يَهوديتُ واتكأت،
فشُغِفَ بِها قَلبُ أليفانا واضطَرَبَت نَفسُه،
واشتَدَّت شَهوتُه نحوها.
وكانَ يتَرَقَّبُ الفُرصةَ لإغوائِها مِن يومِ رآها [١٦].

اتكأت يهوديت، وقد أظهرت كأنها في أسعد لحظات عمرها، أما أليفانا فحسب أنه قد جاءت اللحظة التي طالما كان يترقبها. ومن فرط كبريائه لم يشك في إعجابها به، وأنها تشعر بالفخر لمصاحبته وقضاء ليلة معه.

إذ خلق الله آدم وحواء رأى كل شيء حسناً جدًا. فالإنسان بروحه وجسده وطاقاته ومواهبه وكل إمكانياته هو عطية الله الصالحة. إن أُحسن استخدمها كانت لمجد الله وبنيان البشرية وخلاص الإنسان، وإن أساء استخدامها حطمته وأساءت إلى الجماعة، كما قد يُجدف على اسم الله بسبب سوء استخدامنا لما وُهب لنا.

كانت دليلة جميلة، واستخدمت جمالها ورقتها لتسحب من شمشون تعقله، وتفقد قوة الله العاملة فيه. وكانت يهوديت جميلة، وتقدس جمال جسدها بجمال روحها وغيرتها وتعقلها، فخلصت من الشر الذي كان سيلحق بها كما أنقذت كل شعب الله بروح الإيمان مع الصلاة والطهارة والعفة والحكمة.

فقالَ لَها أليفانا: "اشربي وشاركينا في الفَرَح" [١٧].

دعاها أليفانا كي تشرب وتسكر وتفرح به ومعه. أما هي فكانت تشرب من عصير العنب الذي كانت قد جاءت به حتى لا تسكر وتفقد وعيها مثله.

فقالَت يَهوديت: "بالحقيقة الآن بفرحٍ أشربُ، يا سَيِّدي،
فإن هذا اليومِ هو أفضل جَميعِ أيَّامِ حَياتي" [١٨].

أجابته يهوديت معلنة له أن هذا اليوم أكرم يوم في حياتها.

ظن أليفانا أنها تعتز بهذا اليوم لوجودها في صحبته، أما هي فحسبته أسعد يوم من أجل خلاص الله لشعبه على يديها.

وتَناوَلَت ما كانَت قد هيَّأَته وَصيفَتُها،
فأكَلَت وشَرِبَت بِحَضرَتِه [١٩].

سمح لها أليفانا أن تأكل من طعامها وشرابها إذ أعطاها الله نعمة في عينيه لكي لا

يُلزمها على أن تشاركه أطايبه.

ففَرِحَ أليفانا بِها، وشَرِبَ مِنَ الخَمرِ شَيئًا كثيرًا جدًّا،
أكثَرَ مِمَّا شَرِبَ مِنها في أي يَوم مُنذُ مَولدِه [٢٠].

فرح أليفانا وشرب خمرًا كثيرًا ليحقق شهواته الجسدية والملذات، بينما تهللت يهوديت إذ رأت عمل الله واضحًا وأنه قد أنجح طريقها لإنقاذ شعبه.

لقد فقد أليفانا وعيه وعقله بل ورأسه قبل أن تطيح بها يهوديت.

❖ لماذا أتحدث عن الرجال؟ لم تتأثر يهوديت قط بمأدبة أليفانا المترفة، فحققت النصرة التي يئس منها رجال الجيوش، وذلك خلال ضبط نفسها وحدها. لقد أنقذت بلدها من الاحتلال الأجنبي، وقتلت قائد الحملة بيديها. هذا برهان واضح أن الترف أضعف ذلك المقاتل المرعب للأمم؛ وأن ضبط النفس جعل هذه المرأة أقوى من الرجال. في هذا المثال لم تتسم بطبيعة جنسها (كامرأة)، وإنما غلبت خلال نسكها[1].

القديس أمبروسيوس

من وحي يهوديت ١٢

لقاء ثانٍ في مخدع أليفانا

❖ حرصت يهوديت ألا تتدنس بأطياب أليفانا.
لكن ما يشغلها بالأكثر أن يمد الله يده لخلاص شعبه.
من أجل حبها لشعبها قبلت أن تتزين وتدخل مخدع أليفانا.
وثقت في القدوس أنه يحفظ طهارتها وعفتها.
سمحت بالمظاهر الخارجية أن تتغير،
أما قلبها فكان كالصخرة لا يتزعزع.

❖ دخلت إلى المخدع، وفرحت وأكلت وشربت.
لكنها لم تسلم مشاعرها ولا جسدها للشر.
ولم تتهلل إلا لرؤيتها المخلص القدير.
لم تمتد يدها لطعامٍ أو شرابٍ دنس.

---

[1] *Epistle 63:29.*

❖ كانت على مائدة أليفانا بجسدها،

أما بقلبها وإرادتها وكل كيانها الداخلي،

فكانت تشترك في المائدة السماوية.

❖ هب لي يا رب روح الحكمة والتمييز.

هب لي إلا أتهاون في الحياة المقدسة.

لألتصق بك أيها القدوس، فتقدسني إلى التمام.

الأصحاح الثالث عشر

قتل أليفانا المتكبر

يقدم لنا هذا الأصحاح موقفًا خطيرًا، يبدو أنه فريد من نوعه، لكنه في الحقيقة هو موقف كل مؤمنٍ جادٍ، مهتم بالعمل لحساب ملكوت الله بروح القوة والرجاء.

ما هي مشاعر الأرملة الصغيرة الضعيفة التّقية وهي وحدها في حضرة بطل العالم في ذلك الحين، يُرهب الملوك وقادة الجيوش وكل القيادات. رجل حرب خطير يتحدى الله نفسه، وكل الآلهة، واثقًا من نفسه أن يقيم من ملكه نبوخذنصر إلهًا للأرض كلها!

أدركت يهوديت أنها ليست وحدها، لكنها في حضرة إله الآلهة ورب الأرباب، رب الجنود السماوية، تحمل في قلبها كل شعبها، تتحرك باسمهم.

إنها فرصة فريدة تعيشها لمجد الله وبنيان شعبه.

هذه هي صورة المؤمن وهو يقف في معركة مع إبليس الذي يقيم نفسه إلهًا على كل المسكونة. لكن حقيقة الموقف هي معركة بين إبليس والله الحيّ القدير ضابط الكل. حتمًا ينهار إبليس، ويفقد رأسه ورئاسته، وينحدر لا على الأرض بل إلى الهاوية، ويصير موضوع سخرية الجميع.

أنجح الرب طريق يهوديت، ففي اللحظة الحاسمة، قبل انقضاء مدة الخمسة أيام التي أعطاها عزيّا للشعب ليعمل الله خلالها وينقذهم من يد أليفانا، وجدت يهوديت فرصتها للتحرك. فقد انسحب بوغا *Bagoas* وكبار الضباط من الحفل ليتركوها وحدها مع أليفانا [١-٤]. قدمت صلاة لنوال قوة للعمل [٤-٥]، ثم تحركت للعمل [٦-١٠]. وإذ قطعت رأس المتكبر جاءت بها إلى أهل مدينتها [١١-١٦]، حيث تحولت المدينة كلها إلى خورس لتسبيح الله [١٧]، وقام عزيّا يبارك هذه البطلة الشجاعة [١٨-٢٠].

١. يهوديت مع أليفانا وحدها ١-٣.

٢. صلاة يهوديت الثانية ٤-٥.

٣. قتل أليفانا المتكبر ٦-١٠.

٤. يهوديت تأتي إلى بيت فلوى برأس أليفانا ١١-١٦.

٥. الشعب يسبح الله ١٧.

٦. عزّيا يبارك يهوديت ١٨-٢٠.

١. يهوديت مع أليفانا وحدها

ولَمَّا كانَ المَساء، أسرَعَ خدامه في الانصِراف.
وأغلَقَ بوغا الخَيمَةَ مِنَ الخارِج،
وصَرَفَ العاملينَ مِن وَجهِ سَيِّدِه،
فذَهَبوا إلى مضاجِعِهم،
لأنَّهم كانوا جَميعًا مُثقَلينَ مِنَ الوليمة لأنها امتدت إلى مدة طويلة [١].

أدى بوغا رئيس الحرس الخاص لأليفانا، خاصة في خيمته، مهمته الصعبة، إذ نجح في إحضار يهوديت بسهولة إلى سيده لتشترك في الوليمة.

شعر بوغا أنه ليس من اللائق أن يبقى مع سيده، وقد تثقل سيده من الخمر. غالبًا ما طلبت يهوديت من بوغا أن يبلغ الحرس بالسماح لها مع وصيفتها بالذهاب كعادتها للاغتسال في عيون الماء التي بجوار بيت فلْوى، فقبل طلبها بكل سرور.

خرج بوغا من المخدع ومضى.

يحدثنا الكتاب المقدس عن خطورة السُكر: "الخمر مستهزئة، المُسكر عجاج، ومن يترنح بهما ليس بحكيم" (أم ٢٠: ١). "لا تكن بين شريبي الخمر، بين المُتلفين أجسادهم" (أم ٢٣: ٢٠). "لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت، حين تظهر حبابها في الكأس، وساغت مرقرقة" (أم ٢٣: ٣١).

❖ الذين يأكلون الخبز السماوي يصيرون سمائيين دون شك! يعلمنا الخمر أنها تجعل المولعين بها أن يصيروا مثلها، فإنها تبغض الذين يولعون بها، وتُسكرهم، وتجعلهم مجانين، وتسخر بهم[1].

القديس مار افرآم السرياني

❖ من في العالم لا يعرف أن شرب الخمر بغير اعتدال بما يزيد عن الضرورة، هو اندفاع نحو الانحلال، وطريق لتسيّب الإنسان، وأنيّة للشباب، وتشويه للسن، وخزي للنساء، وسم يؤدي إلى الجنون، وعون للعته، ودمار للنفس، وقتل للفهم، وتغرُّب عن الفضيلة؟ منها ينبع المرح الدنيء، والمرارة بلا سبب، والدموع بلا معنى، والزهو بلا أساس، والكذب المعيب،

[1] *Hymns on the Nativity, 3.*

والشوق نحو الوهم الكاذب، وتوقّع التهديدات العنيفة الهائلة، والخوف بلا سبب، وعدم الحذر مما هو بالحق مخيف، والحسد بلا داعي، والأُنس المبالغ فيه، والوعد بأمور مستحيلة، هذا دون الإشارة إلى انحناء الرأس بطريقة غير لائقة، والرعشة، والصداع برأسٍ مثقلةٍ... وحركة الأعضاء غير المتزنة، وانحناء الرقبة التي لا تقدر بعد أن تسند نفسها على الكتفين، حيث يحل الهزال بعضلات الرقبة بواسطة الخمر[1].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ بالإشارة إلى احمرار العينين يعني الموت... إذ ينسى الإنسان الدوافع التي تحثه على طلب الحياة الحقيقية، ينحدر إلى الفساد بسببٍ صالحٍ، فإن المعلم (المسيح) المهتم بخلاصنا يمنعنا منها بشدة: "لا تشربوا خمرًا مسكرًا"[2].

القديس إكليمنضس السكندري

وتُرِكَت يَهوديتُ وَحدَها في الخَيمة،
وكانَ أليفانا مُستَلقِيًا على سَريرِه،
لأنَّه كانَ في غير وعيه من الخَمْر [٢].

ارتمى أليفانا على سريره يغط في نومٍ عميقٍ فاقدًا وعيه مثل القتيلِ، قبل أن تمتد يد يهوديت لتقتله. قتل نفسه بنفسه بكبريائه وعنفه وشهواته. كان يستعد لمذلة الموت البشع!

كانت يد الله تعمل بطريقة عجيبة، فإن كانت يهوديت قد اتسمت بالشجاعة والحكمة والطهارة، لكنها كانت تحتاج إلى معونة الله أولاً وقبل كل شيءٍ. وقد ظهر ذلك من الآتي:

أ. تُركت وحدها مع أليفانا في الوقت المناسب بعد أن فقد وعيه، وصار يغُط في نومٍ عميقٍ، وإلا كرجل جبار كان قد اغتصبها بعنفٍ أثناء سُكره.

ب. أثار جمالها رغبته الشديدة للسُكر في إفراط تعدّى حدود إمكانيته، حتى يسقط تحت ثقل النوم وعدم الوعي.

ج. انشغل الحراس باللهو والسُكر والأكل، ولم يخطر على فكرهم الاهتمام بحراسته وحراسة الخيمة.

د. شعر بوغا بطمأنينة، فنسى دوره كرئيس للحرس، وترك سيده بلا حراسة، حاسبًا أنه غارق في شهواته وملذاته وأفكاره من نحو يهوديت.

---

[1] Homilies on Ecclesiastes, 3.
[2] *Paedagogus 2: 2: 27-28.*

هـ- نُزعت كل حراسة بشرية لأليفانا الجبار، بينما قام الرب نفسه بحراسة يهوديت ووصيفتها ليُنجح طريقهما.

أمَرَت يَهوديتُ وصيفَتَها الأمينة أن تَبقى خارِجَ المخدَع،
وتنتظر خُروجَها،
كما تَفعَلُ كُلَّ يَوم،
قائلةً إنَّها ستَخرُجُ للصَّلاة،
وكانَت قد قالَت لِبوغا أيضًا هذا الكلام [٣].

بحكمةٍ وتعقل أخبرت يهوديت الخصي بوغا بأنها ستخرج للصلاة كعادتها، وأن سهرها في هذه المأدبة إلى قرب الفجر لن يعفيها عن إتمام مهمتها. بهذا وضعت اللمسات الأخيرة للخطة حتى لا يتشكك أحد في أمرها.

واضح أنه حتى هذه اللحظة لم تكن تعرف الوصيفة ما في ذهن يهوديت، فقد وضعت يهوديت في قلبها ألاَّ يعرف أحد قط الخطة التي في ذهنها حتى يتحقق الخلاص تمامًا. كان سرًا مكتومًا. وهي تتشبه بالسيد المسيح الذي لم يستطع أحد من السمائيين أو الأرضيين أن يدرك سرّ الصليب حتى تكشفه قيامته.

لقد طلبت من وصيفتها أن تنتظرها خارجًا، ربما لكي ما إذا فكرّ أحد الحراس بالعودة لسببٍ أو آخر يجد الوصيفة خارج المخدع، فلا يجرؤ أن يدخل المخدع حيث يوجد أليفانا ويهوديت وحدهما.

لعل الحراس وأيضًا بوغا وجدوا في الوليمة الضخمة فرصتهم ليحملوا معهم من الخمر والطعام ما لذّ لهم لكي يكملوا سهرهم في اللهو والسُكر. وهذا كفيل أن يسد آذانهم عن سماع أي صوت غريب يحدث عندما تضرب يهوديت رقبة أليفانا بسيفه.

٢. صلاة يهوديت الثانية

اِنصَرَفوا جَميعًا مِن وَجهِه،
ولم يُترَكْ أَحَدٌ في المُخدَعِ مِن صَغيرِهم إلى كَبيرِهم.
فوَقَفَت يَهوديت عِندَ سَريرِه،
وقالَت في قَلبِها:
"يا رَبّ، يا إِلهَ كُلِّ قُوَّة،

أُنظُرْ في هذِه الساعةِ إلى أعْمالِ يَدَيَّ لِمجدِ أورَشليم [٤].

قدمت يهوديت صلاة قصيرة نابعة من أعماق قلبها تطلب العون الإلهي لا لبرٍّ فيها، وإنما من أجل رفع شأن مدينة الله أورشليم.

لقد مارست ما فعله القاضي أهود حين قتل عجلون ملك موآب (قض ٣: ٢٠-٢٣)، وياعيل امرأة حابر القيني حين قتلت سيسرا (قض ٤: ١٧-٢١). لكن شتّان بين أهود رجل الحرب صاحب الخبرة العسكرية وأرملة رقيقة الطبع لا تحتمل رؤية قتيل. وشتّان ما بينها وبين ياعيل، فالأخيرة قتلت سيسرا الهارب والمختبئ بمفرده في خيمتها، وأما يهوديت فكانت في خيمة القائد ويحوط بها جيش العدو وخيامه من كل جهة.

طلبت معونة الله لعمل يديها، وكما يقول المرتل: "لتكن نعمة الرب إلهنا علينا، وعمل أيدينا ثبت علينا..." (مز ٩٠: ١٧)، "الذي تثبت يدي معه، وأيضًا ذراعي تشدده" (مز ٨٩: ٢١).

فقَد حانَت ساعةُ العونِ بِميراثِكَ،
وتَحقيقِ ما عَزَمتُ علَيه،
لِمَحقِ الأَعداءَ الَّذينَ قاموا علَينا" [٥].

وجدت يهوديت معيّر رب الجنود قد فقد وعيه، غارقًا في نوم عميقٍ، وقد هيّأ لها الله الجو من كل جانب لإنقاذ شعبها. تأكدت أن وصيفتها تجلس وحدها في حجرة الاستقبال، ولا يوجد حارس واحد في الخيمة، بل ذهب كل منهم إلى خيمته يأكل ويشرب ويلهو.

قامت يهوديت بواجبها، وطلبت من الله المعتني بميراثه، أن يسندها في مهمتها. لقد طالبته بوعوده أن يتعهد شعبه.

٣. قتل أليفانا المتكبر

فدَنَت مِن أحد أعمدة السريرِ الَّتي عِندَ رَأسِ أليفانا،
ونَزَعَت منه سيفه المُعلق عليه [٦].

كان من عادة الملوك والقادة أن يحتفظوا بسلاحٍ شخصي يُعلق في أحد أعمدة السرير، ربما كنوعٍ من الافتخار بقوته وعمله العسكري، أو تحسُّبًا لأي طارئ قد يهدد حياته، لاسيما من قِبل رجال البلاط الملكي. كما كان كل منهم يحمل سلاحه أثناء الطريق. وقد اعتاد كثيرون على تعيين شخص يحمل سلاحًا لحمايته، يُدعى "حامل السلاح" (١ صم

٣: ٤-٦).

جاء في بعض ترجمات أن هذا السلاح هو خنجر والبعض سيف، ولعله كان سيفًا صغيرًا.

واقتربت مِنَ السرير،
وأَخَذَت بِشَعرِ رأسِه،
وقالَت: قَوِّني، يا رَبّ، يا إلهَ إسرائيلَ، في هذه اللحظة" [٧].

تقدمت يهوديت من السرير، ووهبها الله شجاعة وقوة لإتمام مهمة صعبة تتعارض مع طبيعتها الرقيقة. فقد قضت حياتها كأرملة تعيش في هدوء داخل بيتها، متفرغة للصلاة والتأمل ودراسة الكتاب المقدس.

تطلعت يهوديت إلى العمود الذي بجوار رأسه، فوجدت سيف أليفانا معلقًا، فحلّته، وأمسكت بيدها اليسرى شعره ورفعته عن الوسادة، وهو غارق في نومه. صرخت في أعماقها تطلب القوة من الله، ثم ضربت عنقه من الخلف مرتين، وفصلت رأسه من جسده، وسالت دماؤه على فراشه.

❖ نقرأ في سفر يهوديت... عن أرملة أُنهكت بالصوم، ترتدي ثوب الحزن الداكن اللون. الذي يشير بشكله الخارجي الوضيع ليس إلى حزنها على زوجها الميت بقدر نزعتها نحو التطلع لمجيء عريسها (السماوي).

إنني أرى يدها مسلّحة بسيف ملطخ بالدم. إنني أعرف رأس أليفانا الذي جاءت به من معسكر العدو. هنا امرأة تغلب الرجال، والطهارة التي تنزع رأس الشهوة. إنها بسرعة غيّرت ثوبها مرة أخرى في ساعة نصرتها، فإن ثوبها المتواضع أكثر بهاء من كل أُبهة العالم[١].

القديس جيروم

ثُمَّ ضَرَبَت مَرَّتَينِ عُنُقَه بِكُلِّ قُوَّتِها،
فَقَطَعَت رأسَه [٨]

استمدت يهوديت في هذه اللحظة التاريخية الحاسمة قوة من الله، وضربت العنق

---

[1] *Letter to Furia 54:16.*

مرتين، حتى انفصلت الرأس عن الجسم. نزعت الناموسية ولفت بها الرأس حتى تؤكد أنه قُتل في عُقر داره.

لم تقتل يهوديت أليفانا عن عداءٍ شخصي أو انتقامًا لضرر شخصي أصابها، ولا رغبةً في نوال شيء مادي أو معنوي، إنما غيرةً على الله الذي يود الملك بقائده أن يحتل مركزه في قلوب البشر، ودفاعًا عن شعبها والمدينة المقدسة وهيكل الرب.

كان موقفها كموقف القائد الذي يدخل في معركة دفاعًا عن وطنه.

يهوديت تقطع رأسه (رمز الشيطان)، وترجع إلى بيتها (الفردوس) مع وصيفتها. مجّدت الله أمام الشيوخ، لأنه أرسل ملاكه في مسيرها، ولم يسمح أن تتدنس، ووهبها الغلبة والخلاص. وإذ سمع عزّيا بارك الرب الذي سدد يدها لضرب رئيس قائد أعدائهم.

كان أليفانا في حالة سكر شديدة حتى أنه لم يستيقظ فجأة ويصارع.

دعت ياعيل سيسرا رئيس الجيش إلى خيمتها لتستضيفه وتحميه وفي خيمتها قتلت من استضافته وهو في نوم عميق. ويهوديت دعت نفسها للاستضافة في خيمته أليفانا رئيس الجيش الأشوري وبخنجره قتلت من استضافها في خيمته.

❖ لكن يهوديت أيضًا التي صارت كاملة بين النساء، في أثناء حصار المدينة، عند توسل الشيوخ ذهبت إلى محلة الغرباء، مستهينة بكل خطرٍ من أجل بلدها، وسلّمت نفسها في يد العدو مؤمنة بالله. وللحال نالت مكافأة إيمانها، وهي امرأة انتصرت على عدو إيمانها، ونالت رأس أليفانا. مرة أخرى أستير الكاملة في الإيمان خلّصت إسرائيل من قوة العدو[1].

القديس إكليمنضس السكندري

❖ يهوديت الجريئة، بحيلتها الماهرة قطعت رأس قائد الأعداء الغرباء، هذه التي قبلاً أغرته بشكلها الجميل دون أن تدنس أعضاء جسمها[2].

الأب ميثوديوس

ودَحرَجَت جُثَّتَه عن السرير،
ونَزَعَتِ النَاموسِيَّةَ عن الأعمِدة.
وخَرَجَت بَعدَ لحظات،

---

[1] *Stromata 4:19.*
[2] *Methodius: The Banquet of the Ten Virgins, or Concerning Chastity, Discourse 11:2:14.*

وناولَت وصِيفَتَها رأسَ أليفانا [٩].

كان سريره للنوم كما للجلوس كما على كرسي العرش تحيط به ستارة ملوكية.

سرعان ما دحرجت جثته بقوةٍ من على السرير، ووقفت إلى لحظات تشكر الله وتتأمل عمله العجيب معها. ثم حملت الرأس بعد أن لفتها في الناموسية وخرجت من المخدع، وسلمت الرأس لوصيفتها.

فوَضَعَته في جُعبَتِها.
وخرَجَتا كِلتَاهما كعادَتِهما للصَّلاة،
واجتَازَتا المُعَسكَر، وعبرتا في الوَادي،
وصَعِدَتا جَبَلَ بَيتَ فَلْوى،
ووَصَلَتا إلى أبْوابِها [١٠].

وضعت الوصيفة الرأس في جعبتها التي اعتادت أن تحملها أثناء خروجهما من المعسكر للصلاة.

إذ حان وقت الفجر حيث اعتادتا على الخروج للصلاة انطلقتا في هدوءٍ واجتازتا المعسكر، دون أن يعير ذلك انتباه الجنود. انطلقتا لا إلى خارج المعسكر فحسب، وإنما بلغتا هذه المرة إلى باب مدينة بيت فَلْوى، حيث اختفتا عن أعين الجنود دون أن يشك أحد فيهما.

استمرت عبادة يهوديت لمدة ثلاثة أيام، وهي المدة التقليدية في التكريس والانقطاع للعبادة والتوسل إلى الله في فترات الضيق والخطر، وهي المدة التي كثيرًا ما يتفرغ فيها رجال الله للعبادة لطلب مشورة الله في أمرٍ خطيرٍ. وقد انقطع يونان للعبادة في بطن الحوت ثلاثة أيام، وأيضًا أهل نينوى للتوبة والرجوع إلى الله. بهذا تمت المهمة التي كانت تبدو مستحيلة.

حقًا أقام أليفانا وليمة لكبار ضباطه، دُعيت إليها يهوديت، الآن أدركت أن هذا الأمر قد تحقق بسماحٍ إلهي لتُنفذ خطتها.

٤. يهوديت تأتي إلى بيت فَلْوى برأس أليفانا

فنادَت يَهوديتُ عن بُعدٍ حُرَّاسَ الأبْواب:
"افتَحوا، افتَحوا الباب!
فإنَّ اللهَ إلهَنا مَعَنا!

لِيُظهِر قُوَّتَه في إسرائيلَ وقُدرتَه على أعدائنا،
كما فَعَلَ اليَوم!" [١١]

من يستطيع أن يعبّر عن فرح يهوديت بعمل الله معها، فقد وهبها الله النصرة لحساب شعبه. لقد نادت حرّاس الأبواب والموجودين على أسوار المدينة، في لهجة النصرة والتهليل.

طلبت يهوديت أن تُفتح لها الأبواب لتدخل مع وصيفتها، لأن "الله معنا". إنها تمثل الكنيسة التي تتمتع بسكنى المخلص في وسطها، فتتفتح أمامها الأبواب الدهرية، لتدخل أورشليم العليا، وتتغنى بتسبحة الحمل، أو بنشيد النصرة الأبدية.

فلمَّا سَمِعَ رِجالُ مَدينتها صَوتَها،
أسرَعوا في النُّزولِ إلى أبوابِ المَدينَة،
و دَعَوا شُيوخَ المَدينَة معًا [١٢].

كشف صوت يهوديت أنها تحمل أخبارًا سياسية خطيرة وسارة للغاية. جاءت في لحظاتٍ حرجة، فقد تبقى يوم واحد من المهلة التي طلبها عزّيا من الشعب أن يصبروا، وقد كادت تنتهي أيام المهلة ويبدو كأن الله لم يتحرك لخلاصهم، وأوشك الكل أن يستسلم.

عادت يهوديت من معسكر الأعداء متهللة للغاية، فهل استطاعت أن تقنع أليفانا بالانسحاب؟ وما هي شروطه؟

لقد دعا الحراس الشيوخ في ساعة مبكرة للغاية، فالأمر جد خطير، والمدينة كلها في حالة انهيار من العطش مع اليأس، وعدم ظهور أية علامة لتحرك السماء لحسابهم.

وبادَروا جَميعًا من صَغيرِهم إلى كَبيرِهم،
لأنَّ مَجيئَها كانَ يَبدو لَهم أمرًا غَيرَ مُتوقَّع.
وفَتَحوا الأَبْوابَ واستَقبَلوهما،
وأضرَموا نارًا لِلإضاءَة،
ورحبوا بالمرأتين [١٣].

لم يعد الأمر يخص فئة القادة وحدهم، ولا فئة البالغين من الجنسين، إنما تخص أيضًا حتى الأطفالِ الصغار. سَرَى الخبر في المدينة كلها، فجاء الكل و حملوا المشاعل للإضاءة، واجتمع الكل ليسمعوا خبرًا مفرحًا!

فقالَت يهوديت لَهم بِصَوتٍ عالٍ:
سَبِّحوا اللهَ، سَبِّحوه! سَبِّحوا اللهَ!
فإِنَّه لم ينزِع رَحمتَه عن بَيتِ إِسرائيل،
بل سَحَقَ أعداءَنا بيَدي في هذه اللَيلَة" [١٤].

صعدت يهوديت إلى موضعٍ مرتفعٍ ومعها وصيفتها، وأشارت للجميع أن يصمتوا. كان الكل مشتاقًا أن يسمع خبرًا جديدًا فصمتوا.

بدأ حديثها لا بما حققته من نجاحٍ، ولا بوصف رحلتها الخطيرة وسط معسكر الأعداء، إنما بالدعوة للتسبيح لله الرحوم نحو شعبه. وجهت أنظار الكل لا إلى بطولتها، وإنما لحب الله الفائق الذي يحطم العدو تحت أقدام المؤمنين.

ثُمَّ أَخرَجَتِ الرأسَ منَ الجعبَة، وأَرَتْهم إيَّاه،
وقالَت لَهم: "هذا هو رأسُ أليفانا رئيسُ قُوَّادِ جَيشِ أشور،
وهذه هي الناموسيَّةُ الَّتي كانَ مُضطَجِعًا تَحتَها في سُكرِه.
ضَرَبَه الرَّبُّ بيَدِ امرَأَة [١٥].

لم تُخرج رأس أليفانا إلاَّ بعد الدعوة نحو تسبيح الرب، فقد أرادت تركيز أنظارهم نحو الله مخلصهم. أما العدو فقد سحقه الرب بيد امرأة، وليس خلال معركة عسكرية. فقد كان من العار أن يُقتل قائد عسكري بيد امرأة ليست لها خبرة عسكرية. قُتل وهو على سريره وبين حرَّاسه، قُتل بيد امرأة غريبة الجنس.

حَيٌّ هو الربُّ الَّذي حَفِظَني في الطريقِ الَّذي سلَكتُه،
لأَنَّ وَجْهي قد أَغْوى ذلكَ الرَّجُلَ لِهَلاكه،
ولم يَرتَكِبْ خَطيئةً معي لِنَجاستي وعاري" [١٦].

لقد طمأنت الشعب أن نصرتها بالرب لم تكلفها أية تنازلات من جهة حفظ الشريعة والطهارة، فإنها لم تتدنس بملذات القائد وأطعمته المرتبطة بالذبائح الوثنية، ولم يمس عفتها ونقاوتها. ما مارسته لم يكن عن انفعالٍ مؤقت، ولا عن غيرة بشرية وتعصبٍ أعمى، وإنما يتفق مع إرادة الله المقدسة.

هذه الأمور لا تمس حياتها الشخصية وحدها، بل تمس حياة الكنيسة المقدسة. فحسبت ما فعلته إنما باسم كل المؤمنين. عفتها لا تنفصل عن قدسية الشعب المقدس والمدينة

المقدسة والمذبح المقدس.

امتدح بعض الآباء مثل العلامة ترتليان[1] وميثوديوس أسقف صور[2] والقديس أمبروسيوس[3] بقوة يهوديت من أجل تصميمها على حياة العفة والطهارة أكثر من شجاعتها وقتلها أليفانا أو هولوفرنيس قائد الجيش الأشوري الذي كان يعيِّر رب الجنود.

❖ ذهبت الطهارة لتقيم معركة ضد الشهوة،

وتقدم التواضع المقدس لدمار الكبرياء.

حارب (هولوفرنيس) بأسلحة، أما (يهوديت) فحاربت بالأصوام. كان في حالة سُكر، أما هي ففي صلاة.

لهذا فإن الأرملة التقية حققت بالطهارة ما عجز أن يفعله شعب إسرائيل كله. امرأة واحدة نزلت بقائد جيش عظيم، وردّت الذين بلا رجاء إلى حرية شعب الله[4].

فيلجنتيس أسقف *Ruspe*

٥. الشعب يسبح الله

فاستولى على الشعبِ كلِّه دَهَشَةٌ شَديدةٌ،

وجَثَوا، فسَجَدوا للهِ، وقالوا بِصَوتٍ واحِدٍ:

"مُبارَكٌ أَنتَ، يا إِلهَنا،

فإِنَّكَ أَفنَيتَ في هذا اليَومِ أَعْداءَ شَعبِك" [١٧].

جاء هتاف النصرة تسبيحًا لله الذي يهب نصرة كاملة لشعبه، دون تنازلات من جانبهم لحساب العدو! مع تقديرهم ليهوديت، استطاعت أن توجّه كل المجد لله واهب النصرة.

٦. عزِّيا يبارك يهوديت

وقالَ لَها عُزِّيا:

بارِكَكِ، يا بُنَيَّةُ، الإِلهُ العَلِيّ فَوقَ جَميعِ النساءِ اللَّواتي على الأَرض.

وتَبارَكَ الربُّ الإِلهُ الَّذي خَلَقَ السماواتِ والأَرض،

والَّذي هَداكِ لِضَربِ رأسِ قائدِ أَعدائنا [١٨].

---

[1] *Tertullian: De monogamia 17. PL 2: 952.*
[2] *Methodius of Tyre: Convivum decem virgin, Oratio 11: 2. PG 18: 212.*
[3] *De Virginibus 1: 2: 4. PL 16: 213.*
[4] *Fulgentius of Ruspe (467-533) to the Widow Galla. Epistle 2: 29.*

إذ دعت القادة مع الشعب للتسبيح لله واهب النصرة، كرّمها الله، ومجّدها، وجعلها نموذجًا حيًا للمؤمن المنتصر على عدو الخير إبليس، قائد أعدائنا. فإن كان العدو يطلب رؤوسنا ليقيم لنفسه مملكة في عقولنا كما في قلوبنا، يهبنا الله أن نقطع رأسه، ونحطم خططه ضدنا.

يدعوها عزّيا "ابنة"، فمن جانبٍ كوليّ لها يحسب نفسه أبًا لها، ومن جانب آخر يدعوها هكذا من أجل صغر سنها.

جاء هذا التطويب صورة حيّة لتطويب الكنيسة للقديسة مريم والدة الإله.

فإنَّ رَجاءَكِ فيه لن يُفارِقَ قُلوبَ الناسِ،
الَّذينَ يَذكُرونَ قوَّةَ اللهِ [١٩].

ما أدهش الكل، رجاء يهوديت في قوة الله، مما وهبها فرحًا وتهليلاً مع نصرة وكرامة في الرب.

❖ يدفع الرجاء الإنسان نحو المستقبل تجاه الأبدية ، في إيمان عملي، ومثابرة مع فرحٍ وبهجةٍ وسط الآلام[1].

❖ لنصغِ ولنبتهج في الرجاء حتى وإن كان الحاضر حياة لا تُحب وإنما تُحتمل، إذ تكون لك القوة على احتمال كل تجاربها[2].

❖ نفرح بالرجاء متطلّعين إلى الراحة المقبلة، بهذا نسلك ببهجةٍ وسط المتاعب[3].

القديس أغسطينوس

عسى اللهُ أن يُرفَعَ شأنُكِ للأَبَد.
وأن تُفتَقَدي ببركاتِه.
لأنَّكِ لم تُشفِقي على نَفسِكِ مِن أَجلِ مَذَلَّةِ أمتِنا،
بل تَداركتِ هَلاكَنا بِسَيرِكِ المُستَقيمِ في حضرةِ إلهِنا".
فأجابَ الشَّعبُ كلُّه: "آمين! آمين!" [٢٠]

ما يستحق المديح في يهوديت هو البذل الكامل من أجل الشعب مع الاحتفاظ بالحياة

1 Cf. St Augustine: Faith, Hope and Love
2 In Ioan. tr 111: 1.
3 Letter, 55.

المستقيمة المقدسة في الرب. ما كان يشغلها فكريًا وعمليًا حبها للشعب الذي لا ينفصل عن محبتها لله القدوس.

سقوط هولوفرنيس كما ورد في السجلات الأشورية

ذكر دميان ماكي *Damien Mackey*:

[إذ قمت بإعادة بناء التاريخ الأشوري الجديد، استطعت أتعرف بطريقة تبدو سليمة جدًا أن هولوفرنيس هو آسرحدون، بكونه الرجل الثاني للملك الأشوري خلال الفترة العصيبة للتاريخ الذي مات أثناء الحملة الغربية. سار (البحث) بطريقة حسنة وجيدة إلى حدٍ ما. ولكن للتأكيد نحتاج إلى شهادة ما من موت نائب الملك المهين. اعتقد أن هذا يمكن تتبعه في السجلات الأشورية ذاتها، في واضع تسجيل الأحداث[1] *Eponym Chronicle*، حيث يرد على أصحاب النظرة الساذجة القائلين بأن سجلات الأشوريين لم تسجل الأمور المضادة (لهم).

يقدم تادمور H. Tadmor النص التالي الذي قدمته أثناء إعادة النظر بخصوص المشاكل الخاصة بالأشوريين عن اقتحام سرجون Sargon كما لو كانت تخص السنة ١٧ من سرجون (٧٠٥ ق.م بافتراض أنها السنة التي مات فيها سرجون).

"في كولوميان *Kulummaean*... مات الملك. وضاع العسكر في ١٢ من آب، سنحاريب. ابن [سرجون احتل عرشه]"

لا توجد أية معلومات عن مصدر آخر بخصوص حرب سرجون الأخيرة، وليس من يقدم تعريفًا معقولاً لـــ *Kulummaean*. ونحن نعلم الآن ما قد افترضناه قبلاً عن سنحاريب الذي خلف سرجون أنه أمر مستحيل. فالملك المُشار إليه هنا في الواقع هو آسرحدون، أي هولوفرنيس الوارد في يهوديت.]

مما زاد من عار أشور أن القائد لم يدفن في بيته. وبحسب ما ذكر تادمور *Tadmor*: [هذا قد يعني أن جثمانه قد حُرق في أرض المعركة أو أنهم لم يتمكنوا من استرداده من العدو.]

جاء في تسجيل أحداث آسرحدون أنه مات في اليوم العاشر من شهر مارشيسفان *marchesvan*، أي في الشهر الثامن[2].]

---

[1] *Given as Cb6 in H. Tadmor's* "The Campaigns of Sargon II of Assur", *JCS XII (1958), 96.*
[2] *As quoted by Jonsson,* op. cit., *16.*

سقوط هولوفرنيس في إشعياء ١٤

يرى دميان ماكي أن ما ورد في إشعياء ١٤ عن سقوط ملك بابل أنه كان يشير إلى آسرحدون الأشوري، وليس كما ظن *Boutflower* أنه يتحدث عن سقوط تجلث بلاسر الثالث. فقد أشار الكاتب إلى الموت العنيف للملك أثناء معركة عسكرية، هذا ما حدث مع آسرحدون. ليس من شهادة قوية إن تلجث بلاسر الثالث قد مات في معركة.

جاء في القطعة الشعرية لإشعياء النبي أن مجد الملك زال في لحظة مثل سقوط كوكب من السماء (إش ١٤: ١٢-٢٠). بعد آيات قليلة يشير إشعياء إلى الملك أنه أشوري يموت على جبال إسرائيل (إش ١٤: ٢٤-٢٥). كما أوضح أنه سبب كارثة لشعبه، وأنه لا يدفن في بلده في جنازة ملوكية، بل يسقط تحت الأقدام.

قطعة إشعياء الشعرية تتناسب تمامًا مع السيناريو الخاص بموت هولوفرنيس آسرحدون.

ما ورد في سجلات آسرحدون من تشامخه واعتزازه بنفسه يتناسب مع ما ورد في إشعياء ١٤. كمثال كتل: [أنا قوي، كلي القوة، أنا بطل، أنا عملاق، أنا عظيم، أنا مكرَّم، أنا ممجَّد، ليس من يعادلني بين الملوك (راجع إش ١٤: ١٣-١٤).]

إما أنه مات في *Kulummaean* فربما يقصد بها *Chelmon* الواردة في يهوديت ٧: ٣ (نص *Douay*) حيث كان الجيش الأشوري مقيمًا بجوار بيت فلّوى.

من وحي يهوديت ١٣

من يقدر أن يعيِّر رب الجنود؟

❖ ظن أليفانا عند دخول يهوديت خيمته،

أنه في أسعد لحظات عمره.

لم يُسر بانتصاراته المتوالية على الأمم والشعوب،

The name EsARhadDON is a reasonable likeness to MARDONius mentioned in (Encyclopedia Judaica (EJ), "Judith)..

Aspects of the story regarding the Commander-in-chief *in Judith do seem to have certain likenesses, too, to Xerxes' commander, Mardonius; and/or even Hannibal's ultimately headless brother, Hasdrubal.*

Even the search for Mardonius dead on the battlefield is reminiscent of Sennacherib's enquiries about his dead son.

مثلما سُر بدخول يهوديت إلى مخدعه!
هام فكره والتهبت عواطفه، متسائلاً:
متى ينفرد بها دون حرّاسه،
فيغتصب عفتها وطهارتها؟!

❖ دخلت يهوديت المخدع، ولم ترَ أمامها أليفانا،
ولا انشغلت بحرّاسه ومائدته الفخمة.
رأت أمرًا واحدًا، أن الله يذل ذاك الذي يعيِّر رب الجنود!
ما يشغلها أن يعمل الله حسب مسرته وإرادته.

❖ كان قلبها مشغولاً على الدوام بصرخات خفية.
كان فكرها يهيم بروح الرجاء، منتظرًا عملاً إلهيًا عجيبًا.
لا تعلم ماذا يحدث بعد لحظات.
لكنها تؤمن أنها دخلت مختفية في عريسها السماوي.
آمنت أنها في معركة هي ليست طرفًا فيها.

❖ كانت نظرات أليفانا تتجه إلى يهوديت.
لم يستطع أن يحول عينيه حتى عن حذائها الذي سباه تمامًا!
كانت يده تمسك بقنينة الخمر،
فقد اتزانه ووعيه،
وصار يشرب بلا حساب.
سكر تمامًا، وارتخى كل جسمه.
دخل في نعاسٍ عميق، أدركه كل الحاضرين.

❖ خرج الكل ليتركوا الجبار مع الأرملة الجميلة.
حتى الوصيفة خرجت في حجرة الاستقبال عند مدخل باب المخدع!

❖ أمسكت بسيف الجبار،
وضربت يهوديت رقبته مرتين.
قُطعت الرأس التي أربكت الأمم وحطمت الشعوب.

نزعت الناموسية، ولفت فيها رأس الجبار.
بقوةٍ دفعت بجثمانه، فسقط أرضًا.

❖ خرجت يهوديت ووصيفتها.
هوذا الرأس المفكر صار في مخلاة لا حياة فيها.
الذي ظن أن العالم كله يُقدم له طعامًا يأكله،
صار هو في مخلاة كطعامٍ تأنف منه النفس.

❖ هب لي يا رب روح القوة بالإيمان مثلاثة أشهرٍ ع الرجاء فيك.
لا يقدر عدو الخير بكل خططه وقدراته أن يحطم نفسي.
أنت هو سرّ نصرتنا وفرحنا الدائم.

❖ هب لي أن أبشر شعبك بهلاك إبليس.
هب لي أن أنطلق لأعلن عمليًا عن قوتك.

❖ لتفرح السماء والأرض بعملك في الضعفاء.
ليباركك الجميع يا أيها القدوس مخلص العالم!

الأصحاح الرابع عشر

دعوة يَهوديت الجيش للقتال

يربط البعض بين ما حدث في هذا السفر على يديّ يهوديت وما ورد في سفر إشعياء [ص ٣٦-٣٧]، حيث عيَّر ربشاقي رئيس جيش أشور الله الحيّ، قائلاً: "لا يغركم حزقيا قائلاً: الرب ينقذنا. هل أنقذ آلهة الأمم كل واحدٍ أرضه من يد ملك أشور؟" "فخرج ملاك الرب وضرب من جيش أشور مائة وخمسة وثمانين ألفًا" (إش ٣٧: ١٨، ٣٦).

الله الذي خلص شعبه من أشور بيد ملاكه، خلصهم أيضًا بيد أرملة تقيَّة لم تمارس الحروب، ولم يكن لديها سلاح. إنه يعمل بكل الطرق لحساب أولاده. فقد خلصهم من يد جليات الجبار وجيشه بيد الصبي راعي الغنم داود.

١. دعوة يَهوديت الجيش للقتال	١-٤.
٢. أحيور يسجد عند قدمي يَهوديت	٥-١٠.
٣. اليهود يهجمون على معسكر الأشوريين	١١.
٤. اكتشاف أشور قتل قائدهم	١٢-١٩.

١. دعوة يَهوديت الجيش للقتال

وقالَت لَهم يَهوديت: "اِسمَعوا لي، يا أَصدِقائي.
خُذوا هذا الرأسَ،
وعَلِّقوه على شُرفَةِ أَسْوارِ المدينة عند الفجر [١].

تواصل القديسة يهوديت كقائدة حكيمةٍ خطة خلاص شعبها. فإنها لم تكتفِ بتثبيت إيمانهم، والقيام بدور بطولي، حيث عرضت حياتها للخطر مقابل قطع رأس أليفانا، الآن تقوم بدور القائد الحربي، ترشدهم إلى الخطة لمهاجمة الأشوريين.

طلبت تعليق رأس أليفانا على قمة أسوار المدينة، لكي يدرك جيش أليفانا بأن قائدهم قد قُتل! استلمت الأرملة الصغيرة مركز القيادة، فصارت خلال حياتها التقية المشيرة الناجحة للجيش، بل ولكل الشعب.

لعب قطع الرأس دورًا كبيرًا في تحطيم الجيوش حتى القوية، فقد ارتبطت الجيوش قديمًا في نصرتها أو هزيمتها بقائد الجيش أو الملك. فلما قطع الصبي داود رأس جليات

الجبار انكسر جيش الفلسطينيين في الحال (١ صم ١٧: ٥٤). لذات الهدف علق سكان يابيش جلعاد جسد شاول الملك ويديه على السور بالمسامير (١ صم ٣١: ٩-١٢)، وعائلة آخاب (٢ مل ١٠: ٧-٨). كذلك علق اليهود رأس نكانور Nicanor القائد السلوقي (السوري) وذراعه اليمين على السور قبالة أورشليم (١ مك ٧: ٣٧؛ ٢ مك ١٥: ٣٥).

أدركت يهوديت حدوث ذعر بين معسكر الأشوريين كما سبق فحدث بين الموآبيين عند اكتشافهم قتل عجلون ملكهم (قض ٣: ٢٥-٣٠).

هنا صورة رمزية لجهادنا الروحي، فإن نصرتنا على قوات الظلمة تقوم على الصليب. وكما يقول **العلامة أوريجينوس** إن للصليب وجهان: مسيحنا بحبه قبل الموت بإرادته لخلاصنا، وإن إبليس قد تحطم خفية، ففقد سلطانه علينا وشُهِّر به. وكما يقول الرسول بولس: "قد رفعه من الوسط مسمرًا إياه بالصليب، إذ جرَّد الرياسات والسلاطين، أشهرهم جهارًا، ظافرًا بهم فيه" (كو ٢: ١٤-١٥).

وضع الصليب على المنارة أمام عيون المؤمنين تأكيد لهم على نصرة السيد المسيح على إبليس، مما يبعث روح الرجاء في حياة المجاهدين. يحدثنا **البابا أثناسيوس الرسولي** عن جسد السيد المسيح المرتفع على الصليب كمن هو في الهواء حتى يحطم رئيس سلطان الهواء إبليس (أف ٢: ٢)، فاتحًا الطريق لنا نحو السماوات.

❖ شدة عظيمة هكذا، وحزن جسيم حلّ بالشياطين وجنودهم في يوم صلب إلهنا، لأنه عند موته ونزوله إلى الجحيم صنع فيهم ما صنعه بفرعون والمصريين، وعتق بني آدم من حبسهم كما عتق بني إسرائيل من أرض مصر[1].

القديس أمبروسيوس

❖ الصليب هو غلبتنا ضد الشياطين، سلاحنا ضد الخطية... الصليب هو إرادة الآب، هو مجد الابن الوحيد، تهليل الروح ومجدها، زينة الملائكة، سلام الكنيسة، فخر القديس بولس، حصن القديسين، نور كل العالم[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أي شيء يمكن أن يكون أكثر برًا من البلوغ حتى موت الصليب من أجل البرّ؟ وأي

---

[1] *On Belief in the Resurrection 2:110.*
[2] *De coem. et cruce. PG 49:396D-397A.*

عمل أعظم سلطانًا من القيامة من الأموات، والصعود إلى السماء بذات الجسد الذي فيه قد قُتل؟... لقد هُزم الشيطان بذات نصرته... بخداعه الإنسان الأول ذبحه، وبذبحه للإنسان الأخير فقد الإنسان الأول من شبكته![1]

القديس أغسطينوس

ومتى طَلَعَتِ الشمسُ على الأرض،
فلْيَأخُذْ كُلُّ رَجُلٍ سَلِيم سِلاحَه،
ويَخرُجْ إلى خارِجِ المَدينة، وأَقيموا علَيهم قائدًا.
كأَنَّكم نازِلونَ إلى السهلِ نَحوَ مَركَزِ بَني أشور الأَماميّ،
ولكن لا تَنزِلوا [٢].

بحكمة طلبت منهم أن يحدثوا نوعًا من الجلبة أثناء شروق الشمس دون أن يشتبكوا في أية معركة، حتى لا يتحرك الجيش الأشوري بالضرب، وإنما يتحرك لطلب مشورة قائدهم، فيكتشفوا قتله!

إن كانت يهوديت تمثل السيد المسيح الذي حطم إبليس وجنوده بالصليب، فيليق بالمؤمنين وقد التصقوا بقائدهم أن يتحركوا لمقاومة الشر وعدم السماح لهم بالتسلل إلى النفس خلال التراخي أو التهاون خاصة مع الحواس.

❖ يصوِّب الشيطان سهامًا ضدي، لكن أنا معي سيف.
هو معه قوس، أما أنا فجندي أحمل سلاحًا ثقيلاً...
إنه حامل قوس لكنه لا يجسر أن يقترب إليّ، إذ يلقي بسهامه من بعيد[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يخبرهم بولس أن يكونوا شجعانًا وأقوياء مثل المصارع، وكجنود للمسيح، يفعلون كل شيء بالحب لله ولبعضهم البعض.

القديس ديديموس الضرير

❖ لنضع على رؤوسنا خوذة الخلاص، لكي لا نُجرح ونموت في المعركة.
لنُمنطق أحقاءنا بالحق، فلا نوجد ضعفاء في القتال.

---

[1] *Sermon 261:1.*
[2] *Baptismal Instructions, 3:11.*

لنقم ونوقظ المسيح، فيُهدِّئ الأمواج عنا.

لنأخذ التُرس تجاه الشرير، كاستعدادٍ لإنجيل مخلصنا (أف ٦: ١٥-١٦).

لنقبل من ربنا السلطان أن نسود على الحيّات والعقارب (لو ١٠: ١٩)...

لنفرح في رجائنا في كل وقتٍ (رو ١٢: ١٢)، حتى يفرح بنا ذاك الذي هو رجاؤنا ومخلصنا.

لنأخذ لأنفسنا سلاحًا للمعركة (أف ٦: ١٦)، هو الاستعداد للإنجيل.

لنقرع باب السماء (مت ٧: ٧)، فيُفتح أمامنا وندخل فيه.

لنسأل الرحمة باجتهاد، فننال ما هو ضروري لنا.

لنطلب ملكوته وبرّه (مت ٦: ٣٣).

لنتأمل في ما هو فوق، في السماويات، حيث المسيح صاعد وممجد.

لكن لننسى العالم الذي هو ليس لنا، حتى نبلغ الموضوع الذي نحن مدعوُّون إليه.

لنرفع أعيننا إلي العلا، لنرى الضياء المتجلّي.

لنرفع أجنحتنا كالنسور، لنرى حيث تكون الجثة (مت ٢٤ ٢٨)...

عدونا حاذق يا عزيزي، ومحتال ذاك الذي يقاتلنا. يُعد نفسه للهجوم على الشجعان الظافرين، ليجعلهم ضعفاء. أما الواهون الذين له فلا يحاربهم، إذ هم مسبيّون مُسلّمون إليه.

من له جناحان يطير بهما عنه، فلا تبلغ إليه السهام التي يقذفها نحوه؟

يراه الروحيون يحارب، ولا يتسلط سلاحه على أجسادهم.

لا يخافه كل أبناء النور، لأن الظلمة تهرب من أمام النور. أبناء الصالح لا يخشون الشرير، لأنه أعطاهم أن يطأوا عليه بأقدامهم (تك ٣: ١٥)[1].

القديس أفراهاط

فيأخُذُ أولئكَ أسلحتَهم، ويَذهَبونَ إلى مُعَسكَرِهم،

ويوقِظونَ قُوّادَ جَيشِ أشور، فيُسرِعونَ إلى خَيمةِ أليفانا فلا يَجِدونَه،

فيَستَولي علَيهِمِ الخَوفُ، ويَهرُبونَ مِنكم [٣].

صورة رائعة للجهاد الروحي، فإن يهوديت لم تطلب منهم أن يتسللوا إلى معسكر

[1] *Demonstrations, 6.*

الأشوريين في خوفٍ واضطرابٍ، بل يحمل كل رجلٍ سليمٍ، أو كل جنديٍ صالح لمسيح يسوع، سلاحه واثقًا في إمكانياته في المسيح يسوع. بروح القوة تضطرب قوات الظلمة، وإذ تطلب زعيمها إبليس تجده قتيلاً بالصليب. يسرعون إلى خيمته أو مملكته، فلا يجدونه! يليق بنا ألا نخاف من إبليس، فإننا في المسيح يسوع أقوياء، أما هو فكأنه غير موجود!

❖ يجيد الشيطان الصراع، لكنّه لا يغلب إذا صمدتم في وجهه، بل ينحدر ويهرب خجلاً. الأشخاص الفارغون هم الذين يخافون الشيطان كقوّة[1].

❖ لا تخافوا مطلقًا من تهديدات الشيطان، فإنّه مشلول كأعصاب ميّت[2].

هرماس

❖ لا تخف إذن من الشيطان، حتى وهو بلا جسد، حين يقترب من الجسد. فإنه ليس من هو أضعف من ذلك الذي يقترب بهذه الكيفية مع أنه غير ملتحفٍ بجسدٍ، وليس أقوى من ذلك الشجاع الجريء حتى وإن حمل جسمًا قابلاً للموت![3]

القديس يوحنا الذهبي الفم

أمَّا أنتُم وجَميعُ سكَّانِ أَراضي إِسْرائيلَ كلُّها،
فطارِدوهم، واصرَعوهم في طُرُقِهم [٤].

أوصتهم يهوديت أن يلاحقوا الأشوريين ويطاردوهم ويقتلونهم. هكذا يليق بالمؤمن أن يطارد الشر، فلا يترك له موضعًا في أعماقه، حتى لا يعود يستلم مركز القيادة، سواء الفكر أو العاطفة! يليق به أن يهتم بتقديس كل حواسه تمامًا دون تهاون!

لا يقاوم المؤمن حواسه، إنما يطلب تقديسها لتخدم شهوات النفس المقدسة.

❖ يوجد قاضٍ واحد يشرف على الداخل، أي قدرة التمييز التي للعقل، ولكن خلال طرق لائقة تحفظ الحواس الخمس متمايزة. يصنع الله عجائب، فلا تقدر العين أن تسمع، ولا الأذن أن ترى، ولا الفم أن يشم، ولا الأنف أن تتذوق، ولا الأيدي أن تشم. بينما كل هذه تعمل خلال قوى العقل الواحدة، غير أنه لا تستطيع حاسة ما أن تمارس غير ما قد عيّنه الخالق لها. وهكذا خلال هذه التدابير الجسمانية الخارجية، يترك لنا أن نجمعها في الداخل

---

[1] *Hermas: The Shepherd, Command 12:5:2.*
[2] *Hermas: The Shepherd, Command 12:6:2.*
[3] *Resisting the Temptation of the Devil, homily 2:4.*

بطريقة روحية...

بينما توجد حكمة واحدة تسكن في إنسانٍ أقل مما في آخر... إلا أنها في ذاتها لا تحمل اختلافات فيما بينها، لكن بواسطتها نمارس عمليات متباينة مختلفة، فواحد ينال عطية حكمة، وآخر عطية معرفة، وآخر ألسنة، وآخر موهبة شفاء...

يدين الطوباوي أيوب عدم خبرة أصحابه، ووقاحة كل من ينتفخ مدعيًا أنه قد تعلم في الحكمة. فإن معرفة شيءٍ ما عن الله شيء، وتذوق ما تعرفه بفهمٍ شيء آخر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ اهتم بالجسد بكونه أداة للنفس، كما تهتم بالحيوانات لكي تخدمنا. عندما تكون الأداة غير صالحة تعوق الفنان، مهما كانت مهارته وقدرته... يليق بالإنسان أن يكون له الحكم السليم في كل الأشياء فلا يتعثّر.

القديس برصنوفيوس

❖ عندما يميل الفكر إلى الله، يجعل من الجسد خادمًا له، ويعطيه فقط ما يحتاج لأجل الحياة. ولكن حين يميل إلى الجسد، فإنه يصير عبدًا لشهواته[1].

الأب مكسيموس المعترف

٢.أحيور يسجد عند قدميّ يَهوديت

وقَبلَ أن تَفعَلوا ذلك،

ادْعوا إلَيَّ أَحيورَ العمُونيَّ لِيَرى ويَعرِفَ الإنسان الّذي استَهانَ بِبَيتِ إسْرائيل،

وأرسَلَه إلَينا كما يُرسَلُ إلى المَوت" [٥].

وسط فرح يهوديت بعمل الله الفائق، ووسط مشاركتها الشعب فرحهم وتهليلهم بانكسار العدو، لم تنسَ يهوديت ذاك الأممي التقي الذي في شجاعة شهد لله أمام أليفانا، وعرّض حياته للخطر. فإن كان أليفانا قد هدده بالموت بعد أن يرى الهزيمة بعينيه، أرادت يهوديت له أن يتهلل بالله واهب الخلاص.

فدَعوا أَحْيورَ مِن بَيتِ عُزِيا.

فأَتى ورأى رأسَ أليفانا في يَدِ رَجُلٍ في جَماعَةِ الشعب،

---

[1] *Four Centuries on Love.*

فسَقَطَ على وَجهِه،
وخارَت روحُه [٦].

قدمت التقيّة يهوديت رأس أليفانا ليراها أحيور. الرأس الذي كان يعتز بإمكانياته العسكرية وقدرته على التخطيط، صار أضحوكة ومثلاً وهزءًا. الفم الذي جدّف على الله أصابه خرس دائم، وصار عاجزًا عن النطق!

ولَمَّا أنهَضوه ارتَمى عِندَ قَدَمَي يَهوديت،
وسَجَدَ أمامَها،
وقال: مُباركةٌ أنتِ في خِيامِ يَهوذا.
فإن الذين يسَمعونَ اسمَكِ في جَميعِ الأُمَم يرتَعَدون [٧].

اجتمع الشعب ومجدوا الله، ثم دعوا أحيور ليرى كيف هلك ذاك الذي استهان بالرب. ارتاع أحيور إذ رأى رأس أليفانا، وسقط بوجهه على الأرض وهامت نفسه، وإذ انتعش سجد أمام يهوديت.

"**خيام يهوذا**" كان هذا التعبير يطلق على المنطقة التي يسكنها اليهود حتى بعد بنائهم منازل مصنوعة من الحجارة والطوب، مستقرين في بلادهم (زك ١٢: ٧؛ عد ٢٤: ٥؛ ١ مل ٢٠)، إذ يليق بهم أن يدركوا أن حياتهم رحلة عابرة حتى يدخلوا مدينة الله العليا.

أمام عمل الله العجيب على يديّ يهوديت، شعر أحيور أنه لا إله غيره، فقد قهر أقوى شخصية في ذلك الوقت، وهو أليفانا، فارتمى عند قدميّ يهوديت وسجد أمامها ومدحها.

والآن، أخبِريني بكُلِّ ما فَعَلتِ في هذه الأيَّام".
فأخبَرَته يَهوديتُ في وَسَطِ الشعبِ كلِّه بِكُلِّ ما فَعَلَت،
مِن يَومِ خُروجِها إلى حينِ تَحَدُّثِها إلَيهِم [٨].

أدرك أحيور قائد جيوش بني عمون بالعجز التام أمام هذا الإله، إله المستحيلات، الذي صنع عجبًا بطريقة لم يتوقعها أحد.

حتمًا سمع بما حدث مع يهوديت، لكنه اشتاق أن يسمع من فمها وبشيءٍ من التفصيل، ممجدًا الله العامل بها.

ولَمَّا انتَهَت مِن كَلامِها،
هَتَفَ الشعبُ بِصَوتٍ عَظيم،

ومَلأَ المَدينةَ بِصَوتِ الابتِهاجِ [٩].

تحدثت يهوديت مع أحيور أمام الشعب، وكان الكل يصغي إليها بكل انتباه، فلم يقاطعها أحد. ولكن إذ روت ما حدث، انفجر الشعب بالهتاف بصوتٍ عظيمٍ، وتحولت المدينة إلى احتفالٍ شعبيٍ مبهجٍ للغاية.

وإذ رأى أَحيورُ كُلَّ ما فَعَلَ إِلهُ إِسرائيل،
آمَنَ بِاللهِ إِيمانًا راسِخًا،
وخَتَنَ لَحْمَ غُلفَتِه،
فضُمَّ إِلى بَيتِ إِسْرائيلَ إِلى هذا اليَوم [١٠].

كثيرون يتأثرون بأعمال الله العجيبة في حياة قديسيه وفي كنيسته، ومعجزاته، لكنَّ قليلين يحولون انفعالهم العاطفي إلى إيمان حيّ عملي. أما أحيور العموني، فمجّد الله الذي يخلص مؤمنيه، فأعلن إيمانه عمليًا بأن خُتن وانضم إلى اليهود[١].

٣. اليهود يهجمون على معسكر الأشوريين

وعِندَ طُلوعِ الفَجْرِ، علَّقوا رأسَ أَليفانا على السور،
وأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ أَسلِحَتَه،
وخَرَجوا جماعاتٍ إِلى مُنحَدَراتِ الجَبَل [١١].

تبقى القديسة يهوديت نموذجًا حيًا للمؤمن الذي يثق في عمل الله، والذي يحرص في جهاده من أجل الجماعة أن يحتفظ بطهارته ونقاوة قلبه، كما صارت مثلاً عمليًا في بث روح الشجاعة في حياة الرجال حتى رجال الحرب.

❖ لماذا أتحدث عن النتيجة؟ كيف بقيت وسط الآلاف من الأعداء طاهرة. لماذا أتكلم عن حكمتها، حيث خططت مثل هذه الخطة؟ لقد اختارت القائد ليحميها من أصدقائها بضبط نفسها، وضربت العدو بالرعب، حتى يهربوا ويُقتلوا. هكذا رقة أرملة ووقارها ليس فقط أخضعت طبيعتها، بل ما هو أعظم أنها جعلت الرجال شجعان بالأكثر[٢].

القديس أمبروسيوس

[١] القمص يوحنا باقي: دراسة في سفر يهوديت، ١٩٩٧، ص ٨٥.

[2] *Concerning Widows 7: 41.*

٤. اكتشاف أشور قتل قائدهم

فلمَّا رأتهم قوات أشور،
أرسلوا رُسُلاً إلى ضبَّاطهم،
فجاءَ هؤلاءِ إلى قُوَّادهم، وقُوَّادِ أُلوفِهم، وجَميعِ رُؤَسائهم [١٢].

نجحت خطة القديسة يهوديت، فإن انطلقوا نحو معسكر الأشوريين اتصل الجند بالقادة، فقادة الألوف حتى بلغوا أعلى مستوى في المعسكر. وكان لزامًا أن يأخذوا الأمر بالدخول في المعركة من أليفانا نفسه.

فذَهَبوا إلى خَيمةِ أليفانا،
وقالوا لِلقَيِّمِ على جَميعِ أُمورِه:
"أيقِظْ سيِّدَنا، لأنَّ العَبيدَ اجتَرأُوا على النُّزولِ إلينا لِمُحارَبَتِنا،
ومُرادُهم أن يُفنُوا إلى آخِرِهم" [١٣].

لقد سخر جند الأشوريين بتحركات اليهود، فدعوهم عبيدًا، كما قالوا عنهم: "مرادهم أن يفنوا إلى آخرهم"، وجاء في الترجمة اللاتينية "قد خرجت الفئران من جحورها".

سمع الأشوريون صيحات اليهود فحسبوها استعدادًا للتحرك للحرب، ولثقتهم الكاملة في النصرة السريعة والأكيدة، لم يتطلعوا نحو السور ليروا رأس قائدهم، بل تحركوا لأخذ مشورة القائد أو الإذن بالتحرك على مستوى جماعي ضخم للإبادة.

فدَخَلَ بوغا وقَرَعَ بابَ الخَيمَة،
لأَنَّه كانَ يَظُنُّ أَنَّه نائمٌ مع يَهوديت [١٤].

أخذ كل جندي عبراني أسلحته ثم خرج الكل بجلبةٍ عظيمةٍ وصراخٍ. بادر الجواسيس إلى خيمة أليفانا وضجوا أمام مدخل المخدع، إذ لم يجسر أحد أن يدخل ويوقظه. فلما جاء القواد ورؤساء الألوف وجميع عظماء جيش ملك أشور، طلبوا من الحجاب أن يدخلوا ويوقظوه ويخبروه بأن الفئران قد خرجت من جحورها واجترأت على مهاجمتهم للقتال.

واضح أن الخيمة لم تكن من جلود حيوانات، لكن غالبًا ما كانت مقامة بألواحٍ خشبية، ولها باب خشبي قرعه الخصي بوغا.

أمام أوامر قادة الجيوش وتأزم الموقف، دخل رئيس حراس الخيمة، بوغا خصيه،

إلى حجرة الاستقبال المزينة بالذهب والأحجار الكريمة، لكنها فارغة ليس بها أحد.

وقف أمام الستر القماشي الذي يفصل حجرة الاستقبال عن المخدع، فلم يسمع أي صوتٍ، فظن أن استغرق في النوم، فخجل بل وخاف أيضًا أن يدخل عليهما[1].

وَلَمَّا لم يَسمع أحَدًا يجيب،
فتح الباب ودَخَلَ المَضجعَ،
فوَجَدَه مَطْروحًا على الأرضِ مَيِّتًا،
ورأسَه مَفْصولاً عن جثته [١٥].

إذ تأزم الموقف جدًا، اضطر إلى مخالفة أوامر أليفانا أن يصفق بيديه، لكن لم يجبه أحد. ساوره الشك ربما يكون سيده مريضًا أو في تعبٍ، فاضطر أن يزيح الستار ويدخل المخدع[2].

فوجئ بوغا بأن أليفانا جثة هامدة بلا رأس، ودخل مخدع يهوديت فلم يجدها. مزق ثيابه ووقع خوف على الجميع، وسادهم الرعب، وامتلأ المعسكر عويلاً لا نظير له.

فصَرَخَ بصَوتٍ عَظيمٍ،
ونَحيبٍ وأنينٍ وصُراخٍ شَديد، ومَزَّقَ ثِيابَه [١٦].

هذا هو نصيب كل متعجرفٍ على كنيسة الله، يرى قائده جثة هامدة بلا رأس، لا حول له ولا قوة.

فقد القادة القدرة على اتخاذ قرارٍ، وانحلت قوتهم، وملك الرعب عليهم، وانهار الجيش كله.

ثُمَّ دَخَلَ الخَيمةَ الَّتي تُقيمُ فيها يَهوديت.
إذ لم يَجِدْها، أسرَعَ إلى الشعبِ وصَرَخَ: [١٧]

خرج بوغا مسرعًا وسط ذهول الحراس وقادة الجيوش. لم يجب بكلمةٍ، بل انطلق إلى خيمة يهوديت المنصوبة بجوار خيمة أليفانا، فلم يجد أحدًا، فتأكد أن يهوديت هي قاتلة أليفانا.

---

[1] القس يوحنا باقي، ص ٨٧.

[2] القس يوحنا باقي، ص ٨٧.

لقد غدَرَ العَبيدُ غدرًا!

وامرَأَةٌ واحدةٌ مِنَ العِبرانيِّينَ ألقَتِ العارَ في بَيتِ نَبوخَذنَصَّر المَلِك!

تعالوا وانظروا! أليفانا مَطْروحٌ على الأرضِ،

ورأسُه لَيسَ علَيه" [١٨].

خرج بوغا يصرخ معلنًا للقادة والحراس المنزعجين بأن يهوديت العبرانية استطاعت بمفردها أن تهز الإمبراطورية الأشورية وتزعزها، إذ قتلت رئيس جيوش الأشوريين، وها هو جثة هامدة بلا رأس مطروحة أرضًا!

فلَمَّا سَمِعَ قُوَّادُ جَيشِ أشور هذا الكَلامَ كُلَّه،

مَزَّقوا قُمْصانَهم،

واضطَرَبَت نُفوسُهمُ اضطرابًا شَديدًا،

واَشتَدَّ صياحُهم وصُراخُهم كثيرًا في وَسَطِ المُعَسكَر [١٩].

قُطعت رأس أليفانا، ففقد الجيش كله رأسه، وصار كمن بلا تدبير، وحدث هرج ومرج دفع بهم إلى هزيمة رهيبة.

كان الخبر فوق تصورهم، فارتعبوا جدًا ومزقوا ثيابهم. سرعان ما انتشر الخبر بين خيام الأشوريين، فبكوا إذ توقعوا الهلاك كما سبق فأنذرهم أحيور، وكانوا يسخرون به.

لقد تحقق فيهم قول المرتل: "تحطمهم بقضيبٍ من حديد، مثل إناء خزاف تكسرهم" (مز ٢: ٩).

من وحي يهوديت ١٤

لماذا ارتجت الأمم؟

❖ ارتجت جيوش أشور لتقتل المؤمنين.

حسبوهم كفئران تخرج من جحورها.

استنكفوا حتى من مقاومتهم.

إذ ظنوا أنهم قادرون على تدميرهم دون الدخول في معركة!

❖ سقط العدو بيد امرأة،

وسقط رئيس كل الجيوش عند قدميها.

انطلقت يهوديت لا لتفتخر بما صنعته،
إنما لتعلن عمل الله مع شعبه.

❖ حطّم الرب قادتهم، فكان يلزم أن يتحرك المؤمنون للعمل.
مادمنا في الجسد يلزمنا الجهاد روحيًا.
فلا يتسلل عدو الخير إلى أعماقنا.

❖ دُعي أحيور رئيس بني عمون ليرى عمل الله بنفسه.
رأى أحيور رأس ذاك المتشامخ في يد امرأة.
صمت الفم الذي كان يجدّف على الله.
قُطعت الرأس المتشامخة لتسقط أرضًا.

❖ اشترك أحيور مع كل القادة والشعب في تمجيد الله.
صمم أن يسمع من فم يهوديت قصة خلاص الله لها.
تحولت المدينة كلها إلى احتفال مجيد لله مخلص شعبه.
أعلن العموني إيمانه بالله الحيّ

❖ بعد تعليق رأس أليفانا على قمة السور،
تحرك جيش إسرائيل بحكمة عجيبة.
خرجوا جماعات جماعات.
تطلعت إليهم جيوش أشور كأنهم فئران.
انطلق القادة في استخفاف يستأذنون أليفانا للبدء في المعركة.

❖ لم يجسر أحد أن يطرق باب خيمة أليفانا.
وتحت الضرورة دخل خصيه إلى خيمته.
فوجئ بأليفانا جثة هامدة بلا رأس.
انطلق الخصي إلى خيمة يهوديت، فلم يجدها.
صرخ الكل في مرارة،
مزقوا ثيابهم واضطربوا.
أدركوا أن هلاكهم سيحل حالاً

الباب الرابع

عربون الأبدية

يهوديت ١٥-١٦

الأصحاح الخامس عشر

هزيمة جيش أشور

فوجئ الأشوريون بما حدث فأصيبوا بصدمة تحولت إلى حالة من الفزع الشديد والارتباك، فلم يكونوا قادرين على التفكير والتشاور فيما بينهم [١-٢]. لم يكن أمامهم إلا الهروب، فتحرك شمال إسرائيل لاقتفاء أثرهم [٤-٥]، وبعد ذلك تحرك سكان أورشليم. أما بيت فَلّوى فوجدوا الفرصة سانحة للتمتع بغنائم الأشوريين وغناهم [٦-٧]. وجاء يهوياقيم بنفسه من أورشليم ليشهد لعمل الله الصالح معهم، وليرى يهوديت ويمتدحها [٨]. جاء ومعه الشيوخ يمتدحون هذه البطلة التقيّة [٩].

أتى يوياقيم الكاهن من أورشليم إلى بيت فَلّوى مع جميع شيوخه، وباركوا يهوديت، قائلين: **"أنتِ مجد أورشليم وفرح إسرائيل وفخر شعبنا"** (١٥: ١٠).

١. هروب الأشوريين في ضعفٍ ١-٣.

٢. هزيمة أشور وتمتع المؤمنين بالغنيمة ٤-٧.

٣. الكل يبارك يهوديت ٨-١٠.

٤. فرح وسط الشعب ١١-١٤.

١. هروب الأشوريين في ضعفٍ

ولَمَّا سَمِعَ الَّذينَ كانوا في الخِيَام النحيب،
دَهِشوا مِمَّا جَرى [١].

إذ سمع المعسكر بكل فئاته من قادة وجند وفرسان ما حلّ بأليفانا، فقدوا قدرتهم على التفكير، وتحول المعسكر إلى مأتمٍ يسوده النحيب والعويل. حلّ عليهم الخبر كالصاعقة، فلم تكن لهم القدرة على مواجهة موقفٍ لم يكن في حسبانهم، ولا في حسبان أحدٍ في كل العالم في ذلك الوقت.

من يقدر أن يقبل أن امرأة تدخل وسط أقوى جيش في العالم في ذلك الحين، وتخترقه بكل جسارةٍ وبغير ترددٍ، لتقطع ذاك الذي يحسب نفسه أقوى أقوياء العالم، يعمل لحساب تأليه الملك؟

❖ ارتعب الفارسيون من جرأتها (يهو ١٥: ١ الخ)... إنها لن ترتعب حتى من خطر

الموت، ولا حتى من خطر الحياء الذي كانت عليه، الأمر الذي له أهمية كبرى لدى النساء الصالحات. لم تخشَ أن يبوق أحد الأندال، ولا من أسلحة كل الجيش. إنها امرأة وقفت بين صفوف المصارعين – بحقٍ في وسط جيوش منتصرة – لا تبالي بالموت. من يتطلع إلى الخطر المحدق بها، يُمكن القول إنها ذهبت لتموت. ومن يتطلع إلى إيمانها يقول إنها ذهبت لتحارب[1].

القديس أمبروسيوس

ووَقَعَت عليهِمِ الرِعدَةُ والخَوف،
ولم يَبقَ رَجُلٌ أمامَ قَريبِه،
بل تَفَرَّقوا بأجمَعِهِم،
وهَرَبوا في جَميعِ طُرُقِ السَهلِ والناحيةِ الجَبَلِيَّة [٢].

إن كان القادة الأشوريون قد تطلعوا إلى المؤمنين بالله كفئران خارجة من جحورها لفنائها، فقد اكتشفوا أنهم هم وجنودهم قد هربوا من خيامهم فجأة وبلا تدبيرٍ أو نظام، في بلبلةٍ ورعب وخوف. كانت جلبة المؤمنين وأصوات الأبواق تحطم نفسياتهم وتحل أعصابهم وتفقدهم كل قدرة على التفكير المتزن. وكما قيل: "تقع عليهم الهيبة والرعب، بعظمة ذراعك يصمتون" (خر ١٥: ١٦). وكما سبق فوعد الله: "قد طرد الرب من أمامكم شعوبًا عظيمة وقوية. وأما أنتم فلم يقف أحد قدامكم إلى هذا اليوم. رجل واحد منكم يطرد ألفًا، لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم كما كلمكم" (يش ٢٣: ٩-١٠) وجاء في تث ٣٢: ٣٠ "كيف يطرد واحد ألفًا، ويهزم اثنان ربوة، لولا أن صخرهم باعهم والرب سلمهم".

في وسط ذهولهم لما سمعوا وتحققوا منه، وقبل التفكير في مواجهة الموقف سمعوا صوت اليهود المقبلين عليهم، حاملين السلاح لمهاجمتهم. للحال تركوا خيامهم وأمتعتهم وغنمهم وبقرهم وكل ممتلكاتهم، وهربوا في البراري المحيطة بهم، جائلين في الطرق بغير مرشدٍ، لا يشغلهم شيء سوى الهروب من وجه الشعب.

كانوا في الحقيقة يريدون الهروب من وجه الرب الذي في جسارة كانوا يعيرونه ويجدفون عليه.

يتحدث القديس يوحنا الذهبي الفم عن إمكانيات المؤمن في مواجهة إبليس

---

[1] *Duties of the Clergy, Book 3: 13: 83.*

وإغراماته وعتقه، قائلاً: إن رأك الشيطان مرتبطًا بالسماء ساهرًا، فإنه لن يجرؤ قط أن يحدق فيك]. [السيرة الطاهرة تسد فم الشيطان نفسه وتبكمه.]

والمُعسكِرون في الناحيةِ الجبَليَّةِ حَولَ بَيتَ فَلْوى،
ولّوا هاربينَ هم أيضًا.
حينئذٍ اندفع عليهم جَميعُ المُحاربينَ مِن الإسرائيليين [٣].

طلب عُزّيا من قواد المدن والقرى الشمالية الغربية التضييق على الأعداء الهاربين خشية أن يستتروا في الشعاب الجبلية حتى تنتهي ثورة اليهود، ومن ثم يعيدون تنظيم صفوفهم للقيام بهجوم مضاد على اليهودية.

لقد تحقق الوعد الإلهي بأن واحدًا منهم يطرد ألفًا. وأن الأعداء يخرجون عليهم من طريقٍ واحدٍ، وفي سبع طرق يهربون قدامهم (تث٢٨: ٧، ٢٥).

موقف الأشوريين يشبه موقف عدو الخير من المؤمن. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إن إبليس يشبه كلبًا، إن أظهرنا الخوف منه يهجم علينا بعنف، وإن لم نخفْهُ يهرب منا ويخشانا.

❖ ماذا يقول سفر أيوب عنه؟ هو مخيف ومرعب (أي ٤٠: ١٨؛ ٤١: ٧). جنباه نحاس، وظهره حديد مسبوك، أحشاؤه من حجارة. يقول عنه الكتاب المقدس هذا وأكثر منه. هذا هو قائد الفرق الشيطانية العظيم والقدير. ولكن ماذا يدعوه صاحب القوة والفريد الحق؟ إنه "ثعلب صغير!" (نش ٢: ١٥)... الله يدعوهم بذات الاسم "الثعالب الصغيرة"، ويحث الصيادين ضدهم[1].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ لا يخيفكم أي عدو خارجي. انتصروا على أنفسكم، فتغلبوا العالم كله. ماذا يستطيع أي مجرِّب خارجي أن يفعل ضدكم سواء أكان الشيطان أو خادمه؟

دعوا الذي يضع أمامكم أمل الربح لإغرائكم أن لا يجد فيكم طمعًا، حينذاك ماذا يستطيع أن يفعل بكم الذي يرغب في تجربتكم عن طريق المكسب؟ فإن وجد فيكم الطمع فستحترقون عند رؤية المكسب وتصادون بطُعم من ذلك الطعام الفاسد. وأما إذا لم يجد فيكم طُعمًا فسيبقى الفخ منصوبًا.

---

[1] *Commentary on Song of Songs, homily 5.*

وإذا وضع المُجرِّب أمامكم بعض النسوة فالتقي الجمال فإن وُجدت في الداخل عفّة فسيغلب على الظلم الخارجي (الذي للمجرِّب). حاربوا شهواتكم الداخلية حتى لا يقتنصكم بطُعم جمال امرأة غريبة.

إنكم لا تدركون عدوكم إدراكًا محسوسًا بل تدركون شهواتكم. أنكم لا ترون الشيطان بل ترون المادة التي تشغلكم. فلتسيطروا إذن على ما تلمسونه داخلكم. حاربوا ببأس لأن الذي يجددكم هو قاضيكم. لقد أعد القوائم ويعد الإكليل، ولكن ستُهزمون بدون شك إن لم تأخذوه لمساعدتكم، لذلك قولوا في الصلاة "لا تدخلنا في تجربة". غضب القاضي أسلم البعض لشهواتهم. يقول الرسول. بولس "أسلمهم الله (أيضًا) في شهوات قلوبهم"، كيف أسلمهم . ليس بإجبارهم بل بالتخلي عنهم[1].

القدّيس أغسطينوس

٢. هزيمة أشور وتمتع المؤمنين بالغنيمة

وأرسلَ عُزّيا إلى بَيتَ مُستَيم *Betomasthem*
وبيباي *Bebai* وخوبا *Choba* وكولا *Cola*،
وإلى بلادِ إسْرائيلَ كلِّها،
رُسُلاً يُخبِرونَ بِما جَرى،
ويَسألونَهم أن يَسرعوا جميعًا في مواجهة أعدائهم ويُبيدوهم [٤].

تحرك عُزّيا رئيس المدينة كقائدٍ حربيٍ ليقوم بدوره خلف يهوديت، فأرسل إلى كل مناطق إسرائيل يخبرهم بعمل الله معهم، ويطالبهم بسرعة الحركة لتحطيم قوات الظلمة.

إن كان الله بحبه لنا يهبنا النصرة على الخطايا التي نظنها كبيرة، فمن واجبنا أن نتحرك بسرعة دون تهاون، متسلحين بنعمته الإلهية لإبادة كل أثر للخطية في حياتنا.

كثيرون يتمتعون بالنصرة على الخطايا التي تبدو خطيرة، وخلال تهاونهم مع الثعالب الصغيرة تسيطر الخطية عليهم، ويتسلم عدو الخير عجلة القيادة في حياتهم من جديد.

سمح فرعون لبني إسرائيل أن يخرجوا بنسائهم وأولادهم "غير أن غنمكم وبقركم تبقى" (١٠: ٢٤). وكانت الإجابة: "لا يبقى ظلف" (١٠: ٢٦). نخرج جميعنا بنسائنا وأولادنا ومواشينا، مقدمين كل شيء للرب، ولا نترك لإبليس موضعًا في حياتنا. لن نترك له ظلفًا في

---

[1] *Lessons on N.T. 7:9.*

حياتنا، حتى لا يكون له مجال للعمل الشرير في داخلنا. لقد أصر موسى النبي ألا يترك ظلف في بلد العبودية.

يحذرنا الكتاب المقدس من الثعالب الصغيرة: "خُذُوا (أمسكوا) لَنَا الثَّعَالِبَ الثَّعَالِبَ الصغَارَ الْمُفْسِدَةَ الْكُرُوم، لأَنَّ كُرُومَنَا قَدْ أَقْعَلَتْ (أزهرَتْ)". وفي تكراره كلمة "الثعالب" تحذير منها، إذ هي تزحف بخفة وتدخل من الثقوب الصغيرة لتفسد الكرم في بدء نموه. بهذا تفسد كميات ضخمة من الثمار المقبلة، فمع صغرها تفسد نمو الإنسان ونضوجه.

يرى العلامة أوريجينوس أن هذه الثعالب الصغيرة [هي قوى الشياطين المضادة التي تُحطم زهور الفضائل في النفس، وتبدد ثمر الإيمان خلال الأفكار الفاسدة والمفاهيم المضللة التي تبثها[1].] كما يقول أيضًا: [إنه بالتأكيد في لحظة الخطية، يكون روح شرير ما حاضرًا في قلب الإنسان، وهناك يعمل. إننا نسمح له بالدخول ونستقبله في داخلنا بميولنا الشريرة[2].]

وكما يقول القديس مرقس الناسك: [يقدم لنا الشيطان خطايا صغيرة تبدو كأنها تافهة في أعيننا، لأنه بغير هذا لا يقدر أن يقودنا إلى الخطايا العظيمة[3].]

ولَمَّا سَمِعَ الإِسرَائيليون،
اِنقَضُّوا جَميعًا علَيهِم انقضاض رَجُل واحِدٍ،
وكسَرُوهم إلى خوبا *Choba*.
وقَدِمَ كذلك الَّذينَ مِن أُورَشَليمَ ومِنَ الناحيةِ الجَبَلِيَّةِ كُلِّها.
فقد أُخبِروا بِما حَدَثَ في مُعَسكَرِ أَعدائِهم.
والَّذينَ في جِلْعادَ والَّذينَ في الجَليلِ حاصروهم وذبحوهم،
إلى أَنِ اقتَربوا مِن دِمَشْقَ وتَخومِها [٥].

إن كانت يهوديت قد تحركت، وقد أخذت معها وصيفتها لتشترك معها في العمل، وعُزِّيا رئيس المدينة تحرك ونادى بالعمل الجماعي، فإننا نسمع أن إسرائيل قد تحرك معًا بروح جماعية.

---

[1] *Origen: Com. on Cant. 3: 15.*
[2] *Hom. Num 4: 3.*

[3] مقالتان عن للناموس الروحي ٩٤ (الفيلوكاليا ١٩٦٦، ص ١٢٦).

كثيرون يفشلون في جهادهم الروحي، لأنهم لا يشتركون مع إخوتهم، ولا يتركون إخوتهم يعملون معهم. حتى في التوبة كثيرًا ما يقدم لنا الكتاب المقدس صورة رائعة للتوبة الجماعية. فنحميا في صراخه للرب وهو متذلل أمامه، يعترف باسم الجماعة كلها.

من يجاهد من أجل طهارة إخوته وقداسة حياتهم يتأهل لعمل نعمة الله في حياته الخاصة. لهذا يقول المرتل: "هوذا ما أحسن وما أجمل أن يجتمع الإخوة معًا" (مز ١٣٣: ١)، ليس حسب الجسد فحسب، وإنما نجتمع معًا بالروح الواحد، والفكر الواحد، والهدف الواحد، والتوبة معًا!

لا يقف المؤمن موقف المدافع عن نفسه من إبليس وجنوده، وإنما موقف المهاجم له، مشتاقًا أن يسلب منه كل ما سبق أن اغتصبه العدو منه ومن إخوته، مشتاقًا أن يحطم بالمسيح يسوع مملكة الظلمة لحساب مملكة النور.

وأمَّا سائرُ سكَّانِ بَيتَ فَلْوى
فانقَضّوا على مُعَسكَرِ أشور ونَهَبوه،
فاغتَنَوا كثيرًا [٦].

إذ هرب الأشوريون أمام رجال الحرب الإسرائيليين الذين حاربوهم حتى بأسلحتهم التي استولوا عليها من خيامهم، خرج سائر سكان بيت فَلْوى يجمعون الغنائم التي تركها الأشوريون.

كان العدو يعتز بكثرة العدد، فمدينة بيت فَلْوى لا تحتاج إلى كل هذه الألوف من الجند للاستيلاء عليها، لكن الله حوّل هذا للخير. فقد حدثت حالة ارتباك شديدة، ومع كثرة العدد لم يعد أي قائد قادرًا على التخطيط لأمرٍ هكذا مفاجئ مع اضطراب هذا الكم الهائل من جنودٍ هاربين ومشتتين في اتجاهات مختلفة. بهذا صار الجيش نفسه غنيمة كما استولى اليهود على الأسلحة والأمتعة، وربما استخدموا مركباتهم نفسها وأسلحتهم لمطاردتهم. هكذا تحولت إمكانيات الأشرار الجبارة لدمارهم وليس لدمار المؤمنين.

والقوات الإسرائيلية التيَ عادت منَ المَجزَرةِ
استَولَت على الغَنائمِ الباقيةِ،
والقُرى والمدن في الناحيةِ الجَبَليَّةِ والسَّهلِ أخَذَت غَنائمَ وافِرةً،
فقَد كانَ منها شَيءٌ كثيرٌ جِدًّا [٧].

إن كان سائر سكان بيت فلّوى قد اغتنوا جدًا بالغنائم التي استولوا عليها، فإن جيش إسرائيل الذي هاجم الأشوريين وساروا وراءهم وقتلوهم رجعوا ليجدوا الكثير من الغنائم. لم تكن هناك مشكلة، فإن الغنائم أكثر بكثير مما كان الجيش والشعب يتخيل.

إنها صورة رمزية للغنائم التي ننالها بنصرتنا على إبليس وجنوده. فالمؤمنون يرتقون إلى تلك الدرجة الملائكية العظمى التي سقط منها إبليس، وينعمون بما فقدوه من حياة سماوية مفرحة وبهية.

إن كان إبليس بحسده دخل بالإنسان إلى الموت، فإن ربنا يسوع المسيح بحبه يهبنا النصرة والحياة الأبدية لنصير أشبه بطغمة سماوية سامية ننعم بالأمجاد الأبدية.

٣. الكل يبارك يهوديت

وقَدِمَ رئيس الكَهَنَة يواقيم وشُيوخُ بَني إِسرائيلَ السَّاكِنينَ في أُورَشَليم،
لِيُشاهِدوا ما صَنَعَ الربُّ إلى شعبه مِن العظائم،
وليرَوا يَهوديت، ويحيّوها [٨].

وقف رئيس الكهنة الذي كان اليأس يحطمه يومًا بعد يوم، بل لحظة بعد لحظة، وقد توقع ما سيحل بالشعب والمدينة المقدسة والهيكل والمذبح من دمارٍ وتدنيس، الآن استطاعت امرأة بيد الرب أن تحوّل المرارة إلى عذوبة، والمراثي إلى تسابيح، واليأس البشع إلى رجاءٍ مفرح.

هذه الأنشودة الفائقة التي نطق بها رئيس الكهنة يمتدح فيها يهوديت، هي أنشودة السمائيين التي يتغنون بها يوم عرسنا الأبدي، وهم يتطلعون إلى الكنيسة عروس المسيح تتمتع بشركة الأمجاد السماوية، وقد تحطم إبليس عدوها تمامًا وصار مصيره جهنم الأبدية. هي أنشودة تقدم لكل مؤمنٍ تمتع بالمسيح يسوع بالغلبة على قوات الظلمة.

ولَمَّا التقوا بها،
باركوها جَميعُهم بِصَوتٍ واحدٍ،
وقالوا لَها:
"أنتِ مَجدُ أُورَشَليم!
أنتِ بطلة إِسرائيلَ!
أنتِ فَخرُ شعبنا! [٩]

جاء رئيس الكهنة وشيوخ إسرائيل من أورشليم إلى بيت فلّوى ليلتقوا بالقديسة يهوديت التي تم بنعمة الله على يديها الخلاص للشعب كله. فرحوا جدًا بعمل الله معها، ومدحوها بألقاب تليق بها، فقد صارت سبب مجد أورشليم وكل إسرائيل وفخرهم ونصرتهم.

استطاعت يهوديت بحياتها التقوية أن تفوق رئيس الكهنة وكل القيادات المدينة والعسكرية.

يُعلّق القدّيس يوحنا الذهبي الفم على العبارة "سلّموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيرًا" (رو ١٦: ٦)، قائلاً: [ما هذا؟ لقد كُرمت امرأة وحسبت منتصرة! أفلا نخجل نحن كرجال؟... إننا نحسبه كرامة لنا أن توجد نساء بيننا كهذه[1].]

[قدّمت خدمات أخرى كثيرة محتملة مخاطر، من جهة المال والأسفار. فإن نساء تلك الأيام كنّ روحيات أكثر من الأسود (في القوّة)، ساهمن مع الرسل في التعب لأجل الإنجيل[2].]

ويقول القديس كيرلس الكبير: [المرأة التي أعلنت مرة خدمة الموت، الآن هي أول من تقبّل سرّ القيامة المهوب وأخبرت به. بهذا حصل جنس المرأة على الخلاص من العار ومن اللعنة.]

بهذه الرسالة السماويّة استعادت المرأة كرامتها، فبعد أن كرزت لآدم قديمًا برسالة الهلاك في الفردوس، ها هي تكرز ببشارة القيامة للتلاميذ!

❖ هذه التي كانت قبلاً خادمة للموت قد تحرّرت الآن من جريمتها بخدمة صوت الملائكة القدّيسين، وبكونها أول كارز بالأخبار الخاصة بسرّ القيامة المبهج[3].

القدّيس كيرلس الكبير

صَنَعتِ كُلَّ ذلكَ بِيَدِكِ،
أحسَنتِ إلى إسرائيلَ، فرَضيَ اللهُ عَمَّا صَنَعتِ.
ليبارِكْكِ الربُّ القَديرُ أبَدَ الدُّهورِ!"
وقالَ الشعبُ كُلُّه: آمين!" [١٠]

[1] *In Rom. hom 31.*
[2] *In Rom. hom 31.*
[3] *Comm. on Luke , ch. 24.*

امتدحوها من أجل ما صنعته بنفسها دون مساندة إنسانٍ ما، قدمت كل عملٍ صالحٍ من أجل شعب الله، فسَّر الله بها. أيَّد كل الحاضرين هذا الحديث المفرح، وطلبوا لها أن يعوضها الله عن هذا العمل بالبركة الأبدية.

٤. فرح وسط الشعب

ونَهَبَ الشعبُ كلُه المُعَسكَرَ مُدَّةَ ثَلاثينَ يَومًا.
وأعطَوا يَهوديتَ خَيمةَ أليفانا،
وجَميعَ ما كانَ لَه مِن أواني فِضَّةٍ وأَمتِعَةِ مَنَامَةٍ وآنيَةٍ وأثاث.
فأخَذَته وحَمَّلَت بعضها على بَغالِها،
وقَطَرَت عَرَباتِها وكَدَّسَته علَيها [١١].

كانت الغنيمة من الكثرة حتى لم يستطع المؤمنون أن يحملوها إلى بيوتهم لمدة ثلاثين يومًا. كانوا يخرجون كل صباح ويحملون ما كان في خيام الأشوريين ويعودون إلى مساكنهم بخيراتٍ لا حصر لها.

قرر الشعب ألاَّ تمتد يد إلى خيمة أليفانا وكل ما فيها من جواهره وأدواته الثمينة وآنيته وأثاثاته سوى يد يهوديت كمكافأة رمزية لها. هذه التي اختارت الحياة النسكية وزهدت كل ثمينٍ أفاض الله عليها بما لم يكن في حسبان أحد. أخذته لا لتنشغل بما وُهب لها، بل قامت بعد ذلك بتوزيعها (١٦: ٢٤).

"أمتعة منامه": أي حجرة نومه الثمينة التي كانت تليق بقائدٍ عظيمٍ مثل أليفانا، ولعلها تعني الجناح الخاص بحياته الشخصية في خيمته الضخمة.

هذه الغنائم جمعها جيش أليفانا من الشعوب والأمم التي استسلمت وسلمته هو وجيشه كل ما يُمكن تقديمه، حتى لا تمتد إليهم أياديهم بالأذية خاصة القتل.

واجتمعَت جَميعُ نِساءِ إسرائيلَ لِيَرَوها وبارَكنَها،
وأقامَ بَعضُهُنَّ رقصات لتَكريمها.
فأخَذَت يَهوديتُ فروع شجر مجدول بِيَدِها،
ودَفَعَتها إلى النساءِ اللَّواتي كُنَّ معَها [١٢].

لم يكن ممكنًا لكل الشعب سواء القادة الروحيين أو المدنيين أو العسكريين أن يعبروا عن فرحهم بيهوديت، وشعر الكل أنهم مدينون لها بكل حياتهم وكرامتهم وسلامهم.

حتى النساء لم يدخل الحسد إلى إحداهن من جهتها، بل بكل قلوبهن اشتقن إلى رؤية هذه البطلة في الرب، والتي تستحق كل تكريم، وعبَّرن عن ذلك برقصات جماعية لها. أما هي فلم تنشغل بتكريمها، إنما كان قلبها متهللاً بعمل الله مع شعبه ولحساب مجد اسمه. كانت تحمل فروع الأشجار وتلوِّح بها، وتدفعها للنساء اللواتي معها، لتعلن أن الرب قدم النصرة للجميع وليس لحسابها شخصيًا.

وكَلَّلت نَفسَها بِأكاليل الزيتون،
هي واللَّواتي معَها،
وتقَدَّمتِ الشعبَ كُلَّه تُديرُ جَوقَةَ النساءِ جَميعًا.
وفي نفس الوقت كانَ رِجالِ إسْرائيل يَتبَعونَهن مُسَلَّحينَ ومُكَلَّلين،
وينشدون أناشيدُ الحمد [١٣].

يا للعجب الأرملة التي أصرَّت أن ترتدي ثياب الحزن بعد موت رجلها، ورفضت الارتباط برجلٍ آخر، الآن تقود احتفالات النصرة الضخمة للنساء يتبعهن الرجال. وكما قيل: "حينئذ تفرح العذراء بالرقص، والشبان والشيوخ معًا، وأحوِّل نوحهم إلى طربٍ وأعزيهم، وأفرّحهم من حزنهم" (إر ٣١: ١٤).

وأنشَدَت يَهوديتُ نَشيدَ الشُكرِ هذا أمام كُلِّ إسْرائيل،
واستَجابَ الشعبُ قَلبيًا بِهذا النشيد [١٤].

كان الشعب يبحث عن أيَّة وسيلة للتعبير عن شكره وتكريمه لهذه القديسة البطلة، أما هي فكان قلبها مرتفعًا نحو السماء تقدم له الشكر والحمد وتمجده باسم الشعب كله.

من وحي يهوديت ١٥

لتنحلّ مملكة الظلمة وتتهلل مملكة النور!

❖ منذ سقوط أبوينا الأولين،
ويظن إبليس أنه صار سيد العالم.
يحسب نفسه إله كل الممالك.
ليس من يقف أمامه،
ولا من يقدر أن يقاومه!

أراد أن يخضع الكل له طوعًا أو جبرًا!

❖ لكن مجيء الرب شمس البرّ،
بدّد الظلمة وحطّم مملكتها.
ارتعب إبليس أمامه،
وانهارت كل قوات الظلمة!
لم يعد للعدو ولا لحيله سلطان علينا!

❖ بصليبك حملتنا كما على كتفيك.
ودخلت بنا إلى أحضانك.
كنا غنائم إبليس، مستعبدين له.
كان يظن أننا لن نفلت من يديه.

❖ حررتنا يا أيها القدوس مخلِّص العالم.
حملتنا كغنائمٍ تدخل بنا إلى سماواتك.
حوّلت حياتنا إلى عيدٍ لا ينقطع.
عوض النحيب، صار لنا التهليل الدائم.
عوض البؤس، تمتعنا بطوباوية ملكوتك.
عوض الأسْر صار لنا حرية مجد أولاد الله!

❖ ماذا نقدم لك يا أيها العجيب في خلاصك!
نسبحك ونمجدك ونشكرك كل أيام حياتنا!

الأصحاح السادس عشر

شكر وتسبيح لواهب النصرة

جاء نشيد الخلاص والشكر هنا مزمورًا رائعًا على غرار مزامير داود النبي التي أنشدها في مناسبات الانتصار على الأعداء، حيث يتغنى بقوة الله ورعايته كواهب النصرة لشعبه ضد الأعداء. يرى البعض أنها جاءت في توازٍ مع تسبحة مريم أخت موسى وهرون عند البحر، وتسبحة دبورة (قض ٥).

إن كانت يهوديت ابنة صلاة، فإنها إذ غلبت لم تسقط في كبرياء، بل انطلق لسانها بالتسبيح والحمد لله. "سأرنّم لإلهي نشيدًا جديدًا. ربّي، عظيمٌ أنتَ وممَجّد عجيبٌ في القوّة ولا يقْوى عليكَ أحَدٌ" (١٦: ١٣). كثيرًا ما نتذكر الله وسط الشدة، لكننا ننساه عند الفرح!

إنها سيدة أرملة بعفتها وإيمانها نال شعبها نصرة على العدو. وحوّلت أيامهم إلى أعياد، إذ عيّدوا لهذه النصرة لمدة ثلاثة أشهر، وبسببها وهب الله شعبها سلامًا حتى بعد نياحتها. "لم يكن مدة حياتها كلها من يقلق إسرائيل، ولا بعد موتها سنين كثيرة" (١٦: ٣٠). وصار يوم النصرة عيدًا سنويًا يحتفل به اليهود. حقًا، العالم يحتاج إلى مثل يهوديت، نفوس مقدسة، بسببها يتمتع كثيرون بالنصرة والفرح والسلام.

جاء في دائرة المعارف *Encyclopedia Judaica* أن هذا النشيد بالتأكيد أقدم من تلك الأناشيد التي وُجدت في قمران *Qumran*[1].

يرى البعض أن ما ورد في هذا النشيد عن سقوط أشور بيد امرأة، وليس بيد أحد أبطال الحروب العمالقة يحمل صدى لما ورد في إشعياء ٣١: ٨. "ويسقط أشور بسيف غير رجل (ذكر *male*)".

١. نشيد الرب المحارب ١-٢.

٢. الخطر والخلاص ٣-١٢.

٣. الله الديان ١٣-١٧.

٤. عيد لمدة ثلاثة أشهر ١٨-٢٠.

٥. شيخوخة يهوديت ونياحتها ٢١-٢٥.

---

[1] *E. J., 451.*

١. نشيد الرب المحارب

جاء نشيد يهوديت يحمل الكثير من العبارات الواردة في سفر المزامير، مما يكشف عن حياتها وأسلوب عبادتها، إنها كانت تمارس المزامير وتعيش بروح التسبيح. وكأن نشيدها جاء ثمرة طبيعية لما كانت تمارسه طوال حياتها.

فقالَت يَهوديت: "أنشِدوا لإلهي بِالدُفوف،
رنِّموا لِلربِّ على الصنوج،
انظِموا لَه مَزمورًا جديدًا،
والنشيد أشيدوا،
وادعوا بِاسمِه [١].

يقدم لنا الكتاب المقدس صورة حية للحياة الكنسية التي تعيشها الجماعة المقدسة كما يعيشها المؤمن المقدس في الرب. فهي حياة تواجه سلسلة من الضيقات، خلالها يتدرب المؤمن على الصراخ لله والاتكال عليه والرجاء في عمله الإلهي، وتنتهي كل ضيقة بتجلي الله العجيب في حبه ورعايته، وتتحول حياة الجماعة وكل شخصٍ إلى أنشودةٍ مفرحةٍ، وكأن الكنيسة بشعبها الحيّ تتدرب على التمتع بالحياة السماوية المفرحة.

جاءت مقدمة هذا النشيد تشبه مطلع بعض المزامير مثل مز ٨١؛ ١٠٥؛ ١٣٥؛ ١٤٩؛ وأيضًا ما ورد في بعض المزامير مثل مز ٣٣: ٣؛ ٦٨: ٣٢؛ ١٥٠: ٤-٥.

الذين اختبروا عذوبة التسبيح لا يَكفوُن عن دعوة المؤمنين للتسبيح لله. يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن التسبيح أداة قوية وفعَّالة لنوال النصرة الروحية. وكأن التسبيح لا يُقدَّم فقط بعد نوال النصرة، وإنما يُمارَس أيضًا قبل التجربة وأثناءها، فيهب المؤمن روح القوة والثقة في الله واهب الخلاص.

جاء عن السيد المسيح أنه سبَّح مع تلاميذه قبل تسليمه للمحاكمة (مت ٢٦: ٣٠؛ مر ١٤: ٢٦)، ليقودنا لحياة التسبيح في وسط ضيقاتنا.

يقول المرتل: "مِنْ قُدَّامٍ الْمُغنُون. منْ وراءٍ ضاربُو الأوْتار. في الْوسط فتياتٌ ضاربِاتُ **الدُّفُوف**" (مز ٦٨: ٢٥). صورة رائعة لكنيسة المسيح المُنتَصِرة على الدوام. يحتل صفوفها الأولى جماعة الشاكرين، الذين يسبِّحون الله الصالح، الذي يحوِّل الضيقات والمعارك إلى أفراح ومحافل مقدسة وأعيادٍ لا تنقطع. وفي نهاية الصفوف ضاربو الأوتار، الحاملون

آلات العزف، أما في الوسط، فالفتيات ضاربات الدفوف. إنه قلب الكنيسة الذي يرقص بالتهليل بالله والفرح بعمله الخلاصي. في اختصار الموكب كله موكب الهتاف والتهليل والفرح السماوي الذي لا ينقطع.

التسبيح بالصنوج بصوتٍ عالٍ وهتافٍ يتناسب مع التسابيح العالية (نح ١٢: ٢٧). ما هي الصنوج العالية، إلا صوت القلب الداخلي الذي يبلغ إلى عرش نعمة الله دون عائق، والذي يترجمه المؤمن ببذل كل جهدٍ، وترك كل شيءٍ، حبًا في ذاك الذي بذل ذاته عنا. تشبه الصنوج الأطباق، كل طبق يضرب في آخر، فيحدث صوتًا عاليًا.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الله أوصى باستخدام الآلات الموسيقية في العهد القديم من أجل ضعفهم الروحي، حتى تثيرهم للغيرة المقدسة والتسبيح لله. أما الآن وقد بلغ الإنسان النضوج، فإنه يستخدم كل أعضاء جسده كآلات موسيقية تعبر عما في قلبه من حبٍ وشكرٍ لله[1].

❖ يليق بقلب المسيحي وفمه ألا يكفًّا عن التسبيح لله، فلا يمجده في الفرج، ويتذمر عليه في الشدة.

القديس أغسطينوس

❖ التسبيح في ذاته صالح، والمزمور يقدم خيرات كثيرة:
إنه يعزل العقل عن الأرض،
ويعطي النفس أجنحة،
ويجعل (الأجنحة) خفيفة قادرة على الطيران في الجو.
لهذا يقول بولس: "مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب" (أف ٥: ١٩).
توجد حاجة للتسبيح من أجل حياة المرتل وصلاته والتوفيق[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

لأَنَّ الربَّ إِلهٌ يَمحَقُ الحُروبَ،
لأَنَّه في مُعَسكَراتِه، في وَسَطِ الشعْبِ،
فأَنقَذَني مِن يَدِ مُضطَهِدِيَّ [٢].

---

[1] On Ps. 150.
[2] On Ps. 147.

"الرب الإله يمحق الحروب": فالله هو قائد المعركة، وهو طرف فيها ضد إبليس وقوات الظلمة (خر ١٥: ٣؛ ٧٤: ١٣-١٥؛ ٩٨: ١٠-١١).

"في معسكراته، في وسط شعبه": أي هو حاضر في وسطهم كقائدٍ غير منظور يقيم منهم مركباته المملوءة قوة، فلا يستطيع العدو التغلب عليهم، حاضر في وسطهم بمركباته السمائية لحسابهم بكونهم شعبه. وكما قال اليشع النبي لتلميذه جيحزي: "لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم" (٢ مل ٦: ١٤-١٨). لقد أرعب الله قبلاً جيش الأراميين إذ سمعوا صوت مركباتٍ وصوت خيل، صوت جيشٍ عظيم، فتركوا أمتعتهم وهربوا (٢ مل ٧: ٦-٧).

التجارب والمحاربات الروحية هي أروع فُرَص للتمتُّع بالشعور بأن الله معنا وفي وسطنا ويتقدمنا في المعركة. في وسط الآلام كان داود النبي يتلامس مع الله في خبرة حية فعَّالة، وعندما دخل إلى الطريق الواسع السهل، فقد هذه العطية، فانحدر من خطيةٍ إلى خطيةٍ، وكاد أن يهلك لولا نعمة الله التي أنقذته.

٢. الخطر والخلاص

أتى الأشوري مِنَ الجبالِ الشماليَّة،
أتى بجَيشِه غير المُحصى.
كَثرتُهم سَدَّت الأنهار،
وخيولُهم غَطَّت التلال [٣].

كان ملك أشور يُمثِّل إبليس الذي يريد أن يُقيم نفسه إلهًا على الأرض كلها، وأليفانا قائد جيشه يُمَثِّل ضد المسيح الذي لا عمل له إلا دفع كل أمةٍ بل وكل إنسانٍ في العالم بكل وسيلة ليجحد الله ويُجَدِّف عليه، ويقيم إبليس إلهًا صاحب سلطان على كل ممالك الأرض.

عند مجيء ضد المسيح تخضع له الممالك، وتبرد محبة الكثيرين، حتى إن أمكن أن يضل المختارين، ويبدو كأنه قد غلب وجمع العالم كله حوله، تمامًا كما حدث مع أليفانا. فجيشه صار ربوات لا تُحصى، امتلأتْ الأودية بهم، وغطَّتْ خيوله التلال. لم يُدرِك أن هذا كله يصير لعاره وخزيه، ويتمجد الله بالقلة القليلة الأمينة له.

مع ما ستعانيه الكنيسة من مرارة في أيام ضد المسيح، لكن تنتهي المعركة بنصرة كنيسة المسيح وتحطيم ضد المسيح، وهلاك إبليس نفسه في نار جهنم.

قالَ إنَّه سيَحرِقُ بِلادي،

ويَقتُلُ بالسيف فتياني،
ويَطرَحُ إلى الأرض رُضَعائي،
ويَجعَلُ غَنيمةً من أطفالي،
وَيسبي العذارى اللواتي لي غنائم حرب [٤].

لم يروِ الكاتب عن أليفانا بأنه هدد بهذه الكلمات، فربما أرسل إلى القادة هذه التهديدات خلال رسله، أو حسبت يهوديت البارة أن ما فعله أليفانا بالشعوب الأخرى حين افتتح بلادهم هو تهديد عملي للشعوب التي لم تخضع له.

في تسبيحها لله حسبت القديسة يهوديت أنها تمثل الشعب، فما يحل بهم من مرارة إنما يحلّ بها.

في أمومة روحية حسبت هذه الأرملة التي لم تنجب أطفالاً حسب الجسد كل الفتيان فتيانها، وكل الرُضع رضعاءها، وكل طفل هو طفلها!

إنه حب عملي لكل إنسانٍ! وكأنها تقول مع الرسول بولس: "من يضعف وأنا لا أضعف، من يعثر وأنا لا ألتهب؟"

يريد أليفانا كممثلٍ لضد المسيح أن يوجه ضرباته لخمسة مراكز خطيرة وهي البلاد، والفتيان، والرضع والأطفال والأبكار. بهذا يظن أنه يُحَطِّم شعب الله تمامًا وإلى آخر الدهور.

أ. **حرق البلاد**: عوض نار الروح القدس الذي يُقَدِّس أرض المؤمن أو قلبه ليقيم منه سماءً، يلهب العدو نيران الشهوات، فيُحوِّل القلب إلى جحيم لا يُطاق. يريد رب المجد أن يقيم ملكوته في قلوبنا، ويبذل العدو كل طاقاته لإقامة ملكوت الشر، ملكوت إبليس الفاسد.

ب. **قتل الفتيان بالسيف**: عِوَض كلمة الله الحية التي كسيفٍ ذي حدين، تجرح القلب بجراحات الحب الإلهي والأخوي، يضرب العدو بسيف الكراهية. عمل عدو الخير أن يحجب كلمة الله عن الفتيان، كأنها قيود قاسية، فيضرب بسيف العبودية في أعماقهم.

ج. **يطرح الرُضع أرضًا**: عوض تقديم لبن الإيمان الحيّ الذي يرفع حتى الرضع والمبتدئين في الإيمان إلى السماء، يطرح العدو الإنسان منذ بدء حياته الروحية أرضًا، فيلتصق بوحل العالم عوض ثمار الروح السماوية.

د. **يحمل الأطفال غنائم**: يأسر صغار النفوس ليربيهم بفكره الفاسد عوض تقديم اللبن النقي والطعام الطاهر الذي لإنجيل المسيح بفكرِ إنجيلي رسولي آبائي حق.

هـ- يسبي العذارى: كانت العذارى مكرسات الرب، نصيب الرب، لكي لا نتغنى مع إرميا النبي: "نصيبي هو الرب قالت نفسي" (مرا ٣: ٢٤).

الربُ القَديرُ خذلهم بيَدِ امرَأة [٥].

سقط أليفانا بيد يهوديت، فانهار كل جيشه أمام جيش إسرائيل والشعب! من هي يهوديت إلا كنيسة المسيح الجميلة والمتزيّنة بثمار روح الله القدوس. إنها يهوديت المملوءة غيرة مقدسة، تتحرك بقيادة الله، فتنعم بالقدير نفسه واهب النصرة.

فإنَّ بَطَلَهم لم يَسقطْ بِأيدي شبَّاننا،
ولم يَبْطُشْ بِه بَنو طيطان *Titans*،
ولا جَبابِرَةَ طِوالٌ *lofty giants* هَجَموا علَيه،
بل يَهوديتُ ابنَةُ مَراري *Merari* بِجَمالِ وَجهِها أعجَزَته [٦].

"طيطان *Titan*" اسم إله إغريقي، كان يصارع الإله زيوس في الأساطير. هذا وقد تسمى وادي الرفائيين الموجود جنوب غربي أورشليم وادي بني طيطان.

فقَد نَزَعَت ثَوبَ تَرمُلها لإنْهاضِ المَحْزونين في إسرائيل،
ودَهَنَت وَجهَها بِالطيب [٧].

منذ وفاة رجلها عاشت يهوديت بثياب ترملها، ولم ترد أن تخلعها حتى لا يتقدم أحد للزواج بها. فقد كرَّستْ حياتها لعريسها السماوي. لم تكن ترتدي ثياب الترمل علامة حزنٍ وكآبة، لأنها كانت تُسبِّح الله وتتهلل به، إنما لكي تغلق باب الحوار مع إي إنسان بخصوص زواجها. الآن خلعتْ هذه الثياب وارتدتْ ثياب فرحها، وذلك لأسباب كثيرة:

أ. لكي تنزع عن شعبها المرارة التي لحقتْ بهم بسبب مقاومة أليفانا وجيشه لهم. فإنسان الله لا يعرف الضعف، ولن يترك الحزن يُحَطِّمه.

ب. لكي تعلن عن فرحها بعريسها السماوي، الذي يملأ أعماقها بالفرح، ويحقق لها النصرة على العدو الشرير. فهي ليست بأرملةٍ ضعيفةٍ بل عروس السماء القوية بالرب.

ج. لكي تطيِّب وجهها بأغلى أنواع الطيب، رائحة المسيح الذكية، فتنطلق للعمل إنما بنعمة الله العاملة فيها. تسلَّح الرسول بهذا الطيب فتغنَّى: "شكرًا لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين، ويُظهِر بنا رائحة معرفته في كل مكان " (٢ كو ٢: ١٤).

يرى **القديس إكليمنضس السكندري** أنه ما كان يمكن لتلاميذ السيد المسيح أن

ينطلقوا إلى رحلات الكرازة بما فيها من متاعبٍ ما لم يحملوا نعمة رائحة المسيح الذكية لتهبهم نصرات ونجاحًا في العمل.

❖ بالحق ملأتنا آلام الرب برائحته الذكية[1].

القديس إكليمنضس السكندري

❖ لتضع مذبح البخور في أعماق قلبك. كن رائحة المسيح الذكية[2].

العلامة أوريجينوس

وعَصَبَت شَعرَها بِعِصابةٍ،
ولَبِسَت حُلَّةً مِن كتَّان لِتَفتِنَه [٨].

إن كان مجد المرأة شعرها (١ كو ١١: ١٥)، فقد وضعتْ يهوديت تاجًا زادها جمالاً وقوةً، وهو إيمانها بالله واهب الخلاص والنصرة. هذا الإيمان هو خوذة الخلاص الذي هو رأسها (أف ٦: ١٧؛ ١ تس ٥: ٨).

❖ بالحقيقة المسيح هو مصدر خلاصنا. إنه رأسنا. نزل إلينا وخلَّصنا بسرّه. إنه هو بالحقيقة الذي يحرس رؤوس المؤمنين. إنه الكلمة الذي به تُهزَم القوات المضادة وتؤسر... المسيح هو كلمة الله الذي أُرسل ليغلب كل فسادٍ وشرٍ بل ويُحَطِّم الموت نفسه[3].

الأب ماريوس فيكتورينوس

❖ بسبب خوذة الخلاص هذه تبقى كل حواس في رأسنا سليمة. تحفظ على وجه الخصوص العيون. في سفر الجماعة يقول سليمان إن عيني الحكيم في رأسه (جا ٢: ١٤)[4].

القديس جيروم

هذا عن التاج الذي وضعته على رأسها يضم شعرها، ويزيدها جمالاً وبهاءً، ويهبها روح الملوكية والقوة. أما عن ملابسها، فقد ارتدتْ حُلَّة من كتان مثل الكهنة، حيث يشير الكتان إلى الطهارة. إن كانت الطهارة تبهج قلب القدوس الذي يود أن يكون الكل طاهرين ومقدسين، فإنها تفتن عدو الخير، فيحسد الأطهار، ولا يكف عن بذل كل الجهد لإفسادها.

---

1 *Paedagogus 2: 7: 63.*
2 *In Exod., homily 9.*
3 *Marius Victorinus: Ep. To the Ephesians 2: 6: 17.*
4 *Ep. To the Ephesians 3: 16: 16..*

جذاؤها خطف بَصَرَه،
وجَمالُها أسرَ نَفْسَه،
والسيف قَطَعَ عُنُقَه [٩].

يا للعجب، ذاك الذي أذل ملوكًا ورؤساء جيوش وجبابرة، وأرعب الكثيرين شدّ بصره حذاء أرملة. أسر الحذاء اللامع والبهي قلبه، فذلّه بشهوة جسد دنيئة، وارتمى تحت قدمي أرملة لتقتله بسلاحه وتقطع عنقه.

تقيم الشهوة الدنيئة من الإنسان نفسه أسيرًا، بلا قوة. لا يذل الإنسان جمال إنسانٍ آخر أو إمكانياته، إنما يذل نفسه بنفسه خلال فساد شهوته؛ يُسلِّم رقبته ليُقتل بسلاحه.

ارتَعَدَ الفُرْس مِن شَجاعَتِها،
واضطَرَبَ بنو مادِيَ مِن جُرأتِها [١٠].

إذ انتشر خبر هزيمة جيش أشور العظيم حلّ الرعب على مملكة فارس، وأيضًا على مملكة مادي. لم يكن أحد يتصور أن ملكًا أو رئيس جيش جبار يستطيع أن يقف أمام أليفانا الذي يهزّ العالم كله في ذلك الحين. أما وقد وجدوا رأسه في يد أرملة تبدو ضعيفة حسب الجسد، فقد ارتعبوا للغاية.

يعتمد بعض الدارسين إلى هذه العبارة حيث يُشار إلى فارس ومادي لاعتبار أن الأحداث الواردة هنا تمت بعد رجوع اليهود من السبي إلى أورشليم.

حينَئذٍ صَرَخَ شعبي المكتئب بصيحة الحرب،
وصاح ضُعَفائي،
فارتَعَدَ الأعداء،
ورَفَعوا صَوتَهم،
ووَلَّوا هارِبين [١١].

إذ كان الشعب منسحقًا بسبب نقص الماء ودخولهم في حالة عطشٍ شديدٍ ومعاناة من المجاعة، صاحوا قدر ما يستطيعون ورفعوا أصواتهم ضد أشور فولّى جيش الأشوريين هاربين في رعب.

بَنو الجواري طَعَنوهم،
وجَرَحوهم كأولادِ الفارّينَ أمام العدو،

فهلكوا بواسطة جيش الرب [١٢].

جاء هذا التعبير: "أبناء الجواري"، يقصد بهم الضعفاء والمتواضعون والذين يحسبون كعبيدٍ لا قيمة لهم، كمن هم بلا أصل أبناء نساء منسيَّات، هؤلاء الذين قال عنهم الرسول بولس: اختار الله المُزدرى وغير الموجود ليخزي بهم الذين يظنون في أنفسهم عظماء وأصحاب شهرة. هكذا تتغنى يهوديت بقدرة الله العاملة في الضعفاء. كان اليهود في نظر الأشوريين أشبه بالعبيد أبناء الجواري أو نسل لأناس هاربين لا يعرفون إلى أين يلجأون، ليس من قانون يحميهم، فكيف يحمون أنفسهم؟ لكنهم في نظر الله هم "جيش الرب".

٣. الله الديان

سأُرَنِّمُ لإلهي نَشيدًا جَديدًا.
عَظيمٌ أنتَ يا رب، ومُمَجَّد،
عَجيبٌ في القُوَّة،
ولا يَقْوى علَيكَ أحَد [١٣].

لا يُقصد بالنشيد الجديد أو الترنيمة الجديدة وضع تسبحة جديدة وتأليفها، إنما تقديم ذبائح الشكر والتسبيح لله بقلبٍ دائم التجديد، فلا تحمل الأنشودة مللاً، ولا يُغنى بها في مللٍ. لذا يقول الرب: "اجعل كل شيء جديدًا" (رؤ ٢١).

قدمت النصرة على يديّ يهوديت بطريقة لا يتوقعها أحد عذوبة في قلوب المؤمنين، فطفروا يسبحون إلههم كما بنشيدٍ جديدٍ لم يسبق لهم التغني به. أدركوا أن قوة الله إلههم فوق كل قوة.

هذه صورة الكنيسة التي تعيشها كل يومٍ، حيث يسقط عدو الخير إبليس وكل قوات الشر تحت أقدام المتواضعين. العدو الذي يسخر بالمؤمنين كبشرٍ ضعفاء ويحتقرهم ينهار تحت أقدامهم بقوة صليب رب المجد.

إيَّاكَ فلتَعبُدْ خَليقَتُكَ بِأسرِها،
لأنَّكَ أنتَ قُلتَ فكانت.
أرسَلتَ رُوحَكَ، فكَوَّنَها،
ولَيسَ مَن يُقاوِمُ صَوتَكَ [١٤].

ليس بالأمر العجيب أن يهب الله مؤمنيه قوة للغلبة على قوات الظلمة، فهو القدير

خالق الكل. قال فكان. أرسل روحه القدوس، فأوجد العالم بإبداعه العجيب. كلمته القادرة أن تخلق من العدم، قادرة أن تخلص البشر كخليقته المحبوبة لديه.

الجِبالُ تَهتَزُّ مِن أُسُسِها وتَختَلِطُ بِالمِياه،
والصخورُ كالشمعِ تَذوبُ أمامَ وَجهِكَ،
وتَكونُ رحومًا على الَّذينَ يَخافوكَ [١٥].

تهتز الجبال الشامخة أمام خالقها (مز ٣٣: ٩؛ ١٠٤: ٣٠؛ ١٤٨: ٥؛ إش ٤٨: ١٣). فالجبال تذوب أمامه كالشمع (مي ١: ٤؛ مز ٩٧: ٥).

إن كانت الطبيعة غير العاقلة تبدو شامخة بجبالها الضخمة وبحارها المتسعة والعميقة وصخورها القوية، تهتز أمام وجه خالقها وتذوب كالشمع، فكم بالحري يليق بنا أن نثق في رعايته وحمايته وخلاصنا نحن الذين من أجلنا أوجد كل هذه الخليقة.

إذ نعبده ونتَّقيه ونثق فيه، يُسر بنا ويكون راضيًا عنا.

لأَنَّ كُلَّ ذَبيحةٍ كتقدمةٍ لذيذة تُحسب كلا شيء،
وكلَّ شحمٍ أحقَرُ مِن أَن يكونَ لَكَ مُحرَقَة.
ولكِنَّ الَّذي يَخاف الربَّ عظيمٌ في كُلِّ شَيءٍ [١٦].

ندهش لنظرة الله نحو الإنسان كما تُقَدِّمها لنا يهوديت في تسبحتها لله.

لقد استخف أليفانا بكل الأمم والشعوب، وحسب اليهود المقاومين له أشبه بأبناء جواري لا قيمة لهم، أو كنسل أناس شاردين هاربين لا يستحقون إلا القتل.

أما يهوديت فرأت كل إنسانٍ من الشعب كتقيّ الرب. إنه عظيم في عينيّ الرب في كل شيء. سرّ عظمته لا تقدماته ولا ذبائحه ولا عطاياه، إنما هو نفسه أيقونة الله الحيّة. ليس من يقدر أن يقيِّم الإنسان المحبوب جدًا لدى الله.

ليس من ذبيحة أو تقدمة يمكن للإنسان أن يقدمها لله، إنما يطلب الله الإنسان نفسه، بكونه موضع حبه.

«الإنسان التقي، أي الحامل مخافة الله القائمة على طاعة الإنسان لله أبيه هو عطية مقبولة لدى الله.

الوَيلُ لِلأُمَمِ الَّتي تَقومُ على شعبي!
فالربُّ القَديرُ يَنتَقِمُ مِنهُم في يَومَ الدينونة،

يَجعَلُ النارَ والدودَ في لُحومِهِم،

فَيَبْكونَ أَلمًا للأَبَد" [١٧].

رأت البارة يهوديت في هزيمة الأشوريين أمام شعبها صورة حيّة للكنيسة المتهللة بنصرة أبنائها علي قوّات الظلمة، كعربون لما يتحقق في يوم الرب العظيم حيث يُلقي إبليس وجنوده في النار الأبدية.

يا لبؤس الذين يقاومون أولاد الله، لأنهم يقاومون الله نفسه، فإن العذاب الأبدي ينتظرهم.

٤. عيد لمدة ثلاثة أشهر

ولَمَّا وَصَلوا إلى أورَشَليم، سَجَدوا لله.

وبَعدَما تطَّهَروا،

قَرَّبوا مُحرَقاتِهم، ونذورهم، وتقدِمَاتهم [١٨].

بقيَ الشعب في بهجة عجيبة واحتفالات مستمرة يحملون الغنائم من معسكر الأشوريين إلى مساكنهم مع تسبيحٍ مستمرٍ وتهليل وتمجيد لله مخلصهم. الآن انطلقوا في موكبٍ رائع يتجه نحو أورشليم ليقدموا ذبائح الشكر والسلامة ويوفوا نذورهم وتقدماتهم.

❖ حسنًا يا أحبائي أن نواصل من عيدٍ إلى عيدٍ، مرة أخرى إلى اجتماعات مبهجة، ثم أسهارٍ مقدسة ترفع عقولنا، ونُلزم عقولنا أن تسهر متأملة في الصالحات.

ليتنا نحقق هذه الأيام ليس كمن في حزنٍ، بل نتمتع بالطعام الروحي، ونهدئ شهواتنا الجسدية.

فإننا بهذا ننال قوة لتغلب عدونا، مثل الطوباوية يهوديت التي تدربت أولاً على الأصوام والصلوات، فغلبت أعداءها وقتلت هولوفرينس *Holophernes*[١].

البابا أثناسيوس الرسولي

وقَرَّبَت يَهوديتُ أيضًا جَميعَ أَمتِعَةِ أليفانا الَّتي أعطاها الشَعْبُ إيَّاها.

وأمَّا ناموسية العرش الَّتي نَزَعَتها مِن مَضجَعِه،

فقَرَّبَتها لله تَحْريمًا [١٩].

قدمت القديسة يهوديت كل ما أعطاه إياها الشعب ألا وهي أمتعة أليفانا؛ إذ لم تذهب

[١] *Paschal Letters, 4: 2.*

بنفسها لتقتني غنيمة ما، ولا أرسلت من قبلها أحدًا يحمل لها شيئًا، لكن الشعب شعر أن من واجبه أن يحمل لها أمتعة هذا القائد المنكسر.

قامت بدورها تقدم كل ما سلمه إليها الشعب، لتعلن أن لا فضل لها في النصرة، إنما هو عمل الله نفسه، وهو المستحق الشكر والكرامة والمجد.

أرادت أن توضع هذه الغنائم في الهيكل، لكي تتذكر الأجيال القادمة عمل الله مع شعبه. هذا ومما يجدر بالذكر أن هيكل أورشليم كان مكدسًا بمثل هذه الهدايا والغنائم، مما جعله مطمعًا لكل وثني وطامع.

تقريب قبة العرش التي لأليفانا لله تحريمًا يعني عدم الجواز لأحد أن يستخدمها، سواء رئيس الكهنة أو الكهنة أو أحد الملوك أو من القادة العسكريين. كما لا يجوز بيعها أو إهدائها، أي قدمته وقفًا مؤبدًا للهيكل.

وكانَ الشعبُ مَسرورًا في أورشَليمَ مُدَّةَ ثَلاثةِ أشهُر متوالية،
أمامَ المَقدِسِ،
وبَقِيَت يَهوديتُ مَعَهم [٢٠].

شاركت يهوديت الناسكة التي تحب العزلة مع الله شعبها احتفالاته في أورشليم لمدة ثلاثة أشهر متوالية. فقد كان وجودها يبعث الفرح في حياة القادة والشعب، ويذكرهم بقدرة الله العجيبة والعاملة بكل الطرق لخلاص شعبه.

٥. شيخوخة يهوديت ونياحتها

وبعد تلكَ الأيّام،
رَجَعَ كُلُّ واحدٍ إلى بيتِه،
وانصرَفَت يَهوديتُ إلى بَيتَ فَلُوى،
وأقامَت في مِلكِها.
وصارَت مكرمةً في بقيةِ أيامها في الوطن كُلِّه [٢١].

عاد كل إنسان إلى بيته ليمارس عمله بروحٍ قوية، فالعبادة المتهللة تبعث المؤمنين على العمل والالتزام بالمسئولية.

عادت يهوديت إلى مسكنها لتمارس حياتها الأولى من أصوامٍ مستمرة مع عبادة دائمة، ترتدي ثوب ترملها، وترفض الزواج بعد أن صار لها شهرتها العظيمة واشتاق كثير

من العظماء أن يتزوجها.

كَثيرٌ مِنَ الرجالِ رغبوا فيها،
ولَم يَعرِفْها رَجُلٌ مِنَ الرجالِ جَميعَ أيَّامِ حَياتِها،
مُنذ وَفاةِ زَوجِها مَنَسَى،
وانضمامِه إلى شَعبِه [٢٢].

اشتهى كثير من العظماء أن يلتصقوا بها كزوجة لهم، خاصة بعد تحقيق النصرة لحساب الشعب كله، أما هي فأصرَّتْ أن تُكَرِّس حياتها لله دون الاقتران بإنسانٍ ما.

❖ مع هذا فإنها لم تتباهى بهذا النجاح مع أنه يحق لها أن تفرح وتعتز بحق نصرتها، فتوقف تداريبها الخاصة بترملها. لكن برفضها كل من رغب في الزواج منها تركت ثياب فرحها وارتدت ثانية ثياب ترملها، غير مبالية بزينات نصرتها، مفكرة في الأمور الأفضل التي بها تُخضِع شهوات الجسد أكثر من تلك التي بها تهزم أسلحة العدو[1].

القديس أمبروسيوس

وكانَت تَزْدادُ عَظَمَةً كلَّما طَعَنَت في السنِّ،
وشاخَت في بَيتِ زَوجِها،
فبَلَغَت مائةً وخَمسَ سِنين.
وأعتَقَت وصيفَتَها،
وتُوُفِّيَت في بَيت فَلْوى،
فدَفَنوها في قبر زَوجِها مَنَسَّى [٢٣].

لم يكن ممكنًا للزمن أن يغطي على هذا العمل العظيم، وإنما كان يزيد من عظمة يهوديت. عمل الرب لن يمحيه الزمن ولا يطويه النسيان، بل يتجلَّى بالأكثر يومًا فيومًا، ويشهد لحب الله الفائق.

قبل نياحتها قامت بتحرير وصيفتها، ولعلها فعلت هذا حتى لا يرثها أحد من أسرتها كجارية تفقد حريتها. فقد اشتركت الوصيفة بدورٍ عظيم في حياة يهوديت، ربما كانت كاتمة أسرارها، وحسبتها كأختٍ لها. الآن قبل أن تنطلق من العالم أطلقت حرية وصيفتها.

صارت حياة القديسة يهوديت مثلاً رائعًا للإنسان التقي، الذي يعرف كيف يمارس

---

[1] *Concerning Widows 7: 42.*

حياة التكريس والاتحاد مع الله، دون التراخي في خدمة الآخرين والعمل لحساب ملكوت الله.

وناحَ علَيها بَيتُ إسرائيلَ سَبعَةَ أيام.
وقَبلَ وَفاتِها وزَّعَت أموالَها على جَميعِ أقارِبِ زَوجِها مَنَسَّى،
وأقارِبِ أُسرَتِها [٢٤].

لم يكن لأموالها مكان في قلبها؛ لذا بحبٍ شديد قامت بتوزيعه على جميع أقارب زوجها وأسرتها. قدمته لهم بإرادتها في محبة وفرح، عوض أن يرثوه بعد نياحتها.

لعلها فعلت هذا خشية أن تحدث خلافات في توزيع الميراث، فيكون موتها سببًا في خلافات أسرية. لكنها لم تترك شيئًا يرثه أحد، وفرَّحت قلوب الكثيرين أثناء حياتها.

عندما تنيحت يهوديت لم تبكِها أسرتها وحدها أو عشيرتها أو السبط الذي تنتمي إليه بل بكاها كل الشعب.

ولم يَعُدْ هُناكَ مَن يُرعِبُ بَني إسرائيلَ في أيّامِ يَهوديت،
ولا بَعدَ مَوتِها لمدةٍ طويلةٍ [٢٥].

لم تجسر أُمَّة على محاربة شعب يهوديت حتى بعد نياحتها لسنين عديدة، إذ كان خبر هذه النصرة له صداه لزمنٍ طويل.

صار يوم انتصارهم على الأشوريين عيدًا قوميًا لليهود مثل عيد الفوريم الذي احتفل به اليهود لخلاصهم خلال الملكة أستير (أس ٩: ٢٦-٣٣)، واليوم الذي احتفلوا فيه بانتصارهم على السلوقيين ومقتل نكانور قائدهم (٢ مك ١٥) والذي سُمي بعيد الحانوكا، ومازال اليهود يحتفلون به حتى اليوم حيث يقرأون فيه سفر يهوديت في ٢٥ ديسمبر من كل عام.

من وحي يهوديت ١٦

لأنشد لك أنشودة حب لا تشيخ

❖ ماذا أُقَدِّم لكَ يا إلهي مقابل حبك الدائم؟
لستَ في حاجةٍ إلى ذبائحٍ أو نذورٍ أو تقدمات.
تشتاق إليّ، وأشتاق إليك.
تُجَدِّد على الدوام شبابي،
وتهبني خبرة النصرة اليومية.

❖ لتُعلن عن حلولك في أعماقي،
فترتعب قوات الظلمة من حضورك الإلهي.
ليس لي إمكانيات للمقاومة.
وجودك هو سرّ قوتي ونصرتي.
بك يتحطم مضطهديَّ.

❖ يظن العدو أنه بكثرة قواته يُرعبني،
وبخبراته وخداعاته يُحَطِّمني.
يود أن يُفسِدَ قلبي،
ويفسد كل ثمرِ روحيٍ فيَّ.
ويسبي أعماقي لحسابه.

❖ أنت القدير، خلقت كل شيءٍ لأجلي،
وقبلتَ الموت، موت الصليب، لخلاصي.
نزعتَ عني روح اليأس،
وملأتَ قلبي بفرحٍ مجيدٍ لا يُعبَّر عنه.
سكبتَ رائحتك الذكية في داخلي.
وقدَّمتَ لي برّك لأرتديه، واختفي أنا فيه.
زينتني بثمر روحك القدوس.
وسكبتَ بهاءك عليَّ!

❖ أعمال الخلاص تُرعبُ عدوّي.

صليبك مُرْهب لإبليس وكل وقواته.

عظيم أنت يا رب في خلاصك!

لن يقوى العدو عليك.

❖ أعماقي لن تفتر في التسبيح لك.

فإنك لا تطلب مني إلا أن أحمل صورتك.

مع كل ضعفي تراني عظيمًا في عينيك.

❖ هبْ لي ألا اشتهي شيئًا سواك.

حلولك يملأ حياتي فرحًا.

عملك العجيب يُحَوِّل أيامي إلى عيدٍ لا ينقطع!

المحتويات

الباب الثاني

الشعب المتضايق

يهوديت ٤-٧

الباب الثالث

الله واهب النصرة

يهوديت ٨-١٤

الباب الرابع

عربون الأبدية

يهوديت ١٥-١٦

صدر عن هذه السلسلة

العهد القديم

١ التكوين
٢ الخروج
٣ اللاويين
٤ العدد
٥ التثنية
٦ يشوع
٧ القضاة
٨ راعوث
٩ صموئيل الأول
١٠ صموئيل الثاني
١١ ملوك أول
١٢ عزرا
١٣ نحميا
١٤ يهوديت
١٥ أستير
١٦ أيوب (٤ أجزاء)
١٧ المزامير
١٨ الأمثال "٣ أجزاء"
١٩ الجامعة
٢٠ نشيد الأناشيد
٢١ حكمة سليمان
٢٢ أشعياء
٢٣ إرميا (جزءان)
٢٤ مراثي إرميا
٢٥ حزقيال
٢٦ دانيال
٢٧ هوشع
٢٨ يوئيل
٢٩ عاموس
٣٠ عوبديا
٣١ يونان
٣٢ ميخا
٣٣ ناحوم
٣٤ حبقوق
٣٥ صفنيا
٣٦ حجي
٣٧ زكريا
٣٨ ملاخي

العهد الجديد

١ أنجيل متّى
٢ " مرقس
٣ " لوقا
٤ " يوحنا (جزءان)
٥ أعمال الرسل (جزءان)
٦ رسالة رومية
٧ كورنثوس الأولى
٨ " الثانية
٩ غلاطية
١٠ أفسس
١١ رسالة بولس إلى أهل فيلبي
١٢ " " إلى كولوسي
١٣ تسالونيكي الأولى
١٤ " الثانية
١٥ تيموثاوس الأولى
١٦ " الثانية
١٧ الرسالة إلى تيطس
١٨ " " فليمون
١٩ " " العبرانيين
٢٠ رسالة يعقوب
٢١ رسالة بطرس الأولى
٢٢ " " الثانية
٢٣ رسائل يوحنا الثلاث
٢٤ رسالة يهوذا
٢٥ رؤيا يوحنا اللاهوتي

يُطلب من

- مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس / العباسية / القاهرة - ت : ٤
- كنيسة مارجرجس سبورتنج / الإبراهيمية / الإسكندرية ت: ٨٨
- كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس / سيدى بشر / الإس

الثمن ٥٠٠ قرشاً